الموعود

١٦

ربيع الأول ١٤٤٥هـ
تشرين الأول ٢٠٢٣م

مجلة علمية تخصصية تصدر عن
مركز الدراسات التخصصية للإمام المهدي عليه السلام

في هذا العدد:

أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي
(الواقفة نموذجاً)
السيّد محمّد القبانجي

أشراط القيام
الشيخ جاسم أفضل الوائلي

الولاية التدبيرية للإمام الغائب عليه السلام
الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

وظيفة المنتظر
علي السيد محمد حسين الحكيم

الانتظار والتمهيد (الأدوار والمكتسبات)
مرتضى علي الحلي

الدولة المهدوية وإشكالية الزمان
الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مجلة علمية تخصّصية تصدر عن

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

المشرف العام

السيّد محمّد القبانچي

رئيس التحرير

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مدير التحرير

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

الإخراج الفني والتنضيد الإلكتروني

الأستاذ حسن محمد حسن الطريفي

عدد النسخ

٥٠٠ نسخة

الناشر

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة للناشر

www.m-mahdi.net/almauood

بسم الله الرحمن الرحيم

الموعود
مجلة علمية تخصّصية تصدر عن
مركز الدراسات التخصّصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه

قواعد النشر في مجلَّة الموعود

١- تنشر المجلَّة الأبحاث العلمية الرصينة المختصّة بعقيدة الموعود عجل الله فرجه.

٢- الأفضل أن تكون البحوث منضدة الكترونياً، على أن لا تقلّ كلمات البحث عن (٤٠٠٠) كلمة.

٣- أن تحتوي الصفحة الأُولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين، وجهة العمل والعنوان، ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وُجِد.

٤- يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.

٥- أن تُرفَق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلّة للمرّة الأولى.

٦- أن لا يكون البحث قد نُشِرَ سابقاً.

٧- لا تُعَبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.

٨- يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيّة.

٩- تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواءً أنُشِرت أم لم تُنشَر.

١٠- يُمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشِرَ فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.

١١- تُرسَل البحوث للمجلَّة، أو تُسلَّم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:

العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.

رقم الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com/almauood
almauood@m-mahdi.com

المعود
ALMAUOOD

تمهيدنا
يرون ما لا يُرى

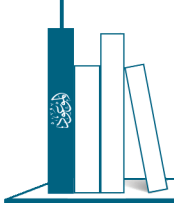

رئيس التحرير

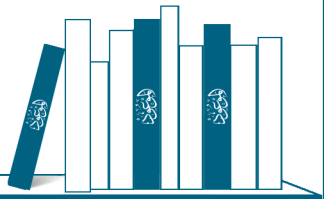

وُجِد الناس في هذه الدنيا ومصيرهم إلىٰ غيرها، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

يدرك هذه الحقيقة جميع الناس، إلّا أنَّ من يعمل لها هم أقل القليل.

نحن علىٰ يقين تام أنَّنا سنغادر هذه الحياة إلىٰ حياة أخرىٰ رغم شدة تمسُّكنا بها.

نسير جميعاً بإرادتنا - أو رغماً عنا - إلىٰ تلك الدار، وكل ساعة تنقضي من أعمارنا تقربنا إلىٰ دار مستقرنا.

هذه الحقيقة الناصعة الحاضرة في وجدان ومرتكزات جميع بني آدم، يتم تغيبها بقصد أو بغيره.

قال أمير المؤمنين عليه السلام[1]: «وإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَىٰ بَصَرِ الأَعْمَىٰ - لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً - والْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُه - ويَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا - فَالْبَصِيرُ

١. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام - (تحقيق صالح): ص١٩١.

مِنْهَا شَاخِصٌ - والأَعْمَىٰ إِلَيْهَا شَاخِصٌ - والْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ - والأَعْمَىٰ لَهَا مُتَزَوِّدٌ».

وقال عليه السلام[1]: «وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ وَدَارِ بُلْغَةٍ وَطَرِيقٍ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُه (وَلَا يَفُوتُهُ طَالِبُه) وَلَابُدَّ أَنَّه مُدْرِكُه».

وكم من نظير لهذا في الكثير من قضايا الإنسان العلمية والعملية، الدينية أو الدنيوية، ومن بين تلكم القضايا الواضحة الحضور والارتكاز، والمغيبة في ذات الوقت، هي العقيدة بالإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه، فهو الإمام الحاضر الذي يجب علىٰ الناس الإيمان بإمامته الفعلية واليقين بحضوره معنا، ولكن بعض من يؤمن بهذه العقيدة لا يستحضرها ولا يرىٰ حضور الإمام عجل الله فرجه في نفسه ووجدانه فضلاً عن أن يتعامل معه عجل الله فرجه بأنَّه حاضر ويراقب الناس ويوجِّههم من وراء الغيب بما فيه صلاحهم، قال عليه السلام[2]: «نحن وإن كنّا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أراناه الله تعالىٰ لنا من الصلاح، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنّا يحيط علمنا بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالزلل الذي أصابكم، مذ جنح كثير منكم إلىٰ ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

---

١. نهج البلاغة (ط. بنياد نهج البلاغة) - خطب الإمام علي عليه السلام: ص٣٧٥.

٢. بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج٥٣، ص١٧٩.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء، فاتقوا الله جلّ جلاله، وظاهرونا علىٰ انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حم أجله، ويحمىٰ عليه من أدرك أمله، وهي أمارة لأزوف حركتنا ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون».

العقيدة المهدوية مما دلَّت عليها الأدلة اليقينية القطعية وتفرع عنها الكثير من العقائد والأحكام والقيم.

إلّا أنَّنا نشعر بالوجدان غيابها عند بعض الناس.

حتىٰ عبرت بعض الروايات بأنَّ جملة من هؤلاء يصل به التشكيك إلىٰ حدِّ إنكار الولادة وعدم الإيمان بها كما جاء في ما رواه المفضل بن عمر قال[1]: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إياكم والتنويه، أما والله ليغيبن إمامكم سنين من دهركم، وليمحصن حتىٰ يقال مات قتل (هلك) بأي وادٍ سلك، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين ولتكفأن كما تكفأ السفن بأمواج البحر، فلا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان وأيَّده بروح منه، ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدرىٰ أيٌّ من أي»، قال: فبكيت وقلت: فكيف نصنع؟ فقال: «يا أبا عبد الله» - ونظر إلىٰ الشمس داخلة إلىٰ الصفة - قال: «فترىٰ هذه الشمس»؟ قلت: نعم، قال: «والله لأمرنا أبين من هذه الشمس».

١. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٣٦٥.

في مقابل هؤلاء هناك من يرىٰ وجود الإمام عجل الله فرجه حاضراً في كل زاوية ومقطع من وجوده فيرىٰ ما لا يراه غيره، ويستشعر ما لا يستشعره الناس ويتعامل مع وجود الإمام الغائب علىٰ أنَّه عين الله تعالىٰ في الخلق والرقيب عليهم، فعن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ[١]: «نَحْنُ الْمَثَانِي الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، وَنَحْنُ وَجْهُ اللهِ نَتَقَلَّبُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَنَحْنُ عَيْنُ اللهِ فِي خَلْقِهِ، وَيَدُهُ الْمَبْسُوطَةُ بِالرَّحْمَةِ عَلىٰ عِبَادِهِ، عَرَفْنَا مَنْ عَرَفَنَا، وَجَهِلْنَا من جهلنا...».

وفي الزيارة المخصوصة به في يوم الجمعة عجل الله فرجه[٢]: «السلام عليك يا حجة الله في أرضه، السلام عليك يا عين الله في خلقه، السلام عليك يا نور الله الذي به يهتدي المهتدون، ويفرج به عن المؤمنين، السلام عليك أيها المهذب الخائف، السلام عليك أيها الولي الناصح، السلام عليك يا سفينة النجاة السلام عليك يا عين الحياة».

وهؤلاء القلة من الناس ممن يملك هذا الإيمان، قد وصفتهم بعض الروايات بأنَّهم أعز من الكبريت الأحمر لأنهم يؤمنون به سواداً علىٰ بياض، ولكن هذا الإيمان العلمي كان حافزاً لهم علىٰ تجسيده والتماسه في كل زاوية من زوايا وجودهم، فإنَّهم يرون ما لا يرىٰ الناس بسبب عقيدتهم بالإمام عجل الله فرجه علىٰ حدٍّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال عليه السلام: «فكأنما قطعوا الدنيا إلىٰ الآخرة

١. الكافي (دار الحديث) - الشيخ الكليني: ج١، ص٥٩٢.
٢. بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج٩٩، ص٢١٧.

وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك، فكأنما اطَّلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه، وحقَّقت القيامة عليهم عداتها، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتىٰ كأنهم يرون ما لا يرىٰ الناس ويسمعون ما لا يسمعون»[1].

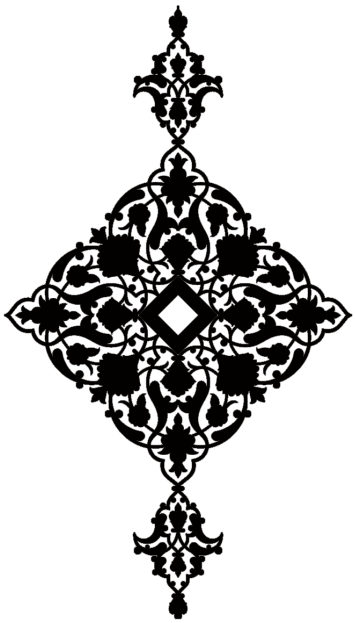

١. نهج البلاغة: ص٣٤٣، ح٢٢٢.

المعود
ALMAUOOD

أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي (الواقفة نموذجاً)

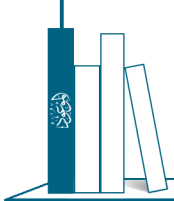

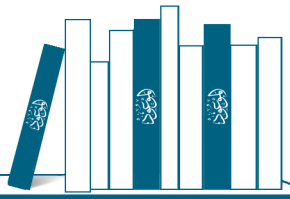

السيِّد محمّد القبانچي

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

سبق وأن بحثنا في حلقة سابقة عن دور الحركة الإسماعيلية في الموروث المهدوي وأبعاد هذا الدور وخطورة هذه الحركة، وفي هذه الحلقة نحاول استعراض أثر الحركة الواقفية في الموروث المهدوي.

تمهيد:

حُفّت الدنيا بالابتلاء والامتحان باعتبارها دار التكليف، قال تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢)، وهذا أمر بديهي لا نريد الوقوف عليه هنا.

وليس المطلوب تعداد أنواع الابتلاءات والامتحانات في دار الدنيا وتنوّعها، فكل ذلك له مجاله الخاص، بل نريد التركيز علىٰ العقيدة المهدوية وأسباب الانحراف فيها، فنقول:

السبب الأول: عدم الإيمان الراسخ بالغيب:

ولعل هذا من أهمّ الأسباب في الانحراف، فالغيب يحتاج إلىٰ الكثير من التسليم والكثير من الإيمان لأنّه أمر يخالف النزعة البشرية وفضولها في

استكشاف الأمور وتحسّسها في الواقع المُعاش، والإنسان ألف الأمور المادية وتعامل معها في يومياته فيصعب عليه والحال هذه أن يؤمن بسهولة ويُسر بما وراء المادة، فالخيال يسيطر علىٰ القلب، والتمنّع يهيمن علىٰ العقل في رفض الأمور الغيبية، ومن هنا أصبح الإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه - حيث أنّه من أبرز الأمور الغيبية - ميزاناً للإيمان والتقوىٰ من عدمها، لذا ورد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ١-٢)، في كثير من الأحاديث أنّ الإيمان بالغيب هو الإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه فقد رُوي عن أبي عبد الله في قوله الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، قَالَ: «مَنْ أَقَرَّ بِقِيَامِ الْقَائِمِ أَنَّهُ حَقٌّ»[١].

وأيضاً عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ، قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ عليه السلام عَنْ قَوْلِ الله عزّ وجلّ: ﴿الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١-٣]، فَقَالَ: «الْمُتَّقُونَ شِيعَةُ عَلِيٍّ عليه السلام، وَالْغَيْبُ فَهُوَ الْحُجَّةُ الْغَائِبُ».

وَشَاهِدُ ذَلِكَ قَوْلُ الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لله فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠][٢].

فمن الصعوبة بمكان الإيمانُ بالغيب - بشكل عام أو في خصوص القضية المهدوية - إذا لم يكن المرء قد خاض الكثير من الجهاد الأكبر مع نفسه وذلّلها بالاحتكام للحق وعبّدها بالتسليم وعرّفها ضِعتها وتصاغر شأنها أمام ربِّ الغيب والشهود، قال تعالىٰ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء: ٦٥).

وهذا حديث طويل الذيل، نكتفي بهذا المقدار.

١. كمال الدين - الشيخ الصدوق: ج٢، ص١٥، ح٢٦٠/ ١٩.
٢. كمال الدين - الشيخ الصدوق: ج٢، ص١٥، ح٢٦١/ ٢٠.

السبب الثاني: عامل الاستعجال:

قد يُصاب بعض المنتظرين بهذا الداء العضال ممّا يكون سبباً في الانحراف عن العقيدة المهدوية الصحيحة، وهو أيضاً من العوامل المتجذّرة في الشخصية الإنسانية كما قال تعالىٰ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء: ٣٧)، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً﴾ (الإسراء: ١١)، ولذا حذّر أهل البيت عليهم السلام في روايات عديدة من الاستعجال في تحقيق دولة العدل الإلهي، فعَنْ أَبِي الْمُرْهِفِ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ»، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الْمَحَاضِيرُ؟ قَالَ: «الْمُسْتَعْجِلُونَ، وَنَجَا الْمُقَرِّبُونَ، وَثَبَتَ الْحِصْنُ عَلَىٰ أَوْتَادِهَا، كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ الْغَبَرَةَ عَلَىٰ مَنْ أَثَارَهَا، وَإِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَكُمْ بِجَائِحَةٍ إِلَّا أَتَاهُمُ اللهُ بِشَاغِلٍ إِلَّا مَنْ تَعَرَّضَ لَهُمْ»[١].

ونعم ما علّق به الشيخ النعماني رحمه الله في غيبته علىٰ هذه الرواية بقوله: أُنظروا (رحمكم الله) إلىٰ هذا التأديب من الأئمّة عليهم السلام، وإلىٰ أمرهم ورسمهم في الصبر والكفّ والانتظار للفرج، وذكرهم هلاك المحاضير والمستعجلين، وكذب المتمنّين، ووصفهم نجاة المسلّمين، ومدحهم للصابرين الثابتين، وتشبيههم إيّاهم علىٰ الثبات بثبات الحصن علىٰ أوتادها، فتأدّبوا (رحمكم الله) بتأديبهم، وامتثلوا أمرهم، وسلّموا لقولهم، ولا تجاوزوا رسمهم، ولا تكونوا ممّن أرداه الهوىٰ والعجلة، ومال به الحرص عن الهدىٰ والمحجّة البيضاء.

وقد وقع بهذا الداء العضال كل أصحاب الفرق المهدوية المنحرفة إلىٰ يومنا هذا، فالتطبيق الخاطئ للشخصية المهدوية أو المقرّبة منها كانت نتيجته

١. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٩٢، ح٢٢٨/ ٥.

انجرار هؤلاء وانجرافهم عن الجادّة المهدوية الصحيحة المتمثلة بشخص الحجة بن الحسن عجل الله فرجه.

السبب الثالث: عامل الجهل:

إذا لم تكن للإنسان الدِربة العلمية والمُكنة المعرفية فإنّه يكون عرضة ولقمة سائغة لمختلف الانحرافات العقائدية الخطيرة.

بل يمكن القول إنّ أساس أي انحراف هو الجهل إمّا بأصل القضية أو بما يؤول إليه الدخول فيها من دون معرفة، وهذا ما يكشف عن ضرورة الرجوع إلىٰ المتخصّص في أي مجال معرفي، ومنه المجال الديني عموماً والمهدوي خصوصاً.

وإلّا فإنَّ أمر أهل البيت عليهم السلام أوضح من الشمس في رائعة النهار كما جاءت به الرواية عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ والتَّنْوِيه، أَمَا والله لَيَغِيبَنَّ إِمَامُكُمْ سِنِيناً مِنْ دَهْرِكُمْ ولَتُمَحَّصُنَّ حَتَّىٰ يُقَالَ مَاتَ قُتِلَ هَلَكَ بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ، ولَتَدْمَعَنَّ عَلَيْه عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَ، ولَتُكْفَأُنَّ كَمَا تُكْفَأُ السُّفُنُ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ فَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ الله مِيثَاقَه وكَتَبَ فِي قَلْبِه الإِيمَانَ وأَيَّدَه بِرُوحٍ مِنْه ولَتُرْفَعَنَّ اثْنَتَا عَشْرَةَ رَايَةً مُشْتَبِهَةً لَا يُدْرَىٰ أَيٌّ مِنْ أَيٍّ»، قَالَ: فَبَكَيْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَىٰ شَمْسٍ دَاخِلَةٍ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَبْدِ الله تَرَىٰ هَذِه الشَّمْسَ»؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «والله لأَمْرُنَا أَبْيَنُ مِنْ هَذِه الشَّمْسِ»[1].

وهل يعقل في الحق إلّا وضوحاً ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (الأنعام: ٤٩).

١. الكافي – الشيخ الكليني: ج١، ص٣٣٦، ح٣.

وقد أوضح رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام الحقائق وأصحروا بها في كثير من المواقف والمواطن وإن اتقّوا في غيرها أيضاً لظرف قاهر لكن هذا لا يعطي الحق للبعض في التمسك بظرف التقية وترك كل الموروث الصحيح الوارد عنهم.

السبب الرابع: العامل الاقتصادي:

فكما هو معروف أنَّ المال هو أحد الأركان المهمة لاستقطاب الأتباع ولا تخلو حركة – سواء كانت مستقيمة أو منحرفة – من دخالة العامل الاقتصادي في أصل حدوثها فضلاً عن ديموميّتها واتّساعها، وكما هو واضح فقد كان لمال خديجة عليها السلام الدور البارز والمهم في نشر الدين الإسلامي واستعانة رسول الله ﷺ بهذا المال في سبيل إرساء أسس الإسلام الحنيف.

وهذا ما نجده واضحاً وجليًّا أيضاً في توسّع الحركة الواقفية محل البحث، بل في أصل نشوئها عند البعض، كما سوف نستوفي ذلك في الفصل الأول من البحث.

وأحسب أنَّ هذه الأسباب الأربعة كافية لإعطاء صورة واضحة عن أسباب الانحراف في القضية المهدوية، وإن كانت توجد عوامل أخرىٰ غيرها ولكن ما ذكرناه يكفي للمطلوب.

هذا وقد حوىٰ البحث فصلين، أهمّها الثاني الذي انعقد العنوان عليه وهو (الروايات المهدوية المجعولة من قبل زعماء الطائفة الواقفية)، وأمّا الأول فهو (بيان نشأة حركة الوقف وأسبابها وخطرها) وبعض التفرّعات التي تندرج تحت هذا العنوان بشكله العام.

الفصل الأول، ونستعرض فيه عدّة أمور مهمة وهي:

تعريف الواقفة – أقسامها – أسباب حصولها – تاريخها – أعمدتها – موقف العلماء منها:

الأمر الأول: التعريف بالفرقة الواقفية:

عُرّفت الفرقة الواقفية في كتب الملل والنحل أنَّها فرقة وقفت على الإمام الكاظم عليه السلام ولم تعترف بإمامة الإمام الرضا عليه السلام، ولاريب أنَّ هذا التعريف إنَّما اختصَّت به هذه الحركة بسبب ضخامتها واتِّساعها في أوساط الشيعة حتى انصرف مصطلح الوقف إليها، وإن كان واقع الحال ليس كذلك، فإنَّ الوقف – فكراً وعقيدةً – حدث قبل الإمام الكاظم عليه السلام كما نجد ذلك في الكيسانية والناووسية وغيرهما، وحدث أيضاً بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السلام كما في الذين وقفوا على الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

قال الشيخ الطوسي قدس سره: وأمَّا من قال: إنَّ أبا محمّد – العسكري – عليه السلام مات ويحيىٰ بعد موته، فقوله باطل بمثل ما قلناه، لأنَّه يُؤدِّي إلىٰ خلوِّ الخلق من إمام من وقت وفاته عليه السلام إلىٰ حين يُحييه الله تعالىٰ[1].

والأمر ليس ذا أهمية باعتبار أنَّ هذه الفرقة – بل وكل من وقف على إمام – اندثروا ولم يبقَ لهم عين ولا أثر، كما أنَّ موضوع بحثنا ليس في تفاصيل حركة الوقف بمقدار ما هو تركيز الكلام في خصوص أثر هذه الحركة في الموروث المهدوي كما سيأتي في الفصل الثاني.

الأمر الثاني: أقسام الفرقة الواقفية:

يمكن القول: إنَّها انقسمت إلىٰ عدَّة فرق:

---

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص١١٦.

الأولىٰ: التي وقفت علىٰ الإمام الكاظم عليه السلام وادَّعت أنَّه هو المهدي المنتظر وهو حي لم يمُت وسيظهر ويملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

وذلك استناداً إلىٰ بعض الروايات الموهمة أو الموضوعة من قِبل زعماء الطائفة لصالح حركتهم، كما سيأتي في الفصل الثاني مفصّلاً.

الثانية: التي وقفت علىٰ الإمام الكاظم عليه السلام وادَّعت أنَّه هو المهدي وقد رُفع إلىٰ السماء كعيسىٰ وسينزل من السماء بعد إذن الله فيملأها قسطاً وعدلاً، استناداً لبعض الروايات التي تشبّه المهدي صلى الله عليه وآله بعيسىٰ عليه السلام.

من قبيل ما ورد عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «إِنَّ فِي صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ سُنَنٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، وَأَمَّا سُنَّتُهُ مِنْ عِيسَىٰ فَيُقَالُ فِيهِ مَا قِيلَ فِي عِيسَىٰ...»[١].

وكذلك ما ورد عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَيِّدَ العَابِدِينَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام يَقُولُ: «فِي الْقَائِمِ مِنَّا سُنَنٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ... وَأَمَّا مِنْ عِيسَىٰ فَاخْتِلَافُ النَّاسِ فِيهِ...»[٢].

الثالثة: التي وقفت علىٰ الإمام الكاظم عليه السلام ولكنها قالت بموته وسيُرجعه الله بعد أياس الناس فيملأها قسطاً وعدلاً، وذلك لوجود بعض الأحاديث في هذا الشأن، كما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ اَلْخُرَاسَانِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اَلله عليه السلام: لِأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيَ اَلْقَائِمُ؟ قَالَ: «لِأَنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ مَا يَمُوتُ، إِنَّهُ يَقُومُ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، يَقُومُ بِأَمْرِ اَلله سُبْحَانَهُ»[٣].

---

١. كمال الدين – الشيخ الصدوق: ج٢، ص٣١، ح٢٨٧/ ٤٦.
٢. كمال الدين – الشيخ الصدوق: ج٢، ص٣٥٠.
٣. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٤٦٢، ح٤٠٣.

الرابعة: اللّاأدرية: حيث قال بعض: لا ندري أهو حي أم ميت؟ لأنّا قد روينا فيه أخباراً كثيرة تدل على أنّه القائم المهدي فلا يجوز تكذيبها، وقد ورد علينا من خبر وفاة أبيه وجده والماضين من آبائه عليهم السلام في معنى صحة الخبر، فهذا أيضاً ممّا لا يجوز ردّه وإنكاره لوضوحه وشهرته وتواتره من حيث لا يكذب مثله، ولا يجوز التواطؤ عليه والموت حق والله عزّ وجلّ يفعل ما يشاء، فوقفنا عند ذلك على إطلاق موته وعلى الإقرار بحياته ونحن مقيمون على إمامته لا نتجاوزها حتى يصحّ لنا أمره وأمر هذا الذي نصب نفسه مكانه وادّعى الإمامة، يعْنون: (علي بن موسى الرضا)[١].

الخامسة: الفرقة (البشيرية) المولوية: وهم أتباع محمد بن بشير وهو مولى لبني أسد.

وكان صاحب شعبذة ومخاريق معروفاً بذلك، فادّعى أنّه يقول بالوقف على موسى بن جعفر عليه السلام، وأنّ موسى عليه السلام كان ظاهراً بين الخلق يرونه جميعاً، يتراءى لأهل النور بالنور، ولأهل الكدورة بالكدورة في مثل خلقهم بالإنسانية والبشرية اللحمانية، ثم حجب الخلق جميعاً عن إدراكه، وهو قائم بينهم موجود كما كان، غير أنّهم محجوبون عنه وعن إدراكه كالذي كانوا يدركونه[٢].

وكان عنده صورة قد عملها وأقامها شخصاً كأنّه صورة أبي الحسن عليه السلام في ثياب حرير وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحِيَل عملها فيها حتى صارت شبيهاً بصورة إنسان، وكان يطويها فإذا أراد الشعبذة نفخ فيها فأقامها[٣].

وعن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «لعن الله محمد بن بشير وأذاقه حرّ

١. فرق الشيعة – حسن بن موسى النوبختي: ص٨٢.
٢. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) – الشيخ الطوسي: ج٢، ص٧٧٤، ح٩٠٦؛ بتصرّف.
٣. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) – الشيخ الطوسي: ج٢، ص٧٧٦، ح٩٠٧، بتصرّف.

الحديد، إنَّه يكذب عليَّ، برأ الله منه وبرئتُ إلىٰ الله منه، اللهم إنّي أبرأ إليك ممّا يدَّعي فيَّ ابن بشير، اللهم أرحني منه».

وقد وصفه الإمام الكاظم عليه السلام بالرجس النجس[١].

وهذا من الشواهد علىٰ أنَّ جذور الوقف بدأت في حياة الإمام الكاظم عليه السلام.

وهناك فِرَقٌ غيرها لا نطيل بها البحث.

الأمر الثالث: أسباب الوقف:

لم يكن العامل الاقتصادي هو السبب الرئيس في الوقف، وإن كان له مدخلية كبيرة عند البعض، خصوصاً ابن السراج الكوفي وغيره، كما جاء في رجال الكشي حيث قال: كان بدء الواقفة أنّه كان اجتمع ثلاثون ألف دينار عند الأشاعثة زكاة أموالهم وما كان يجب عليهم فيها، فحملوا إلىٰ وكيلين لموسىٰ عليه السلام بالكوفة أحدهما حيان السراج، والآخر كان معه، وكان موسىٰ عليه السلام في الحبس، فاتخذا بذلك دوراً وعَقَدا العقود واشتريا الغلات.

فلمّا مات موسىٰ عليه السلام وانتهىٰ الخبر إليهما أنكرا موته، وأذاعا في الشيعة أنّه لا يموت لأنَّه هو القائم، فاعتمدت عليه طائفة من الشيعة وانتشر قولهما في الناس، حتىٰ كان عند موتهما أوصيا بدفع ذلك المال إلىٰ ورثة موسىٰ عليه السلام، واستبان للشيعة أنّهما قالا ذلك حرصاً علىٰ المال[٢].

وهكذا ما جاء عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حيث قَالَ: مَاتَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَلَيْسَ مِنْ قُوَّامِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَعِنْدَهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ

١. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) - الشيخ الطوسي: ج٢، ص٧٧٩، ح٩٠٩؛ بتصرّف.
٢. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) - الشيخ الطوسي: ج٢، ص٧٧٩، ح٨٧١.

وَقْفِهِمْ وَجَحْدِهِمْ مَوْتَهُ، طَمَعاً فِي اَلْأَمْوَالِ، كَانَ عِنْدَ زِيَادِ بْنِ مَرْوَانَ اَلْقَنْدِيِّ سَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَعِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ وَتَبَيَّنْتُ اَلْحَقَّ وَعَرَفْتُ مِنْ أَمْرِ أَبِي اَلْحَسَنِ اَلرِّضَا عليه السلام مَا عَلِمْتُ تَكَلَّمْتُ وَدَعَوْتُ اَلنَّاسَ إِلَيْهِ، فَبَعَثَا إِلَيَّ وَقَالَا: مَا يَدْعُوكَ إِلَىٰ هَذَا؟ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ اَلْمَالَ فَنَحْنُ نُغْنِيكَ، وَضَمِنَا لِي عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَقَالَا [لِي]: كُفَّ.

فَأَبَيْتُ، وَقُلْتُ لَهُمَا: إِنَّا رُوِّينَا عَنِ اَلصَّادِقِينَ عليهم السلام أَنَّهُمْ قَالُوا: «إِذَا ظَهَرَتِ اَلْبِدَعُ فَعَلَى اَلْعَالِمِ أَنْ يُظْهِرَ عِلْمَهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ سُلِبَ نُورَ اَلْإِيمَانِ»، وَمَا كُنْتُ لِأَدَعَ اَلْجِهَادَ وَأَمْرَ اَللهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، فَنَاصَبَانِي وَأَضْمَرَا لِيَ اَلْعَدَاوَةَ[1].

حتىٰ أنّ أكابر علمائنا حصروا - علىٰ ما يبدو - سبب الوقف بالطمع في الأموال عند رؤسائهم، حيث قال الشيخ الطوسي: فروىٰ الثقات أنَّ أوّل من أظهر هذا الاعتقاد عليّ بن أبي حمزة البطائني، وزياد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسىٰ الرواسي، طمعوا في الدنيا، ومالوا إلىٰ حطامها، واستمالوا قوماً فبذلوا لهم شيئاً ممَّا اختانوه من الأموال، نحو حمزة بن بزيع، وابن المكاري، وكرَّام الخثعمي، وأمثالهم[2].

وهكذا آخرون.

إلّا أنّه يمكن القول: إنّ السبب الرئيسي لانحراف أكثر الواقفة - حتىٰ مثل البطائني الذي استفاد اقتصادياً ومالياً من منهج الوقف الذي اتَّخذه - هو الشبهات التي علقت في ذهنهم وجعلتهم ينجرفون مع تيار الوقف، فالعامل ليس عاملاً اقتصادياً فقط، وإنّما هناك عوامل فكرية ومنهجية حدثتْ بمثل هؤلاء إلىٰ الانحراف، وهنالك رسالة من الإمام الرضا عليه السلام يصرّح فيها بأنّ البطائني قد تأوّل الأحاديث وحدثت في ذهنه شبهات كانت سبباً في انحرافه،

١. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٩٥، ح٦٦.
٢. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٩٤، ح٦٥.

فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام: «وأمّا ابن أبي حمزة فإنّه رجل تأوّل تأويلاً لم يحسنه، ولم يُؤتَ علمَه، فألقاه إلىٰ الناس فلج فيه وكره إكذاب نفسه في إبطال قوله بأحاديث تأوّلها ولم يحسِن تأويلها ولم يؤتَ علمَها، ورأىٰ أنّه إذا لم يصدق آبائي بذلك، لم يدرِ لعل ما خبر عنه مثل السفياني وغيره أنّه كائن لا يكون منه شيء، وقال لهم: ليس يسقط قول آبائه بشيء، ولعمري ما يسقط قول آبائي شيء، ولكن قصر علمه عن غايات ذلك وحقائقه، فصار فتنة له وشبه عليه وفر من أمر فوقع فيه»[١].

وأمّا الذي كان الطمع هو محور انحرافه فهو ابن السراج الذي ذكرناه آنفاً، فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «أمّا ابن السراج فإنّما دعاه إلىٰ مخالفتنا والخروج عن أمرنا أنّه عدا علىٰ مالٍ لأبي الحسن (صلوات الله عليه) عظيمٍ فاقتطعه في حياة أبي الحسن، وكابرني عليه وأبىٰ أن يدفعه، والناس كلهم مسلِّمون مجتمعون علىٰ تسليمهم الأشياء كلها إليَّ، فلمّا حدث ما حدث من هلاك أبي الحسن (صلوات الله عليه) اغتنم فراق علي بن أبي حمزة وأصحابه إياي، وتعلّل، ولعمري ما به من علة إلّا اقتطاعه المال وذهابه به»[٢].

وجاء في غيبة الشيخ الطوسي قدس سره في بيان حال ابن السراج أنّ العامل الاقتصادي كان هو السبب في قوله بالوقف، فعن عليّ بن حبشي، عَنِ اَلْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ اَلْحَسَنِ اِبْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ، قَالَ: كُنْتُ أَرَىٰ عِنْدَ عَمِّي عَلِيِّ بْنِ اَلْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ شَيْخاً مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، وَكَانَ يُهَازِلُ عَمِّي، فَقَالَ لَهُ يَوْماً: لَيْسَ فِي اَلدُّنْيَا شَرٌّ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ اَلشِّيعَةِ - أَوْ قَالَ: اَلرَّافِضَةِ -، فَقَالَ لَهُ عَمِّي: وَلِمَ لَعَنَكَ اَللهُ؟ قَالَ: أَنَا زَوْجُ بِنْتِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بِشْرٍ اَلسَّرَّاجِ، قَالَ لِي لَمَّا حَضَرَتْهُ اَلْوَفَاةُ: إِنَّهُ كَانَ عِنْدِي عَشَرَةُ آلَافِ دِينَارٍ وَدِيعَةً لِمُوسَىٰ

١. قرب الاسناد - الحميري القمي: ص٣٥١، ح١٢٦٠.
٢. قرب الاسناد - الحميري القمي: ص٣٥١، ح١٢٦٠.

بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام، فَدَفَعْتُ إِبْنَهُ عَنْهَا بَعْدَ مَوْتِهِ، وَشَهِدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ، فَالله الله خَلِّصُونِي مِنَ اَلنَّارِ وَسَلِّمُوهَا إِلَىٰ اَلرِّضَا عليه السلام، فَوَاَلله مَا أَخْرَجْنَا حَبَّةً، وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ يَصْلَىٰ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وكذلك القندي، فعن يونس بن عبد الرحمن، قال: مَاتَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَلَيْسَ مِنْ قُوَّامِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَعِنْدَهُ اَلْمَالُ اَلْكَثِيرُ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَقْفِهِمْ وَجَحْدِهِمْ مَوْتَهُ، طَمَعاً فِي اَلْأَمْوَالِ، كَانَ عِنْدَ زِيَادِ بْنِ مَرْوَانَ اَلْقَنْدِيِّ سَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ[١].

الأمر الرابع: النشأة التاريخية للواقفة:

يمكن القول إنّ نشأة الواقفة من ناحية الجذور الفكرية سبقت نشأتها من ناحية كونها حركة وظاهرة واسعة استقطبت الكثير من كبار أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، إذ إنّ الظاهرة تكوّنت بعد شهادة الإمام عليه السلام وهذا ما نجده واضحاً في كلمات علمائنا مثل الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: ثُمَّ دُفِنَ عليه السلام وَرَجَعَ اَلنَّاسُ، فَافْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ تَقُولُ: مَاتَ، وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: لَمْ يَمُتْ[٢].

كما جاء في نص تاريخي في كتاب فرق الشيعة للنوبختي قوله: وقالت الفرقة الثانية: إنّ موسىٰ بن جعفر لم يمُت وإنّه حي ولا يموت حتىٰ يملك شرق الأرض وغربها ويملأها كلها عدلاً كما ملئت جوراً وإنَّه القائم المهدي[٣].

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٩٥، ح٦٥.
٢. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٥١، ح٥.
٣. فرق الشيعة – حسن بن موسىٰ النوبختي: ص٨٠؛ كتاب المقالات والفرق – أبي خلف سعد الأشعري القمي: ص٨٩.

وغيرها من التعابير التي يمكن الاطّلاع عليها بالرجوع إلىٰ كتب السير والتراجم والتاريخ.

بل إنّ بعض الروايات تساهم في بيان تاريخية ونشوء هذه الظاهرة كما في قول الإمام الكاظم عليه السلام حسب نقل أخيه علي بن جعفر عليه السلام حيث قال: جاء رجل إلىٰ أخي عليه السلام فقال له: جعلت فداك من صاحب هذا الأمر؟ فقال: «أما أنّهم يُفتنون بعد موتي فيقولون هو القائم، وما القائم إلّا بعدي بسنين»[١].

إلّا أنّه يمكن القول إنّ جذور هذه الفرقة وتكوّنها كان سابقاً لوفاة الإمام عليه السلام، حيث بدأت تظهر علىٰ بعض الألسن، بل وتبنّاها بعض الأشخاص في حياة الإمام عليه السلام، خصوصاً بعد سجنه، ولذلك نجد أنّه حين وفاته نودي علىٰ جثمانه الشريف بالقول: هَذَا مُوسَىٰ بْنُ جَعْفَرٍ اَلَّذِي تَزْعُمُ اَلرَّافِضَةُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ فَانْظُرُوا إِلَيْهِ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ[٢].

وقد ذكر الشيخ المفيد ذلك بقوله: وقد كان قوم زعموا في أيام موسىٰ أنّه القائم المنتظر، وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم[٣].

وهكذا ما نجده من أمثال محمد بن بشير حيث ادّعىٰ غيبة الإمام عليه السلام أثناء سجنه وقيامه مقام الإمام عليه السلام، ممّا استدعىٰ أن يصفه الإمام عليه السلام بالرجس النجس كما مرّ سابقاً[٤].

---

١. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) - الشيخ الطوسي: ج٢، ص٧٦٠، ح٨٧٠.
٢. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٥٧، ح٦.
٣. الإرشاد - الشيخ المفيد: ج٢، ص٢٤٣.
٤. تقدَّم في صفحة ١٩.

الأمر الخامس: أعمدة الوقف وشخصياته:

ممّا يدلّل علىٰ خطورة الحركة الواقفية هو قول الشريف المرتضىٰ رحمه الله: فإنَّ معظم الفقه وجمهوره، بل جميعه لا يخلو مستنده ممّن يذهب مذهب الواقفة، إمّا أن يكون أصلاً في الخبر أو فرعاً، راوياً عن غيره ومروياً عنه[1].

هذا النص التاريخي كاشف عن مدىٰ خطورة هذه الحركة، بل يمكن القول: إنّها أخطر الحركات المهدوية المنحرفة التي واجهها أهل البيت عليهم السلام والطائفة عموماً، وذلك لأنَّ البعض من أساطين أصحاب الإمام عليه السلام وشيعته، بل بعضهم كان من أصحاب الإجماع الذين أجمع الفقهاء علىٰ تصحيح ما صحّ عنهم، من أمثال (جميل بن دراج، أحمد بن محمد بن أبي نصر)[2]، كانوا قد انجرفوا مع هذه الظاهرة، وإن كان البعض منهم رجع إلىٰ الحق بعد مدة طالت أو قصرت، وقد أدرج الشيخ الطوسي قدس سره في رجاله ما يقرب من ستين شخصاً من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام تحت عنوان الوقف، وهذا رقم مهول وكبير جداً، خصوصاً إذا علمنا أنَّ أصحاب الإمام عليه السلام ورواته كان عددهم (٢٧١) راوياً تقريباً.

فقد نقل الشيخ النعماني قدس سره (ت٣٦٠هـ) في كتابه الغيبة (١٥٠ رواية) عن (٢١ واقفياً)، فعن البطائني ذكر (٣٧ رواية)، وعن عبد الله بن جبلة (٢٦)، وعن الخثعمي (١٨)، وغير ذلك.

كما نقل الشيخ الصدوق قدس سره (ت٣٨١هـ) في كتابه كمال الدين (٦١ رواية)، عن (١٣ واقفياً)، فقد روىٰ عن البطائني (١٧ رواية)، وعن عثمان الرواسي (٨)، وآخرين.

١. رسائل الشريف المرتضىٰ - الشريف المرتضىٰ: ج٣، ص٣١٠.
٢. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص١٠٣.

وهكذا الشيخ الطوسي قدس سره (ت ٤٦٠ هـ) في كتابه الغيبة (٣٦ رواية)، روىٰ عن البطائني (١٣ رواية)، وعن زياد القندي (روايتين)، وعن عثمان الرواسي (٥ روايات)، فضلاً عن غيره.

ولْنستعرض ترجمة بعض الشخصيات البارزة في الحركة الواقفية حتىٰ يتبيَّن حجم المؤامرة الكبيرة وخطورة هذه الحركة المنحرفة:

الأول: علي بن أبي حمزة[1]:

قال النجاشي: علي بن أبي حمزة - واسم أبي حمزة سالم - البطائني أبو الحسن مولىٰ الأنصار، كوفي، وكان قائد أبي بصير يحيىٰ بن القاسم، وله أخ يسمىٰ جعفر بن أبي حمزة، روىٰ عن أبي الحسن موسىٰ وروىٰ عن أبي عبد الله عليهما السلام، ثم وقف، وهو أحد عمد الواقفة، وصنف كتباً عدّة، منها: كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب التفسير، وأكثره عن أبي بصير.

وقال الشيخ: علي بن أبي حمزة البطائني: واقفي المذهب، له أصل.

وقال ابن الغضائري: علي بن أبي حمزة، لعنه الله أصل الوقف، وأشد الخلق عداوة للولي من بعد أبي إبراهيم عليهما السلام.

ويتّضح الدور البارز لهذه الشخصية في هذه الحركة من خلال عدد مروياته عن أهل البيت عليهم السلام فقد روىٰ عنهم (٥٤٥ رواية)، منها (٣٢٥ مورداً) عن أبي بصير خصوصاً.

وروىٰ عن أبي عبد الله، وعن أحدهما، وعن أبي الحسن، وعن أبي الحسن موسىٰ بن جعفر، وعن العبد الصالح، وعن أبي إبراهيم، وعن رجل صالح، وعن أبي الحسن الرضا عليهم السلام.

---

١. معجم رجال الحديث - السيد الخوئي: ج١٢، ص٢٣٤، بتصرّف.

الثاني: زياد بن مروان، (زياد القندي)[١]:

قال النجاشي: زياد بن مروان أبو الفضل، وقيل أبو عبد الله الأنباري القندي: مولىٰ بني هاشم، روىٰ عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ووقف في الرضا عليه السلام.

وقال الشيخ الطوسي قدس سره: زياد بن مروان القندي، له كتاب، أخبرنا به الحسين بن عبيد الله، عن محمد بن علي بن الحسين، عن ابن الوليد، عن الصفار، عن يعقوب بن يزيد، عنه.

وعدّه في رجاله في أصحاب الصادق عليه السلام تارة، قائلاً: زياد بن مروان القندي الأنباري أبو الفضل، وأخرىٰ: زياد القندي.

وفي أصحاب الكاظم عليه السلام، قائلاً: زياد بن مروان القندي يُكنّىٰ أبا الفضل، له كتاب واقفي.

وقال الكشي: زياد بن مروان القندي.

حدثني حمدويه، قال: حدثنا الحسن بن موسىٰ، قال: زياد هو أحد أركان الوقف.

وقال أبو الحسن حمدويه: هو زياد بن مروان القندي بغدادي.

حدثني محمد بن الحسن، قال: حدثني أبو علي الفارسي، عن محمد بن عيسىٰ ومحمد بن مهران، عن محمد بن إسماعيل، عن ابن أبي سعيد الزيات، قال: كنت مع زياد القندي حاجّاً ولم نكن نفترق ليلاً ولا نهاراً في طريق مكة وبمكة وفي الطواف، ثم قصدته ذات ليلة فلم أره حتىٰ طلع الفجر، فقلت له: غمّني إبطاؤك فأي شيء كانت الحال؟ قال لي: ما زلت بالأبطح مع أبي

١. معجم رجال الحديث - السيد الخوئي: ج٨، ص٣٢٦؛ بتصرّف.

الحسن - يعني أبا إبراهيم - وعلي ابنه عن يمينه، فقال: «يا أبا الفضل أو زياد هذا ابني عليّ قوله وفعله قولي وفعلي فإن كانت لك حاجة فأنزلها به واقبل قوله فإنّه لا يقول علىٰ الله إلّا الحق». قال ابن أبي سعيد: فمكثا ما شاء الله حتىٰ حدث من أمر البرامكة ما حدث، فكتب زياد إلىٰ أبي الحسن علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام يسأله عن ظهور هذا الأمر أو الاستتار، فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام: «أظهر فلا بأس عليك منهم»، فأظهر زياد، فلمّا حدث الحدث قلنا له: يا أبا الفضل أي شيء يعدل بهذا الأمر؟ فقال لي: ليس هذا أوان الكلام فيه. قال: فلمّا ألححت بالكلام بالكوفة وبغداد وكل ذلك يقول لي مثل ذلك إلىٰ أن قال لي في آخر كلامه: ويحك! فتبطل هذه الأحاديث التي رويناها.

من خلال هذه الرواية يتّضح أنَّ القندي كان معترفاً ومقراً بإمامة الرضا عليه السلام في حياة أبيه، ولكن بعد استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام أنكر إمامته استناداً إلىٰ الأحاديث التي رواها في مهدويته عليه السلام.

وتتّضح أهمية هذه الشخصية في هذه الحركة من خلال عدد مروياته عن أهل البيت عليهم السلام فقد روىٰ عنهم (٤٩ رواية).

الثالث: عثمان بن عيسىٰ[1]:

قال النجاشي: عثمان بن عيسىٰ أبو عمرو العامري الكلابي، ثم من ولد عبيد بن رؤاس، فتارة يقال الكلابي وتارة العامري وتارة الرؤاسي، والصحيح: أنّه مولىٰ بني رؤاس وكان شيخ الواقفة ووجهها، وأحد الوكلاء المستبدّين بمال موسىٰ بن جعفر عليه السلام، روىٰ عن أبي الحسن عليه السلام، ذكره الكشي في رجاله وذكر نصر بن الصباح، قال: كان له (يعني الرضا عليه السلام) في يده مال

١. معجم رجال الحديث - السيد الخوئي: ج١٢، ص١٢٩؛ بتصرّف.

فمنعه فسخط عليه، وقال: ثم تاب وبعث إليه بالمال، وكان يروىٰ عن أبي حمزة، وكان رأىٰ في المنام أنّه يموت بالحائر علىٰ صاحبه السلام، فترك منزله بالكوفة وأقام بالحائر حتىٰ مات، ودفن هناك، صنف كتباً، منها: كتاب المياه.

وقال الشيخ: عثمان بن عيسىٰ العامري: واقفي المذهب له كتاب المياه.

وعدّه في رجاله تارة في أصحاب الكاظم عليه السلام، قائلاً: عثمان بن عيسىٰ الرؤاسي: واقفي، له كتاب، وأخرىٰ في أصحاب الرضا عليه السلام، قائلاً: عثمان بن عيسىٰ الكلابي، رؤاسي، كوفي، واقفي.

وقال الكشي: عثمان بن عيسىٰ الرؤاسي الكوفي: ذكر نصر بن الصباح أنّ عثمان بن عيسىٰ كان واقفياً، وكان وكيل أبي الحسن موسىٰ عليه السلام، وفي يده مال فسخط عليه الرضا عليه السلام، قال: ثم تاب عثمان وبعث إليه بالمال، وكان شيخاً وعمّر ستين سنة، وكان يروي عن أبي حمزة الثمالي، ولا يتّهمون عثمان بن عيسىٰ.

وروىٰ الكشي عن أحمد بن محمد، قال: أحد القوم عثمان بن عيسىٰ، وكان يكون بمصر، وكان عنده مال كثير وست جوار، فبعث إليه أبو الحسن عليه السلام فيهن وفي المال وكتب إليه: «إنّ أبي قد مات وقد اقتسمنا ميراثه، وقد صحت الأخبار بموته، واحتج عليه». قال: فكتب إليه: إن لم يكن أبوك مات فليس من ذلك شيء وإن كان قد مات علىٰ ما تحكي فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وقد أعتقت الجواري!

وتتّضح أهمية هذه الشخصية ودورها في هذه الحركة من خلال عدد مروياته عن أهل البيت عليهم السلام فقد روىٰ عنهم (٧٤٣ رواية).

فقد روىٰ عن الإمام الكاظم عليه السلام وأبي الحسن الرضا، وأبي جعفر الثاني عليهم السلام، منها عن سماعة خصوصاً (٤٦٠ رواية تقريباً).

الرابع: أحمد بن أبي بشر السراج[١]:

قال النجاشي: أحمد بن أبي بشر السراج: كوفي، مولىٰ، يكنىٰ أبا جعفر، ثقة في الحديث، واقف، روىٰ عن موسىٰ بن جعفر عليه السلام، وله كتاب نوادر.

أخبرنا الحسين بن عبيد الله، قال: حدثنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا حميد بن زياد بن هوارا (هوازا)، قال: حدثنا ابن سماعة، قال حدثنا أحمد بن أبي بشر، به.

وقال الشيخ: أحمد بن أبي بشر السراج الكوفي، مولىٰ، يكنىٰ أبا جعفر، ثقة في الحديث، واقفي المذهب، روىٰ عن موسىٰ بن جعفر عليه السلام، وله كتاب النوادر.

أخبرنا به الحسين بن عبيد الله، عن أحمد بن جعفر، عن حميد بن زياد، عن ابن سماعة، عن أحمد بن أبي بشر.

ولا نريد الإطالة في ذكر الشخصيات المهمة في الوقف خصوصاً من الذين رجعوا عن الوقف وقطعوا علىٰ الإمام الرضا عليه السلام قصرت المدة أو طالت من أمثال (جميل بن درّاج) والذي عُدت مروياته بـ(٥٧٠ رواية)[٢]، و(أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي) والذي عُدّت رواياته بـ(٧٨٨ رواية)[٣]، و(سماعة بن مهران) والذي عُدّت رواياته بـ(٢٢٢ رواية)[٤]، وكل هؤلاء من أصحاب الإجماع.

---

١. معجم رجال الحديث - السيد الخوئي: ج٢، ص٢٥؛ بتصرّف.
٢. معجم رجال الحديث - السيد الخوئي: ج٥، ص١٢٤.
٣. معجم رجال الحديث - السيد الخوئي: ج٣، ص١٧.
٤. معجم رجال الحديث - السيد الخوئي: ج٩، ص٣١٢.

الأمر السادس: موقف علماء الطائفة من الحركة الواقفية:

اهتمّ علماؤنا ببيان أباطيل الحركة الواقفية، وذلك من خلال كثرة الردود والكتب المصنّفة ضدّهم، ومن ذلك:

١ - إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، كان شيخ المتكلمين من أصحابنا وغيرهم، له جلالة في الدنيا والدين يجري مجرىٰ الوزراء في جلالة الكتاب، له كتب منها[١]: كتاب الرد علىٰ الواقفة، كتاب الرد علىٰ الغلاة، وغيرها الكثير، قيل إنّ وفاته (٣١١هـ).

٢ - الحسن بن موسىٰ الخشاب من وجوه أصحابنا مشهور كثير العلم والحديث له مصنفات منها[٢]: كتاب الرد علىٰ الواقفة، لم يعرف تاريخ وفاته، وهو من رجال الطبقة السادسة ومن أصحاب الإمام العسكري عليه السلام ولم يرو عنه، وممن روىٰ عنه إبراهيم بن هاشم.

٣ - الحسن بن موسىٰ أبو محمد النوبختي شيخنا المتكلم المبرز علىٰ نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها، له كتب كثيرة منها[٣]: كتاب فرق الشيعة، وكتاب الرد علىٰ فرق الشيعة ما خلا الإمامية، الرد علىٰ الواقفة، قيل إنَّ وفاته كانت في نهاية القرن الثالث وبداية الرابع وقيل كانت في حدود (٣١٠هـ) كما ربما يظهر من عبارة الشيخ النجاشي رحمه الله.

٤ - الحسين بن علي بن سفيان بن خالد بن سفيان أبو عبد الله البزوفري، له كتب منها[٤]: كتاب الرد علىٰ الواقفة، كان من مشايخ الشيخ

---

١. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة - النجاشي: ص٣٢.
٢. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة - النجاشي: ص٤٢.
٣. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة - النجاشي: ص٦٣.
٤. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة - النجاشي: ص٦٨.

المفيد المتوفىٰ (٤١٣هـ)، ومن رجال الطبقة العاشرة، وقد ذكر في عدة موارد أنّه كان حياً في سنة (٣٥٢هـ).

٥ - أحمد بن الحسن القزاز البصري له كتاب الصفة في مذهب الواقفة[١]، قيل مات سنة (٢٦١هـ).

٦ - جعفر بن محمد بن إسحاق بن رباط أبو القاسم البجلي، له كتاب الرد علىٰ الواقفة، كتاب الرد علىٰ الفطحي[٢]، وهو من رجال الطبقة الثامنة أو السابعة (ما بين ٢٦٠-٣٠٠هـ).

٧ - عبيد الله بن أبي زيد أحمد بن يعقوب بن نصر الأنباري شيخ من أصحابنا، يكنىٰ أبا طالب، ثقة في الحديث، عالم به، كان قديماً من الواقفة، ثم عاد إلىٰ الإمامة وجفاه أصحابنا، وكان حسن العبادة والخشوع، له كتب منها[٣]: كتاب (الانتصار للشيعِ من أهل البدع)، كتاب فرق الشيعة، مات سنة (٣٥٦هـ).

٨ - فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني نزيل العسكر، له كتاب - أيام استقامته - الرد علىٰ الواقفة، وكتاب الرد علىٰ الإسماعيلية[٤]، وهو من الغلاة، وممّن لعنه الإمام الهادي عليه السلام، وقتل في حياة الإمام الهادي عليه السلام.

٩ - محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمال وله كتب، منها كتاب الرد علىٰ ابن رباح المطور، كتاب الرد علىٰ الواقفة، كتاب الغيبة وكشف الحيرة، كتاب الرد علىٰ أهل الأهواء[٥]، من رجال الطبقة العاشرة ما بين (٣٥٠-٣٩٠).

---

١. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة - النجاشي: ص٧٨.
٢. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة - النجاشي: ص١٢١.
٣. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة - النجاشي: ص٢٣٣.
٤. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة - النجاشي: ص٣١٠.
٥. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة - النجاشي: ص٣٩٣.

١٠ – هارون بن عبد العزيز أبو علي الأراجني، له كتاب الرد على الواقفة[١].

ولم يكن هذا الاهتمام من قِبل علمائنا عن فراغ أو للترف العلمي وإنّما يكشف عن خطورة هذه الحركة وما لها من ثقل علمي في أوساط الطائفة وكثرة مؤلفات أعيانهم وللمثال على ذلك – أي مؤلفات الواقفة – نذكر:

١ – الحسن بن علي بن أبي حمزة له كتب منها[٢]: كتاب الفتن وهو كتاب الملاحم، وكتاب القائم الصغير، وكتاب الغيبة، وكتاب الرجعة.

٢ – عبد الله بن جبلة بن حيان بن أبجر الكناني، وبيت جبلة بيت مشهور بالكوفة، وكان عبد الله واقفاً، وكان فقيهاً ثقة مشهوراً، له كتب، منها: وكتاب الصفة في الغيبة على مذاهب الواقفة[٣].

٣ – علي بن الحسن بن محمد الطائي الجرمي المعروف بالطاطري وكان من وجوه الواقفة وشيوخهم، وقد ألف في نصرة مذهبه، وله كتب كثيرة، منها: كتاب الغيبة[٤].

٤ – علي بن أحمد العلوي الموسوي له كتاب في كتابه في نصرة الواقفة[٥]، والذي ذكره الشيخ الطوسي قدس سره في كتابه الغيبة وردّ على مروياته – الأربعين – سنداً ودلالة.

ويتجلى موقف الأصحاب الشديد من الواقفة فيما وصفهم به علي بن إسماعيل بعد مناظرة بينه وبين أحد شخصيات الواقفة، حيث نبزهم بالكلام

١. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة – النجاشي: ص٤٣٩.
٢. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة – النجاشي: ص٣٦.
٣. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة – النجاشي: ص٢١٦.
٤. فهرست أسماء مصنّفي الشيعة – النجاشي: ص٢٥٥.
٥. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٧١.

الممطورة، كما جاء في كتاب فرق الشيعة للنبوختي: وكان سبب ذلك أنّ (علي بن إسماعيل الميثمي ويونس بن عبد الرحمن ناظرا بعضَهم فقال له: علي بن إسماعيل وقد اشتد الكلام بينهم: ما أنتم إلّا كلاب ممطورة، أراد: أنّكم أنتن من جيف لأنّ الكلاب إذا أصابها المطر فهي أنتن من الجيف، فلزمهم هذا اللقب فهم يعرفون به اليوم لأنّه إذا قيل للرجل أنّه ممطور فقد عُرف أنّه من الواقفة علىٰ موسىٰ بن جعفر خاصة[١].

موقف الشيخ الطوسي من الواقفة[٢]:

حين نطالع ونفحص كتب الشيخ قدس سره نلاحظ اختلافاً في الموقف بين ما

١. فرق الشيعة – حسن بن موسىٰ النوبختي: ص٨١.

٢. تعداد من ذكرهم الشيخ الطوسي قدس سره من الواقفة في كتابيه الرجال والفهرست، مع توثيقه لبعضهم في الأخير:

١ – أمية بن عمرو، واقفي.، ذكره الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (١٢٢).

٢ – أحمد بن زياد الخزاز، واقفي.

٣ – أحمد بن السري، واقفي.

٤ – إسحاق بن جرير، واقفي.

ذكره الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (٥٣)، وذكر أنّ له أصلاً.

٥ – إبراهيم بن شعيب، واقفي.

٦ – أحمد بن الفضل الخزاعي، واقفي.

٧ – أحمد بن الحارث، واقفي.

ذكره الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (١١٢)، وذكر أنّ له كتاباً.

٨ – بكر بن محمد بن جناح، واقفي.

٩ – جعفر بن حيان، واقفي.

١٠ – جندب بن أيوب، واقفي.

١١ – جعفر بن سماعة، واقفي.

١٢ – الحسين بن المختار القلانسي، واقفي، له كتاب.

١٣ – الحسين بن مخارق، واقفي.

وذكره الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (٢٢٨) وذكر كتابه التفسير، وجامع العلم.←

←١٤ – الحسين بن موسىٰ، واقفي.

١٥ – الحسين بن كيسان، واقفي.

١٦ – الحسين بن قياما، واقفي.

١٧ – درست بن أبي منصور الواسطي، واقفي، روىٰ عن أبي عبد الله عليه السلام، وذكر الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (٢٨٨) درست [الواسطي]، أنّ له كتاباً.

١٨ – داود بن الحصين، واقفي، وذكر الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (٢٧٦) أنّ له كتاباً.

١٩ – زرعة بن محمد الحضرمي، واقفي، وذكر الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (٣١٣) أنّ له كتاباً.

٢٠ – زياد بن مروان القندي، مولى بني هاشم، يكنىٰ أبا الفضل، له كتاب، واقفي، وذكر الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (٣٠٢) أنّ له كتاباً.

٢١ – زيد بن موسىٰ، واقفي.

٢٢ – سلمة بن حيان، واقفي.

٢٣ – سعد بن خلف، واقفي.

٢٤ – سماعة بن مهران، مولىٰ حضرموت، ويقال: مولى خولان، كوفي، له كتاب، روىٰ عن أبي عبد الله عليه السلام، واقفي.

٢٥ – سعد بن أبي عمران، واقفي، أنصاري.

٢٦ – علي بن أبي حمزة البطائني الأنصاري، قائد أبي بصير، واقفي، له كتاب، وذكر الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (٤١٩) أنّ له أصلاً.

٢٧ – عبد الكريم بن عمرو الخثعمي، لقبه كرّام، كوفي، واقفي خبيث، له كتاب، روىٰ عن أبي عبد الله عليه السلام، وذكر الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (٤٨١) أنّ له كتاباً.

٢٨ – عثمان بن عيسىٰ الرواسي، واقفي، له كتاب، وذكره الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (٥٤٦) أن له كتاباً.

٢٩ – علي بن الخطاب، واقفي.

٣٠ – علي بن سعيد المكاري، واقفي.

٣١ – علي بن الحسن الطاطري، واقفي، قال الشيخ في الفهرست تحت الرقم (٣٩١) علي بن الحسن الطاطري، الكوفي، كان واقفيّا، شديد العناد في مذهبه، صعب العصبيّة علىٰ من خالفه من الإماميّة! وله كتب كثيرة في نصرة مذهبه، وله كتب في الفقه، رواها عن الرجال الموثوق بهم وبرواياتهم، فلأجل ذلك ذكرناها.

٣٢ – عبد الله بن عثمان الحناط، واقفي.

٣٣ – عبد الله القصير، واقفي.

٣٤ – عبد الله النخاس، واقفي.←

← ٣٥ – عبد الله بن القاسم الحضرمي، واقفي، وذكر الشيخ ﵀ في الفهرست تحت الرقم (٤٦٥) أنّ له كتاباً.

٣٦ – غالب بن عثمان، واقفي، وذكر الشيخ ﵀ في الفهرست تحت الرقم (٥٦٣) أنّ له كتاباً.

٣٧ – الفضل بن يونس الكاتب، أصله كوفي، تحوّل إلىٰ بغداد، مولي، واقفي، وذكر الشيخ ﵀ في الفهرست تحت الرقم (٥٦٥) أنّ له كتاباً.

٣٨ – القاسم بن محمد الجوهري، له كتاب، واقفي، وذكر الشيخ ﵀ في الفهرست تحت الرقم (٥٧٦) أنّ له كتاباً.

٣٩ – موسىٰ بن بكر الواسطي، أصله كوفي، واقفي، له كتاب، روىٰ عن أبي عبد الله ﵇، وذكر الشيخ ﵀ في الفهرست تحت الرقم (٧١٧) أنّ له كتاباً، رواه عنه أصحاب الإجماع كصفوان وابن أبي عمير، وهكذا في عدد ممّن ترجمنا لهم مما سبق، فينبغي الالتفات لذلك لتعدد المباني في التوثيق وقد عدّ هذا منها.

٤٠ – منصور بن يونس، بزرج، له كتاب، واقفي، وذكر الشيخ ﵀ في الفهرست تحت الرقم (٧٣١) أنّ له كتاباً، وكذا روىٰ كتابه ابن أبي عمير.

٤١ – محمد بن عبد الله الجلاب البصري، واقفي.

٤٢ – محمد بن بكر بن جناح، واقفي.

٤٣ – محمد بن عمرو، واقفي.

٤٤ – يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ﵈، واقفي.

٤٥ – يزيد بن خليفة، واقفي.

٤٦ – يحيىٰ بن القاسم الحذاء، واقفي.

٤٧ – يوسف بن يعقوب، واقفي.

٤٨ – أبو جنادة الأعمىٰ، واقفي.

٤٩ – أبو جعدة، واقفي.

٥٠ – أبو جبل، واقفي.

الثقات من الواقفة عند الشيخ الطوسي:

٥١ – إبراهيم بن عبد الحميد، واقفي، ذكره الشيخ ﵀ في الفهرست تحت الرقم (١٢) وصرّح بتوثيقه، وذكر أنّ له أصلاً.

٥٢ – أحمد بن الحسن الميثمي، واقفي، ذكره الشيخ ﵀ في الفهرست تحت الرقم (٦٦)، وقال عنه ﵀ أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن عبد الله التمّار أبو عبد الله، مولىٰ بني أسد، كوفي صحيح الحديث، له كتاب النوادر، ولم يذكر وقفه، وقد لقّبه الشيخ النجاشي ﵀ ←

كتب التراجم له كالفهرست، ممّا يدعونا للتأمل ودراسة منهجية الشيخ تجاه هذه الحركة.

فنلاحظ مثلاً في كتاب الغيبة أنَّ موقفه سلبي جداً من الواقفة حيث يقول في موضع عنهم: فأمَّا ما ترويه الواقفة فكلُّها أخبار آحاد لا يعضدها حجَّة، ولا يمكن ادِّعاء العلم بصحَّتها، ومع هذا فالرواة لها مطعون عليهم، لا يُوثَق بقولهم ورواياتهم، وبعد هذا كلِّه فهي متأوَّلة[١].

وفي آخر: وإذا كان أصل هذا المذهب أمثال هؤلاء، كيف يُوثَق برواياتهم أو يُعوّل عليها[٢]؟!

وفي ثالث أيضاً قال: والطعون علىٰ هذه الطائفة أكثر من أنْ تُحصىٰ لا نُطوِّل بذكرها الكتاب، فكيف يُوثَق بروايات هؤلاء القوم وهذه أحوالهم وأقوال السلف الصالح فيهم[٣]؟

وهو ما يعطي انطباعاً بأنَّ الشيخ قدس سره يرفض رواياتهم ولا يثق بهم.

←صريحاً بالميثمي وذكر كونه واقفياً، قال الكشي: (أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار مولىٰ بني أسد، قال أبو عمر والكشي: كان واقفاً... حدثنا حميد بن زياد قال: حدثنا الحسن بن محمد بن سماعة قال: حدثنا أحمد بن الحسن الميثمي بكتابه عن الرجال وعن أبان بن عثمان). [فهرست أسماء مصنفي الشيعة - النجاشي: ص٧٤].

٥٣ - حنان بن سدير الصيرفي، واقفي، ذكره الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (٢٥٤) وصرّح بتوثيقه، وذكر أنّ له كتاباً.

٥٤ - الحسن بن محمد بن سماعة، واقفي، مات سنة ثلاث وستين ومائتين، يكنّىٰ أبا علي، له كتب ذكرناها في الفهرست، وذكره الشيخ رحمه الله في الفهرست تحت الرقم (١٩٣)، وقال عنه: (واقفيّ المذهب، إلّا أنّه جيّد التصانيف، نقي الفقه، حسن الانتقاء...). وذكر له عدة كتب منها: كتاب الغيبة.

١. الغيبة - الشيخ الطوسي، ص٧٣.

٢. الغيبة - الشيخ الطوسي، ص٩٨.

٣. الغيبة - الشيخ الطوسي، ص١٠٢.

ولكن حينما نراجع كتاب الرجال والفهرست له قدس سره نجد أنَّه قد وثَّق بعض هؤلاء مع اعترافه بوقفهم كما أشرنا إلىٰ ذلك في الهامش السابق.

ويمكن الجواب عن هذه الرؤية بأحد أمور:

١ - إمكانية تغيير رأيه الشريف فيما بعد، فإنَّه حسب الظاهر قد كتب (الغيبة) قبل الرجال والفهرست فكان رأيه فيهم سلبياً في الغيبة ثم عدل عن هذا الرأي في كتبه الأخرىٰ.

٢ - يحتمل أنَّ قصد الشيخ من عدم الوثوق في كتابه الغيبة خصوص الرؤوس من الواقفة والذين وقفوا بسبب طمعهم بالأموال مع علمهم بالحق، فأمثال هؤلاء كـ(ابن السراج)، بالتأكيد لا يمكن الوثوق برواياتهم، وليس هذا مثل من طرأت عليه الشبهة فوقف لأجلها، فيمكن لأمثال هؤلاء أن يكونوا ثقاتاً مع وقفهم كما هو واضح، وهذا ما ذكره صريحاً في كتابه العدة في الجواب الأول في الموقف من الواقفة والفطحية وغيرهم حيث قال: أنّ ما يرويه هؤلاء يجوز العمل به إذا كانوا ثقات في النقل - وإن كانوا مخطئين في الاعتقاد من القول بالوقف - إذا علم من اعتقادهم وتمسكهم بالدين، وتحرّجهم من الكذب، ووضع الأحاديث، وهذه كانت طريقة جماعة عاصروا الأئمة عليهم السلام نحو عبد الله بن بكير، وسماعة بن مهران، ونحو بني فضال من المتأخرين عنهم، وبني سماعة ومن شاكلهم، فإذا علمنا أنّ هؤلاء الذين أشرنا إليهم وإن كانوا مخطئين في الاعتقاد من القول بالوقف وغير ذلك، كانوا ثقات في النقل، فما يكون طريقة هؤلاء جاز العمل به[1].

٣ - كما يمكن القول بالتفصيل - وإن كان بعيداً - بين المرويات الفقهية فيُؤخذ بها وبين المرويات العقدية فلا يُؤخذ بها، وذلك باعتبار أنَّ منشأ

١. العدة في أصول الفقه - الشيخ الطوسي: ج١، ص١٣٤.

الكذب غير متوفر عندهم في الفقه بخلاف العقائد - خصوصاً أو حصراً بما يخصّ مهدوية الإمام الكاظم عليه السلام - وهذا كما نقوله في الروايات المحمولة على التقية حيث نلاحظ إن كان لها منشأ للتقية فتُحملُ عليها وإن لم يكن هناك منشأ فلا تُحمل على التقية.

٤ - ما ذكره قدس سره في كتابه العدّة في الرأي الثاني له بقوله: وأمّا الفرق الذين أشاروا إليهم من الواقفة، والفطحية وغير ذلك، فعن ذلك جوابان... والجواب الثاني: أنّ جميع ما يرويه هؤلاء إذا اختصوا بروايته لا يُعمل به، وإنّما يُعمل به إذا انضاف إلى روايتهم رواية من هو على الطريقة المستقيمة والاعتقاد الصحيح، فحينئذٍ يجوز العمل به، فأمّا إذا انفرد فلا يجوز ذلك فيه على حال[1].

الفصل الثاني: الموروث المهدوي للحركة الواقفية في مصادر علمائنا:

يُعدّ هذا الفصل محور البحث، وعليه جاء عنوانه، ومن خلاله نتعرف على مدى تغلغل الحركة الواقفية في فكر العقيدة المهدوية، واكتشاف تنوّع محاولاتهم لجرّ النار إلى قرصهم، وحَرف العقيدة المهدوية من أصلها الأصيل إلى القول بمهدوية الإمام الكاظم عليه السلام واستخدامهم لشتى الأساليب في ذلك، فمن الجعل والوضع إلى بالتحريف بالزيادة أو النقصان في الأحاديث الصحيحة وانتهاءً بالتأويلات الباطلة إلى غير ذلك.

الأحاديث التي استدل بها الواقفة لتأييد الحركة، ومناقشتها:

ويمكن تقسيم الروايات المهدوية الواردة في مصادرنا من قِبل الحركة الواقفية إلى أربع طوائف:

١. العدة في أصول الفقه - الشيخ الطوسي: ج١، ص١٣٤.

الطائفة الأولىٰ: ما نطمئن بكذبها ووضعها وجعلها من قبل الحركة الواقفية، وهي بالعشرات، ونستعرض قسماً منها:

الأول: ما جاء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧)، حيث وضعت الحركة بعض الروايات المؤيّدة لمذهبهم، من قبيل ما جاء: عن يونس بن عبد الرحمن عمّن ذكره رفعه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: «إنّ ظاهرها الحمد وباطنها ولد الولد، والسابع منها القائم عليه السلام»[١].

عن القاسم بن عروة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: «سبعة أئمة والقائم عليه السلام»[٢].

عن سماعة قال: قال أبو الحسن عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾: قال: «لم يعطِ الأنبياء إلّا محمداً صلى الله عليه وآله وهم السبعة الأئمة الذين يدور عليهم الفلك، والقرآن العظيم محمد عليه وآله السلام»[٣].

وهذه الطائفة من الروايات تصرّح بأنَّ الأئمة سبعة وإن كان بعضها مضطرباً، ولكن علىٰ العموم هي روايات لا تنسجم مع العقيدة الاثني عشرية الحقّة، وإن كان يمكن القول إنَّ الواضع لهذه الروايات لا يكون من الواقفة اصطلاحاً بل لعله جاء من الحركة الإسماعيلية وقد سبق أن تعرّضنا لبيان أثرهم في الموروث المهدوي في حلقة سابقة عن الحركة الإسماعيلية[٤].

---

١. تفسير العياشي – محمد بن مسعود العياشي: ج٢، ص٢٥٠، ح٣٧.
٢. تفسير العياشي – محمد بن مسعود العياشي: ج٢، ص٢٥٠، ح٣٩.
٣. تفسير العياشي – محمد بن مسعود العياشي: ج٢، ص٢٥١، ح٤١.
٤. الموعود – مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه: العدد ١٥، ص ١١.

وقد صرَّح العلامة المجلسي رضي الله عنه في مرآة العقول بوضع هذه الأحاديث من قِبل الواقفة حيث قال: هذا الخبر وأمثاله من مفتريات الواقفية وقد أورد الشيخ رحمه الله أخبارهم في كتاب الغيبة، وأجاب عنها، علىٰ أنَّه لو صحَّ لأمكن وروده في شأن الباقر عليه السلام إلىٰ آخر الأئمة، وسابعهم القائم، مع أنَّ تشويش الخبر ظاهر، وتصحيح الثمانية يحتاج إلىٰ تكلف شديد[١].

ولكن عند التتبّع في الروايات الأخرىٰ لأهل البيت عليهم السلام لا نجد فيها التخصيص بالقائم، سواء كان علىٰ مستوىٰ التأويل:

مثل رواية حسان العامري قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: «ليس هكذا تنزيلها، إنما هي ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾ نحن هم ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ولد الولد»[٢]، حيث أشارت الرواية إلىٰ بقية الأئمة الاثني عشر بقولها: «ولد الولد».

أو علىٰ مستوىٰ التفسير:

كما جاء عن يونس بن عبد الرحمن عمّن رفعه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: «هي سورة الحمد وهي سبع آيات، منها ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وإنّما سُميت المثاني لأنّها تثنىٰ في الركعتين»[٣].

وكما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سمعت

١. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول – العلامة المجلسي: ج٤، ص١٠٢.
٢. تفسير العياشي – محمد بن مسعود العياشي: ج٢، ص٢٥٠، ح٣٨.
٣. تفسير العياشي – محمد بن مسعود العياشي: ج١، ص١٩.

رسول الله ﷺ يقول: إنَّ الله ﷻ قال لي: يا محمد ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، فأفرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش...»[١].

وعن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: «نعم» قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع؟ قال: «نعم هي أفضلهن»[٢].

الثاني: التقوّل والوضع على أبي بصير في مهدوية الإمام الكاظم عليه السلام: وهو ما أشار الكشي، قال: وجدت في بعض روايات الواقفة: علي بن إسماعيل بن يزيد، قال: شهدنا محمد بن عمران البارقي في منزل علي بن أبي حمزة وعنده أبو بصير، قال محمد بن عمران: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: منا ثمانية محدثون، سابعهم قائمهم، فقام أبو بصير بن أبي القاسم فقبل رأسه، وقال: سمعت من أبي جعفر عليه السلام، منذ أربعين سنة، فقال له أبو بصير: سمعت من أبي جعفر عليه السلام، وإني كنت خماسياً سامعاً بهذا، قال: أسكت يا صبي ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم - يعني القائم عليه السلام -، ولم يقل ابني هذا[٣].

وقد صرّح السيد الخوئي قدس سره بوضع هذه الرواية من قِبل الواقفة حيث قال: يظهر من قول الكشي أنّ الواقفة تمسكوا بهذه الرواية للاستدلال على مذهبهم، ويستلزم ذلك أنّ أبا بصير روى ما ينافي مذهب الحق، ولكن ذلك لم يثبت، فإنّ سند الرواية غير مذكور، فالظاهر أنَّ الرواية من موضوعات الواقفة، على أنَّ متنها مضطرب جداً، ولا يستفاد منها معنى صحيح.

---

١. الأمالي - الشيخ الصدوق: ص٢٤٠، ح٢٥٥ / ٣.
٢. تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي: ج٢، ص٢٨٩، ح١١٥٧/ ١٣.
٣. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) - الشيخ الطوسي: ج٢، ص٧٧٢.

وهكذا ما جاء عن الحسن بن قياما الصيرفي، قال: حججت في سنة ثلاث وتسعين ومائة، وسألت أبا الحسن الرضا عليه السلام فقلت: جعلت فداك ما فعل أبوك؟ قال: «مضىٰ كما مضىٰ آباؤه»، قلت: فكيف أصنع بحديث حدثني به يعقوب بن شعيب، عن أبي بصير: إنَّ أبا عبد الله عليه السلام قال: «إن جاءكم من يخبركم أنّ ابني هذا مات وكفن ولبن وقبر ونفضوا أيديهم من تراب قبره فلا تصدقوا به»؟ فقال: «كذب أبو بصير ليس هكذا حدثه، إنّما قال: إن جاءكم عن صاحب هذا الأمر»[1].

وقد اتّفق علماء الرجال علىٰ وقف الحسن بن قياما وجاء في رواية أنَّه أعدىٰ خلق الله للإمام الرضا عليه السلام[2].

وقد أغنانا السيد الخوئي قدس سره عن بيان ضعفها ومعارضتها بغيرها بقوله: هذه الرواية ضعيفة السند، ولا أقل من جهة الحسن بن قياما الصيرفي، علىٰ أنّها معارضة بعدة روايات، منها: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَاجِيلَوَيْهِ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَىٰ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ رضي الله عنهما، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ الْعَطَّارُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ، عَنْ أَبِي طَالِبٍ عَبْدِ الله بْنِ الصَّلْتِ الْقُمِّيِّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَىٰ، عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأَبُو بَصِيرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ

---

١. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) - الشيخ الطوسي: ج٢، ص٧٧٣، ح ٩٠٢.

٢. قال العلامة الحلي: الحسين بن قياما، من أصحاب الكاظم عليه السلام، واقفي. [خلاصة الأقوال - العلامة الحلي: ص٣٣٨]. وقال صاحب المعالم: إنّ الطريق معتبر عدا ابن قياما فإنّه واقفي. [في التحرير الطاووسي - حسن بن زين الدين العاملي: ص٦٠٨]. وقال الشيخ الطوسي: الحسين بن قياما، واقفي. [الأبواب (رجال الطوسي): ص٣٣٦] وقال الكشي: أبو صالح خلف بن حماد، قال: حدثني أبو سعيد سهل بن زياد الادمي، عن علي بن بن أسباط، عن الحسين بن الحسن، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام إنّي تركت ابن قياما من أعدىٰ خلق الله لك قال: «ذلك شر له»، قلت: ما أعجب ما أسمع منك جعلت فداك، قال: «أعجب من ذلك إبليس، كان في جوار الله عزوجل في القرب منه، فأمره فأبىٰ وتعزّز فكان من الكافرين، فأملىٰ الله له، والله ما عذب الله بشيء أشد من الإملاء، والله يا حسين ما عذبهم الله بشيء أشد من الإملاء». [اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج٢، ص٨٢٨].

مَوْلَىٰ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي مَنْزِلٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ مُحَمَّدُ ابْنُ عِمْرَانَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: «نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ مَهْدِيًّا[١]»، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَصِيرٍ: تَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام؟ فَحَلَفَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَنَّهُ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: لَكِنِّي سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[٢].

علىٰ أنَّ جلالة أبي بصير لا يختلف فيها اثنان، فقد وُصف بالوجيه والثقة وعدّه البعض من أصحاب الإجماع، فلا يمكن أن تصدر منه رواية تخالف مذهب الإمامية الاثني عشرية، لذا فالاطمئنان حاصل بوضع هذه الرواية وجعلها من قِبل الواقفة.

الثالث: ما جاء في نفي وفاة الإمام الكاظم عليه السلام بتعابير مختلفة، وهو ما نقله الشيخ الطوسي قدس سره في الغيبة عن كتاب نصرة الواقفة للعلوي الموسوي، قال: فقد رُوي عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي اَلْحَسَنِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ لِي: «يَا عَلِيُّ، مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّهُ مَرَّضَنِي وَغَمَّضَنِي وَغَسَّلَنِي وَوَضَعَنِي فِي لَحْدِي وَنَفَضَ يَدَهُ مِنْ تُرَابِ قَبْرِي، فَلَا تُصَدِّقْهُ»[٣].

ومن الواضح واقفية السند بـ(علي بن أبي حمزة البطائني)[٤]، و(أبو محمد علي بن أحمد العلوي الموسوي)[٥] مؤلف كتاب نصرة الواقفة.

وهكذا ما روي عن جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ دَاوُدَ اَلصَّرْمِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اَللهِ عليه السلام: «مَنْ جَاءَكَ فَقَالَ لَكَ: إِنَّهُ مَرَّضَ اِبْنِي هَذَا وَأَغْمَضَهُ وَغَسَّلَهُ وَوَضَعَهُ فِي لَحْدِهِ وَنَفَضَ يَدَهُ مِنْ تُرَابِ قَبْرِهِ، فَلَا تُصَدِّقْهُ»[٦].

١. في بعض النُّسَخ: (محدَّثاً).
٢. كمال الدين – الشيخ الصدوق، ج٢، ص٧، ح٢٤٧/ ٦.
٣. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٨٦، ح٤٩.
٤. تقدم في صفحة ٢٥.
٥. تقدم في صفحة ٣٢.
٦. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٨٦، ح٤٨.

ومن الواضح واقفية السند بـ(علي بن أبي حمزة البطائني)[١].

بينما نجد في بعض الروايات الأخرىٰ أنَّها لم تذكر (ابني هذا)، وإنما ذكرت (صاحب الأمر) وهذا ينسجم مع معتقدنا في صاحب الأمر، والذي هو الحجة بن الحسن عجل الله فرجه.

قَالَ [الموسوي في كتابه نصرة الواقفة]: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اَللهِ بْنُ جَبَلَةَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ جَنَاحٍ، عَنْ حَازِمِ اِبْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اَللهِ عليه السلام: إِنَّ أَبَوَيَّ هَلَكَا، وَقَدْ أَنْعَمَ اَللهُ عَلَيَّ وَرَزَقَ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهُمَا وَأَحُجُّ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، ثُمَّ قَالَ بِيَمِينِهِ: «يَا أَبَا حَازِمٍ، مَنْ جَاءَكَ يُخْبِرُكَ عَنْ صَاحِبِ هَذَا اَلْأَمْرِ أَنَّهُ غَسَّلَهُ وَكَفَّنَهُ وَنَفَضَ اَلتُّرَابَ مِنْ قَبْرِهِ فَلَا تُصَدِّقْهُ»[٢].

رَوَىٰ اَلْفَضْلُ بْنُ شَاذَانَ، عَنْ عَبْدِ اَللهِ بْنِ جَبَلَةَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ جَنَاحٍ اَلْجُعْفِيِّ، عَنْ حَازِمِ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اَللهِ عليه السلام: «يَا حَازِمُ، إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا اَلْأَمْرِ غَيْبَتَيْنِ، يَظْهَرُ فِي اَلثَّانِيَةِ، إِنْ جَاءَكَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ نَفَضَ يَدَهُ مِنْ تُرَابِ قَبْرِهِ، فَلَا تُصَدِّقْهُ»[٣].

وهي وإن كان في سندها بعض الواقفة إلّا أنَّها - كما قلنا سابقاً - لا يضر ذلك في صحة مضمونها، باعتبار أنَّ أمثال هؤلاء قد ذكروا هذه الروايات السليمة مضموناً قبل وقفهم، وبعد وقفهم حرّفوا كلمة (صاحب الأمر) بـ(ابني هذا).

الرابع: ما جاء في تأويل السنابل السبعة، فعن المفضل بن محمد الجعفي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال: «الحبة فاطمة صلىٰ الله عليها والسبع السنابل من ولدها

١. تقدم في صفحة ٢٥.
٢. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٨٤، ح٤٦.
٣. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٤٦٣، ح٤٠٧.

سابعهم قائمهم»، قلت الحسن؟ قال: «إنّ الحسن إمام من الله مفترض طاعته ولكن ليس من السنابل السبعة أولهم الحسين وآخرهم القائم»، فقلت: قوله: ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾؟ [البقرة: ٢٦١] قال: «يولد الرجل منهم في الكوفة مائة من صلبه وليس ذاك إلّا هؤلاء السبعة»[١].

وقد ذكر الحر العاملي ﵀ عدَّة إشكالات علىٰ هذا الحديث:

منها: أنَّ هذا المعنىٰ بعيد من ظاهر الآية جداً وكيف يجوز من الحكيم إرادة خلاف الظاهر بغير قرينة ويلزم منه تأخير البيان عن وقت الخطاب بل عن وقت الحاجة.

ومنها: أنَّ الموجود من أولاد فاطمة ﵇ من الأئمة عشرة بل أحد عشر مع الحسن فما وجه الإخبار عنهم بالسبعة.

ومنها: أنَّ إخراج الحسن ﵇ منهم لا يظهر له وجه مع كثرة أولاده وكونه أفضل من الحسين ﵇ كما روىٰ في عدة أحاديث وكما دل عليه تقدّمه عليه وكونه إماماً له[٢].

وهو ﵀ وإن حاول تأويل هذا الحديث والإجابة علىٰ هذه الإشكالات إلّا أنَّ الأمر لا يحتاج إلىٰ مثل هذا التأويل البعيد جداً والذي يحتاج إلىٰ تكلف واضح، وما نطمئن إليه أنَّه من وضع الواقفة.

خامساً: روايات (ابن ستة): منها:

ما رواه المجلسي ﵀ في بحاره: عَنْ وُهَيْبِ بْنِ حَفْصٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ﵇ أَوْ أَبُو عَبْدِ اللهِ ﵇ - الشَّكُّ مِنِ ابْنِ عِصَامٍ -: «يَا أَبَا

١. تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي: ج١، ص١٤٧.
٢. الفوائد الطوسية - الحر العاملي، ص٢٩٨.

مُحَمَّدٍ، بِالْقَائِمِ عَلَامَتَانِ: شَامَةٌ فِي رَأْسِهِ، وَدَاءُ الْحَزَازِ بِرَأْسِهِ، وَشَامَةٌ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، مِنْ جَانِبِهِ الْأَيْسَرِ تَحْتَ كَتِفَيْهِ وَرَقَةٌ مِثْلُ وَرَقَةِ الْآسِ، ابْنُ سِتَّةٍ، وَابْنُ خِيَرَةِ الْإِمَاءِ»[١].

والظاهر واقفية السند بـ(وهيب بن حفص)[٢].

كما صرَّح بواقفية السند الشيخ المجلسي قدس سره في بيانه على هذه الروايات، حيث قال: لعلَّ المعنى ابن ستَّة أعوام عند الإمامة، أو ابن ستَّة بحسب الأسماء فإنَّ أسماء آبائه عليهم السلام محمّد وعليّ وحسين وجعفر وموسى وحسن ولم يحصل ذلك في أحد من الأئمَّة عليهم السلام قبله، مع أنّ بعض رواة تلك الأخبار من الواقفيّة ولا تُقبَل رواياتهم فيما يوافق مذهبهم[٣].

ومنها ما روي عَنِ ابْنِ جَبَلَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ: «مَا وَرَاءَكَ؟»، فَقُلْتُ: سُرُورٌ مِنْ عَمِّكَ زَيْدٍ خَرَجَ يَزْعُمُ أَنَّهُ ابْنُ سِتَّةٍ، وَأَنَّهُ قَائِمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَنَّهُ ابْنُ خِيَرَةِ الْإِمَاءِ، فَقَالَ: «كَذَبَ لَيْسَ هُوَ كَمَا قَالَ، إِنْ خَرَجَ قُتِلَ»[٤].

ومن الواضح واقفية السند بـ(ابن جبلة)[٥].

بقليل من التأمل يتَّضح أنَّها من وضع الواقفة لتطبيقها على الإمام الكاظم عليه السلام باعتبار أنَّ آباءه الأئمة ستة وهو سابعهم وهو القائم، ولكن الصحيح من الروايات أنَّها قالت إنَّ المهدي (ابن سبية)، وهي الأَمَة التي

١. الإمام المهدي في بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ج١، ص٧٥، ح٨٢/ ٢٣.
٢. قال النجاشي: وهيب بن حفص أبو علي الجريري، مولى بني أسد، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، ووقف، وكان ثقة. [فهرست اسماء مصنفي الشيعة – النجاشي: ص٤٣١]
٣. الإمام المهدي في بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ج١، ص٧٥.
٤. الإمام المهدي في بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ج١، ص٧٦، ح٨٥/ ٢٦.
٥. تقدم في صفحة ٣٢.

تُـؤسر في الحـروب عـادة، وهـذا المفهـوم كان شـائعاً في الذهنيـة الشـيعية، ولـذا استند إليـه زيـد رضي الله عنه في قيامـه[١]، ولا أدري لمـاذا هـذا التمحّـل في جعل الروايـة (ابن سـتة) ومـن ثـم الإتيـان بتأويـلات بعيـدة جـدّاً في محاولـة غـير واقعيـة لتصحيـح معناهـا، حيـث قـال المجلسي قدس سره: لعـلّ المعنىٰ ابـن سـتّة أعـوام عنـد الإمامـة، أو ابـن سـتّة بحسـب الأسـماء فـإنَّ أسـماء آبائـه عليهم السلام محمّـد وعـليّ وحسـين وجعفـر وموسىٰ وحسـن ولم يحصـل ذلـك في أحـد مـن الأئمّـة عليهم السلام قبلـه، مـع أنَّ بعـض رواة تلـك الأخبـار مـن الواقفيّـة ولا تُقبَـل رواياتهـم فيـما يوافـق مذهبهـم.

وأنـت تـرىٰ كيـف أنّهـا محاولـة بعيـدة لتأويـل الروايـة، بينـما تسـتقيم الروايـة إذا قُرئـت (ابـن سـبية) ولا تحتـاج للتأويـلات، علـماً أنَّ العلامـة المجلسـي (رضـوان الله عليـه) قـد نبّـه إلىٰ كونهـا مـن مرويـات الواقفـة في بيـان لـه عـلىٰ الروايـة الأولىٰ، وكان مـن الحـريّ بـه رحمه الله عـدم الاكتفـاء بالبيـان السـندي وكونـه واقفيـاً، بـل التنبيـه أيضـاً عـلىٰ التلاعـب الحاصـل في متـن الروايـة إذ لم تحتـج الروايـة إلىٰ مزيـد تحريـف فبـدل (ابـن سـبية) قـال (ابـن سـتة) حتـىٰ تنطبـق بـل وتنحـصر في الإمـام الكاظـم، لأنّ الإمـام الكاظـم عليه السلام كان ابـن أمَـة (وهـي حميـدة المصفّـاة)، لكنّـه غـير مختـص بـه، بـل يشـمل غـيره مـن الأئمـة، ومنهـم الحجـة بـن الحسـن عجل الله فرجه بخـلاف (ابـن سـتة) في الإمـام الكاظـم عليه السلام ولذلـك حرّفوهـا.

ومـن الروايـات التـي تؤيّـد أنَّ الأصـل فيهـا هـو (ابـن سـبية) وليـس (ابـن سـتة) مـا جـاء في كتـاب الغيبـة للنعـماني:

الروايـة الأولىٰ: أَخْبَرَنَـا أَحْمَـدُ بْـنُ مُحَمَّـدِ بْـنِ سَـعِيدٍ، قَـالَ: حَدَّثَنَـا الْقَاسِـمُ

١. جـاء في تاريـخ اليعقـوبي ج٢، ص٣٢٥: ... فكلَّمـه زيـد بـكلام كثـير، فقـال لـه هشـام: لقـد بلغنـي أنـك تؤهـل نفسـك للخلافـة، وأنـت ابـن أمـة، قـال: ويلـك مـكانُ أمـي يضعنـي؟ والله لقـد كان إسـحاق ابـن حـرة وإسـماعيل ابـن أمـة، فاختـص الله عزوجل ولـد إسـماعيل، فجعـل منهـم العـرب، فـما زال ذلـك ينمـي حتـىٰ كان منهـم رسـول الله...

بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْسُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبَلَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، فَقَالَ لِي: «مَا وَرَاءَكَ؟»، فَقُلْتُ: سُرُورٌ مِنْ عَمِّكَ زَيْدٍ، خَرَجَ يَزْعُمُ أَنَّهُ ابْنُ سَبِيَّةٍ، وَهُوَ قَائِمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَنَّهُ ابْنُ خِيَرَةِ الْإِمَاءِ، فَقَالَ: «كَذَبَ لَيْسَ هُوَ كَمَا قَالَ، إِنْ خَرَجَ قُتِلَ»[1].

الرواية الثانية: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ التَّيْمُلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ ابْنَا الْحَسَنِ، عَنْ أَبِيهِمَا، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ الْكُوفَةِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي: «هَلْ صَاحَبَكَ أَحَدٌ؟»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَكُنْتُمْ تَتَكَلَّمُونَ»؟ قُلْتُ: نَعَمْ، صَحِبَنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُغِيرِيَّةِ، قَالَ: «فَمَا كَانَ يَقُولُ؟»، قُلْتُ: كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ هُوَ الْقَائِمُ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ اسْمَهُ اسْمُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَاسْمَ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، فَقُلْتُ لَهُ فِي الْجَوَابِ: إِنْ كُنْتَ تَأْخُذُ بِالْأَسْمَاءِ فَهُوَ ذَا فِي وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ، فَقَالَ لِي: إِنَّ هَذَا ابْنُ أَمَةٍ - يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ -، وَهَذَا ابْنُ مَهِيرَةٍ - يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ -، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «فَمَا رَدَدْتَ عَلَيْهِ؟»، فَقُلْتُ: مَا كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ أَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «أَوَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ ابْنُ سَبِيَّةٍ - يَعْنِي الْقَائِمَ عليه السلام -؟»[2].

الرواية الثالثة: حَدَّثَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ أَحْمَدُ بْنُ هَوْذَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ ابْنُ إِسْحَاقَ النَّهَاوَنْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ حَمَّادٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ،

١. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٣٤٢، ح٢٧٠/ ١٠.
٢. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٣٤٣، ح٢٧٢/ ١٢.

عَنْ أَسْلَمَ المَكِّيِّ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: يُقْتَلُ خَلِيفَةٌ مَا لَهُ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ، وَيُخْلَعُ خَلِيفَةٌ حَتَّىٰ يَمْشِيَ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَرْضِ شَيْءٌ، وَيُسْتَخْلَفُ ابْنُ السَّبِيَّةِ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ: يَا ابْنَ أُخْتِي، لَيْتَنِي أَنَا وَأَنْتَ مِنْ كُورِهِ، قَالَ: قُلْتُ: وَلِمَ تَتَمَنَّىٰ - يَا خَالِ - ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ حُذَيْفَةَ حَدَّثَنِي أَنَّ الْمُلْكَ يَرْجِعُ فِي أَهْلِ النُّبُوَّةِ[١].

سادساً: روايات من كتاب (نصرة الواقفة) للعلوي الموسوي:

ذكر الشيخ الطوسي قدس سره في كتابه الغيبة ما يقرب من (٤٠ رواية) واقفية استدل بها القوم علىٰ مذهبهم، منها:

١ - قَالَ اَلْمُوسَوِيُّ: وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ اَلْحَسَنِ اَلْمِيثَمِيُّ[٢]، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ اَلْمَدَائِنِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ اَللهَ اِسْتَنْقَذَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنِهَا بِمُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ، وَإِنَّ اَللهَ مُسْتَنْقِذٌ هَذِهِ اَلْأُمَّةَ مِنْ فِرْعَوْنِهَا بِسَمِيِّهِ»[٣].

٢ - قَالَ: وَرَوَىٰ جَعْفَرُ بْنُ سَمَاعَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ اَلْحَسَنِ، عَنْ أَبِيهِ اَلْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «اِبْنِي هَذَا - يَعْنِي أَبَا اَلْحَسَنِ عليه السلام - هُوَ اَلْقَائِمُ، وَهُوَ مِنَ اَلْمَحْتُومِ، وَهُوَ اَلَّذِي يَمْلَأُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»[٤].

١. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٣٩٥، ح٣٤٥/ ٣٩.

٢. قال النجاشي: أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار مولىٰ بني أسد. قال أبو عمر والكشي: كان واقفاً، وذكر هذا عن حمدويه عن الحسن بن موسىٰ الخشاب قال: أحمد بن الحسن واقف، وقد روىٰ عن الرضا عليه السلام، وهو علىٰ كل حال ثقة، صحيح الحديث، معتمد عليه. [فهرست أسماء مصنفي الشيعة - النجاشي: ص٧٤].

٣. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٧٤، ح٢٧.

٤. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٧٨، ح٣٣.

٣ - قَالَ: وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمْرَانَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَنْصُورٍ الزُّبَالِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ شَيْخاً بِأَذْرِعَاتٍ - قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ سَنَةٍ -، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيّاً عليه السلام يَقُولُ عَلَىٰ مِنْبَرِ اَلْكُوفَةِ: «كَأَنِّي بِابْنِ حَمِيدَةَ قَدْ مَلَأَهَا عَدْلاً وَقِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَهُوَ مِنْكَ، أَوْ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَقَالَ: «لَا، بَلْ هُوَ رَجُلٌ مِنِّي»[1].

٤ - قَالَ: وَحَدَّثَنِي حَنَانٌ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اَلرَّحْمَنِ اَلْمَسْعُودِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا اَلْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللهِ اَلنُّعْمَانِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «صَاحِبُ اَلْأَمْرِ يُسْجَنُ حِيناً، وَيَمُوتُ حِيناً، وَيَهْرُبُ حِيناً»[2].

وكل هذه الروايات واضحة الوضع وظاهرة الجعل، ولا داعي لمحاولة الشيخ الطوسي قدس سره لتأويلها لكي تتلاءم مع مذهب الاثني عشرية.

الطائفة الثانية: ما نطمئن بحصول الزيادة فيها أو النقصان من قبل الحركة الواقفية، وإن كان أصلها متّفقاً مع الموروث الإمامي، ومنها:

الأول: ما رواه اِبْنُ عُقْدَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ اَلْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ وَعَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ جَمِيعاً، قَالَا: قَالَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ عِيسَىٰ اَلرَّوَّاسِيُّ: حَدَّثَنِي زِيَادٌ اَلْقَنْدِيُّ وَاِبْنُ مُسْكَانَ، قَالَا: كُنَّا عِنْدَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِذْ قَالَ: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمُ اَلسَّاعَةَ خَيْرُ أَهْلِ اَلْأَرْضِ»، فَدَخَلَ أَبُو اَلْحَسَنِ اَلرِّضَا عليه السلام وَهُوَ صَبِيٌّ، فَقُلْنَا: خَيْرُ أَهْلِ اَلْأَرْضِ! ثُمَّ دَنَا فَضَمَّهُ إِلَيْهِ فَقَبَّلَهُ، وَقَالَ: «يَا بُنَيَّ، تَدْرِي مَا قَالَ ذَانِ؟»، قَالَ: «نَعَمْ يَا سَيِّدِي، هَذَانِ يَشُكَّانِ فِيَّ»، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَسْبَاطٍ: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا اَلْحَدِيثِ اَلْحَسَنَ بْنَ مَحْبُوبٍ،

١. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٨٢، ح٤٠.
٢. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٨٩، ح٥٤.

فَقَالَ: بَتَرَ الْحَدِيثَ، لَا وَلَكِنْ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ رِئَابٍ أَنَّ أَبَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَالَ لَهُمَا: «إِنْ جَحَدْتُمَاهُ حَقَّهُ أَوْ خُنْتُمَاهُ فَعَلَيْكُمَا لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. يَا زِيَادُ، لَا تَنْجُبُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ أَبَداً»، قَالَ عَلِيُّ بْنُ رِئَابٍ: فَلَقِيتُ زِيَادَ الْقَنْدِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَالَ لَكَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: أَحْسَبُكَ قَدْ خُولِطْتَ، فَمَرَّ وَتَرَكَنِي، فَلَمْ أُكَلِّمْهُ وَلَا مَرَرْتُ بِهِ، قَالَ الْحَسَنُ بْنُ مَحْبُوبٍ: فَلَمْ نَزَلْ نَتَوَقَّعُ لِزِيَادٍ دَعْوَةَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام حَتَّى ظَهَرَ مِنْهُ أَيَّامَ الرِّضَا عليه السلام مَا ظَهَرَ، وَمَاتَ زِنْدِيقاً[١].

وهذه الرواية صريحة في بترهم للحديث بما يوافق مذهبهم، وفي سندها أكثر من واقفي، حسبك (زياد القندي، وعثمان بن عيسىٰ الرواسي).

الثاني: طائفة من الروايات تشبّه المهدي عجل الله فرجه بيوسف عليه السلام من خلال السجن، منها:

١ – ما رواه عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مُوسَىٰ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبَلَةَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْبَاقِرَ عليه السلام يَقُولُ: «فِي صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ سُنَّةٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَنْبِيَاءَ: سُنَّةٌ مِنْ مُوسَىٰ، وَسُنَّةٌ مِنْ عِيسَىٰ، وَسُنَّةٌ مِنْ يُوسُفَ، وَسُنَّةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)»... قُلْتُ: فَمَا سُنَّةُ يُوسُفَ؟ قَالَ: «السِّجْنُ وَالْغَيْبَةُ»...[٢].

ومن الواضح واقفية السند بـ(عبد الله بن جبلة)[٣]، و(الحسن بن علي

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٩٩، ح٧١.
٢. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٤٣، ح١٦٦/ ٥.
٣. تقدم في صفحة ٣٢.

بن أبي حمزة)[١]، وقد يقال: إنَّ الحسن لم يروِ عن أبي بصير مباشرة، وإنّما روايته بواسطة أبيه علي بن أبي حمزة.

ولا يغيّر ذلك شيئاً من الجعل والوضع، ومن كون السند واقفياً بامتياز، وذلك بالحسن وابن جبلة.

٢ - ما جاء في كتاب كمال الدين لشيخنا الصدوق رحمه الله قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ رضي الله عنه، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْكُوفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ النَّخَعِيُّ، عَنْ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، [عَنْ أَبِيهِ]، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «فِي صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ سُنَّةٌ مِنْ مُوسَىٰ، وَسُنَّةٌ مِنْ عِيسَىٰ، وَسُنَّةٌ مِنْ يُوسُفَ، وَسُنَّةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله... وَأَمَّا مِنْ يُوسُفَ فَالسِّجْنُ وَالْغَيْبَةُ...»[٢].

ومن الواضح أيضاً واقفية السند بـ(الحسن بن علي بن أبي حمزة، وأبيه).

ولكن مع مراجعة لطائفة أخرىٰ من الروايات التي تذكر الشبه بين يوسف عليه السلام ومهدي هذه الأمة عجل الله فرجه لا نجد فيها لفظة (السجن أو الحبس)، وإن كان في سند بعضها واقفة، فلا يضر ذلك، بل هو علىٰ ما نذهب إليه أدلّ باعتبار أنَّ هؤلاء الواقفة ذكروا هذه الروايات كما في الحديث (٣) الآتي - التي ليس فيها كلمة السجن - قبل وقفهم، ممّا يدلّل صريحاً علىٰ وضع

١. قال النجاشي: الحسن بن علي بن أبي حمزة... قال أبو عمرو الكشي فيما أخبرنا به... جعفر بن محمد عنه قال: قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن بن فضال عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني فطعن عليه، وكان أبوه قائد أبي بصير يحيىٰ بن القاسم هو الحسن بن علي بن أبي حمزة مولىٰ الأنصار كوفي، ورأيت شيوخنا رحمهم الله يذكرون أنّه كان من وجوه الواقفة. [فهرست أسماء مصنفي الشيعة - النجاشي، ص٣٦].

٢. كمال الدين - الشيخ الصدوق: ج١، ص٥٠٩، ح٢٣٥/ ١١.

هذه الزيادة من قِبل الحركة الواقفية للاستفادة منها على ما يذهبون إليه من مهدوية الإمام الكاظم عليه السلام، ومن هذه الروايات:

١ - ما جاء في كتاب الغيبة للنعماني، قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ جَمِيعاً، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «خَبَرٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرٍ تَرْوِيهِ، إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً، وَلِكُلِّ صَوَابٍ نُوراً»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّا وَالله لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ مِنْ شِيعَتِنَا فَقِيهاً حَتَّىٰ يُلْحَنَ لَهُ فَيَعْرِفَ اللَّحْنَ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ عَلَىٰ مِنْبَرِ الْكُوفَةِ: إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَناً مُظْلِمَةً عَمْيَاءَ مُنْكَسِفَةً لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا النُّوَمَةُ، قِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا النُّوَمَةُ؟ قَالَ: الَّذِي يَعْرِفُ النَّاسَ وَلَا يَعْرِفُونَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ لله عزوجل، وَلَكِنَّ الله سَيُعْمِي خَلْقَهُ عَنْهَا بِظُلْمِهِمْ وَجَوْرِهِمْ وَإِسْرَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ خَلَتِ الْأَرْضُ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ حُجَّةٍ لله لَسَاخَتْ بِأَهْلِهَا، وَلَكِنَّ الْحُجَّةَ يَعْرِفُ النَّاسَ وَلَا يَعْرِفُونَهُ، كَمَا كَانَ يُوسُفُ يَعْرِفُ النَّاسَ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾ [يس: ٣٠][1].

٢ - ما جاء في كتابه أيضاً، قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله بْنُ مُوسَىٰ الْعَلَوِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله الصَّادِقَ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ فِي صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ لَشَبَهاً مِنْ يُوسُفَ»، فَقُلْتُ: فَكَأَنَّكَ تُخْبِرُنَا بِغَيْبَةٍ أَوْ حَيْرَةٍ؟! فَقَالَ: «مَا يُنْكِرُ هَذَا الْخَلْقُ

١. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٢٠٥، ح١٣٥/ ٢.

المَلْعُونُ أَشْبَاهُ الْخَنَازِيرِ مِنْ ذَلِكَ؟ إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ كَانُوا عُقَلَاءَ أَلِبَّاءَ أَسْبَاطاً أَوْلَادَ أَنْبِيَاءَ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَكَلَّمُوهُ وَخَاطَبُوهُ وَتَاجَرُوهُ وَرَاوَدُوهُ وَكَانُوا إِخْوَتَهُ وَهُوَ أَخُوهُمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ حَتَّىٰ عَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾، فَعَرَفُوهُ حِينَئِذٍ، فَمَا تُنْكِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُتَحَيِّرَةُ أَنْ يَكُونَ اللهُ (جلَّ وعزَّ) يُرِيدُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ أَنْ يَسْتُرَ حُجَّتَهُ عَنْهُمْ؟ لَقَدْ كَانَ يُوسُفُ إِلَيْهِ مُلْكُ مِصْرَ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ مَسِيرَةُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْماً، فَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُعْلِمَهُ بِمَكَانِهِ لَقَدَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَاللهِ لَقَدْ سَارَ يَعْقُوبُ وَوُلْدُهُ عِنْدَ الْبِشَارَةِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ مِنْ بَدْوِهِمْ إِلَىٰ مِصْرَ، فَمَا تُنْكِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ يَكُونَ اللهُ يَفْعَلُ بِحُجَّتِهِ مَا فَعَلَ بِيُوسُفَ، وَأَنْ يَكُونَ صَاحِبُكُمُ الْمَظْلُومُ الْمَجْحُودُ حَقَّهُ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ، وَيَمْشِي فِي أَسْوَاقِهِمْ، وَيَطَأُ فُرُشَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَهُ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ لَهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ نَفْسَهُ كَمَا أَذِنَ لِيُوسُفَ حِينَ قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: ﴿أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠]؟»[١].

٣ – ما رواه شيخنا الصدوق قدس سره في كماله عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «إِنَّ فِي صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ سُنَنٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام ... وَأَمَّا سُنَّتُهُ مِنْ يُوسُفَ فَالسِّتْرُ يَجْعَلُ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ حِجَاباً يَرَوْنَهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ...»[٢].

٤ – ما جاء في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي عن أبي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «فِي الْقَائِمِ شَبَهٌ مِنْ يُوسُفَ»، قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «الْحَيْرَةُ وَالْغَيْبَةُ»[٣].

---

١. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٤١، ح١٦٥/ ٤.
٢. كمال الدين – الشيخ الصدوق: ج٢، ص٣١، ح٢٨٧/ ٤٦.
٣. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٢٠١، ح١٢٥.

٥ – ما جاء في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي عن أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «فِي صَاحِبِ هَذَا اَلْأَمْرِ أَرْبَعُ سُنَنٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أَنْبِيَاءَ... وَأَمَّا سُنَّته مِنْ يُوسُفَ عليه السلام فَالْغَيْبَةُ...»[1].

ونكتفي بهذا القدر، ففيه دلالة علىٰ المطلوب وإن كان هنالك روايات كثيرة غير ما ذكرنا كلها ليس فيها كلمة السجن لا نطيل البحث بذكرها.

الثالث: ما تمنّاه نبي الله موسىٰ عليه السلام في أن يكون هو المهدي:

ما رواه الشيخ الطوسي في غيبته نقلاً عن كتاب نصرة الواقفة للعلوي الموسوي: قَالَ: وَحَدَّثَنِي حَنَانُ بْنُ سَدِيرٍ، قَالَ: كَانَ أَبِي جَالِساً وَعِنْدَهُ عَبْدُ اَللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ اَلصَّيْرَفِيُّ وَأَبُو اَلْمَرَاهِفِ وَسَالِمٌ اَلْأَشَلُّ، فَقَالَ عَبْدُ اَللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ لِأَبِي: يَا أَبَا اَلْفَضْلِ، أَعَلِمْتَ أَنَّهُ وُلِدَ لِأَبِي عَبْدِ اَللهِ عليه السلام غُلَامٌ فَسَمَّاهُ فُلَاناً؟ – يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ –، فَقَالَ سَالِمٌ: إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ؟ فَقَالَ عَبْدُ اَللهِ: نَعَمْ، فَقَالَ سَالِمٌ: وَاَللهِ لَأَنْ يَكُونَ حَقّاً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَنْقَلِبَ إِلَىٰ أَهْلِي بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ وَإِنِّي مُحْتَاجٌ إِلَىٰ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ أَعُودُ بِهَا عَلَىٰ نَفْسِي وَعِيَالِي، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اَللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: بَلَغَنِي فِي اَلْحَدِيثِ أَنَّ اَللهَ عَرَضَ سِيرَةَ قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَىٰ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ، فَقَالَ: اَللَّهُمَّ اِجْعَلْهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ: لَيْسَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلٌ، فَقَالَ: اَللَّهُمَّ اِجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ، فَقِيلَ لَهُ: لَيْسَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلٌ، فَقَالَ: اَللَّهُمَّ اِجْعَلْهُ سَمِيِّي، فَقِيلَ لَهُ: أُعطِيتَ ذَلِكَ[2].

---

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٤٦٤، ح٤٠٨.

٢. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٧٥، ح٢٨.

ومن الواضح واقفية السند بـ(العلوي الموسوي)[١]، و(حنان بن سدير)[٢] في إشارة واضحة إلىٰ مهدوية الإمام الكاظم عليه السلام.

وإذا لاحظنا الروايات الأخرىٰ نجد عدم زيادة «اللهم اجعله سميّي فقيل له أعطيت ذلك»، كما جاء في غيبة النعماني: عَنْ سَالِمٍ الْأَشَلِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْبَاقِرَ عليه السلام يَقُولُ: «نَظَرَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ فِي السِّفْرِ الْأَوَّلِ إِلَىٰ مَا يُعْطَىٰ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ مِنَ التَّمْكِينِ وَالْفَضْلِ، فَقَالَ مُوسَىٰ: رَبِّ اجْعَلْنِي قَائِمَ آلِ مُحَمَّدٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَاكَ مِنْ ذُرِّيَّةِ أَحْمَدَ، ثُمَّ نَظَرَ فِي السِّفْرِ الثَّانِي فَوَجَدَ فِيهِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَقِيلَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ نَظَرَ فِي السِّفْرِ الثَّالِثِ فَرَأَىٰ مِثْلَهُ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَقِيلَ لَهُ مِثْلُهُ»[٣].

الرابع: ما جاء في الإمام الكاظم وأنَّه هو الذي يملأها قسطاً وعدلاً، وهي عدّة روايات، نذكر منها روايتين فقط:

١ – ما رواه الطوسي عن كتاب (نصرة الواقفة) للعلوي: قَالَ: وَحَدَّثَنِي بَحْرُ بْنُ زِيَادٍ اَلطَّحَّانُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّهُمْ يَرْوُونَ أَنَّ أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ بِالْكُوفَةِ عَلَىٰ اَلْمِنْبَرِ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ اَلدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اَللهُ ذَلِكَ اَلْيَوْمَ حَتَّىٰ يَبْعَثَ اَللهُ رَجُلاً مِنِّي يَمْلَأُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «نَعَمْ»، قَالَ: فَأَنْتَ هُوَ؟ فَقَالَ: «لَا، ذَاكَ سَمِيُّ فَالِقِ اَلْبَحْرِ»[٤].

---

١. تقدم في صفحة ٣٢.

٢. عدّه الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب الكاظم عليه السلام قائلاً: حنان بن سدير الصيرفي واقفي. [الأبواب – الشيخ الطوسي: ص٣٣٤].

٣. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٣٥٦، ح٢٩٤/ ٣٤.

٤. الغيبة – الشيخ الطوسي: ٧٦، ح٣٠.

ومن الواضح واقفية السند بـ(الموسوي العلوي)[١]، وقال السيد الخوئي قدس سره: علي بن أحمد لا يعتد برواياته، علىٰ أنَّ بحر بن زياد لم يوثَّق[٢].

٢ - قَالَ: وَرَوَىٰ جَعْفَرُ بْنُ سَمَاعَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ اَلْحَسَنِ، عَنْ أَبِيهِ اَلْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اَللهِ عليه السلام: «اِبْنِي هَذَا - يَعْنِي أَبَا اَلْحَسَنِ عليه السلام - هُوَ اَلْقَائِمُ، وَهُوَ مِنَ اَلْمَحْتُومِ، وَهُوَ اَلَّذِي يَمْلَأُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»[٣].

ومن الواضح واقفية السند بـ(العلوي وجعفر بن سماعة)[٤]، مضافاً إلىٰ التلاعب في متن الرواية، حيث أزادوا جملة (ابني هذا يعني أبا الحسن)، بينما لا توجد في بقية الروايات هذه الزيادة، حيث تشير الروايات التي تصف الإمام المهدي عجل الله فرجه بأنّه يملأها قسطاً وعدلاً بجملة (صاحب هذا الأمر) أو (القائم)، كما روىٰ الصدوق رحمه الله في كماله عن الإمام الصادق عليه السلام: «... إِنَّ اَلْغَيْبَةَ سَتَقَعُ بِالسَّادِسِ مِنْ وُلْدِي، وَهُوَ اَلثَّانِي عَشَرَ مِنَ اَلْأَئِمَّةِ اَلْهُدَاةِ بَعْدَ رَسُولِ اَللهِ صلى الله عليه وآله، أَوَّلُهُمْ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَآخِرُهُمُ اَلْقَائِمُ بِالْحَقِّ، بَقِيَّةُ اَللهِ فِي اَلْأَرْضِ، وَصَاحِبُ اَلزَّمَانِ، وَاَللهِ لَوْ بَقِيَ فِي غَيْبَتِهِ مَا بَقِيَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ اَلدُّنْيَا حَتَّىٰ يَظْهَرَ فَيَمْلَأَ اَلْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً»[٥].

١. تقدم في صفحة ٣٢.

٢. معجم رجال الحديث - السيد الخوئي: ج١١، ص٤٠٥.

٣. الغيبة - الشيخ الطوسي: ٧٨، ح٣٣.

٤. عدَّه البرقي رحمه الله في رجاله (ص ٣٣) من أصحاب الصادق عليه السلام.
وعدَّه المؤلِّف رحمه الله في رجاله (ص ١٧٨/ الرقم ٢١٣٢/ ٧٠) من أصحاب الصادق عليه السلام، وفي (ص ٣٣٤/ الرقم ٤٩٦٩/ ٩)، من أصحاب الكاظم عليه السلام، قائلاً: (واقفي).
واستظهر السيِّد الخوئي قدس سره في معجم رجال الحديث (ج ٥/ ص ٣٧/ الرقم ٢١٧٣) أنَّه جعفر ابن محمّد بن سماعة الذي وثَّقه النجاشي.

٥. كمال الدين - الشيخ الصدوق: ج٢، ص١٧، ح٢٦٤/ ٢٣.

وكذلك ما رواه الكليني في الكافي الشريف عَنْ أَبِي حمزة، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَقُلْتُ لَه: أَنْتَ صَاحِبُ هَذَا الأَمْرِ؟ فَقَالَ: «لَا»، فَقُلْتُ: فَوَلَدُكَ؟ فَقَالَ: «لَا»، فَقُلْتُ: فَوَلَدُ وَلَدِكَ هُوَ؟ قَالَ: «لَا»، فَقُلْتُ: فَوَلَدُ وَلَدِ وَلَدِكَ؟ فَقَالَ: «لَا»، قُلْتُ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: «الَّذِي يَمْلأُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وجَوْراً عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الأَئِمَّةِ كَمَا أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله بُعِثَ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ»[١].

وهكذا لو طالعنا بقية الروايات في صفة الإمام المهدي عجل الله فرجه وأنّه يملأها قسطاً وعدلاً نجدها تنطبق علىٰ الحجة بن الحسن عجل الله فرجه صراحة، وليس فيها زيادة «ذاك سمي فالق البحر» منها ما رواه شيخنا الصدوق رحمه الله في كماله عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليهما السلام يَقُولُ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ عزوجل ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِي، فَيَمْلَأَهَا عَدْلاً وَقِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، كَذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله يَقُولُ»[٢].

وكذلك ما رواه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ خُلَفَائِي وَأَوْصِيَائِي، وَحُجَجَ الله عَلَى الْخَلْقِ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ، أَوَّلُهُمْ أَخِي وَآخِرُهُمْ وَلَدِي»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ أَخُوكَ؟ قَالَ: «عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ»، قِيلَ: فَمَنْ وَلَدُكَ؟ قَالَ: «الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلَؤُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ فِيهِ وَلَدِيَ الْمَهْدِيُّ، فَيَنْزِلَ رُوحُ الله عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ فَيُصَلِّيَ خَلْفَهُ، وَتُشْرِقَ الْأَرْضُ بِنُورِهِ، وَيَبْلُغَ سُلْطَانُهُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ»[٣].

١. الكافي – الشيخ الكليني: ج١، ص٣٤١، ح٢١.
٢. كمال الدين – الشيخ الصدوق: ج١، ص٤٨٨، ح٢١٤/ ٤.
٣. كمال الدين – الشيخ الصدوق: ج١، ص٤٢٤، ح١٦٦/ ٢٧.

الخامس: ما استدل به الواقفة علىٰ مهدوية الإمام الكاظم عليه السلام بروايات غيبته الصغرىٰ والرجوع إلىٰ أهله.

١ – ومن ذلك ما ذكره الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي الشريف عن محمد بن يحيىٰ وأحمد بن إدريس، عن الحسن بن علي الكوفي، عن علي بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، عن مفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لصاحب هذا الأمر غيبتان: إحداهما يرجع منها إلىٰ أهله والأخرىٰ يقال: هلك، في أيِّ وادٍ سلك»، قلت: كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال: «إذا ادّعاها مدَّعٍ فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله»[١].

ومن الواضح واقفية السند بـ(علي بن حسان)[٢].

٢ – حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَبْدِ الله، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَبَاحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحِمْيَرِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ وَيَحْيَىٰ بْنِ الْمُثَنَّىٰ، عَنْ زُرَارَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ لِلْقَائِمِ غَيْبَتَيْنِ، يَرْجِعُ فِي إِحْدَاهُمَا، وَفِي الْأُخْرَىٰ لَا يُدْرَىٰ أَيْنَ هُوَ، يَشْهَدُ الْمَوَاسِمَ، يَرَىٰ النَّاسَ وَلَا يَرَوْنَهُ»[٣].

ومن الواضح واقفية السند بـ(عبد الكريم بن عمرو)[٤].

---

١. الكافي – الشيخ الكليني: ج١، ص٣٤٠، ح٢٠.

٢. قال الكشي: قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن بن علي بن فضال عن علي بن حسان؟ قال: عن أيهما سألت؟ أمّا الواسطي: فهو ثقة، وأمّا الذي عندنا: يروي عن عمه عبد الرحمن بن كثير، فهو كذاب، وهو واقفي أيضاً لم يدرك أبا الحسن موسىٰ عليه السلام. [اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) – الشيخ الطوسي: ج٢، ص٧٤٨].

٣. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٦٠، ح١٨٧/ ١٥.

٤. عدّه الشيخ في أصحاب الكاظم عليه السلام، قائلاً: عبد الكريم بن عمرو الخثعمي – لقبه كرام – كوفي، ←

وهـذه الزيـادة غـير موجـودة في الكثـير مـن الروايـات التـي تتحـدّث عـن الغيبتـين للإمـام عجل الله فرجه، منهـا:

١ - الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الأَنْبَارِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُثَنَّى عَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُكَيْرٍ[١] عَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «لِلْقَائِمِ غَيْبَتَانِ يَشْهَدُ فِي إِحْدَاهُمَا الْمَوَاسِمَ يَرَى النَّاسَ وَلَا يَرَوْنَه»[٢].

٢ - مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «لِلْقَائِمِ غَيْبَتَانِ إِحْدَاهُمَا قَصِيرَةٌ وَالأُخْرَى طَوِيلَةٌ الْغَيْبَةُ الأُولَى لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِهِ فِيهَا إِلَّا خَاصَّةُ شِيعَتِهِ وَالأُخْرَى لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِهِ فِيهَا إِلَّا خَاصَّةُ مَوَالِيه»[٣].

٣ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ[٤]، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَتَيْنِ»، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «لَا يَقُومُ الْقَائِمُ وَلِأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ»[٥].

←واقفي، خبيث، له كتاب، روىٰ عن أبي عبد الله عليه السلام. [الأبواب - الشيخ الطوسي: ص٣٣٩]. وقال الكشي: ثم كرام بن عمرو عبد الكريم: حمدويه، قال: سمعت أشياخي يقولون: إنّ كراماً هو عبد الكريم بن عمرو واقفي. [اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) - الشيخ الطوسي: ج٢، ص٨٣٠]. هذا ولكن قال النجاشي: كان ثقة ثقة عيناً، يُلقّب كراماً. [فهرست أسماء مصنفي الشيعة - النجاشي: ص٢٤٥].

١. عبد الله بن بكير، فطحي المذهب، إلّا أنّه ثقة. [الفهرست - الشيخ الطوسي: ص١٧٣].

٢. الكافي - الشيخ الكليني: ج١، ص٣٣٩، ح١٢.

٣. الكافي - الشيخ الكليني: ج١، ص٣٤٠، ح١٩.

٤. السند معضل أو مضطرب، فإنَّ عليَّ بن الحسن التيملي متأخِّر عن عليِّ بن مهزيار، وأمَّا ابن أبي نجران فمتقدِّم عنه، وكأنَّ فيه تصحيفاً، ولعلَّ الصواب: (وعليُّ بن مهزيار).

٥. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٢٥٤، ح١٧٥/ ٣.

ممّا يدلّل علىٰ أنَّ هذه الزيادة تمت من قبل الحركة الواقفية للاستدلال بها علىٰ قائمية ومهدوية الإمام الكاظم عليه السلام حيث إنَّه سجن مرتين، في السجن الأول أُفرج عنه ورجع إلىٰ أهله، والثاني الذي استشهد فيه والذي قالوا إنَّه غاب.

السادس: ما جاء في كتاب رجال الكشي، قال: حدثني علي بن محمد بن قتيبة، قال: حدثني الفضل، قال: حدثنا محمد ابن الحسن الواسطي، ومحمد بن يونس، قالا: حدثنا الحسن بن قياما الصيرفي قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام فقلت: جعلت فداك ما فعل أبوك؟ قال: «مضىٰ كما مضىٰ آباؤه عليهم السلام».

قلت: فكيف أصنع بحديث حدثني به زرعة بن محمد الحضرمي، عن سماعة ابن مهران، أنَّ أبا عبد الله عليه السلام قال: إنَّ ابني هذا فيه شبه من خمسة أنبياء: يحسد كما حسد يوسف عليه السلام، ويغيب كما غاب يونس، وذكر ثلاثة أخر، قال: «كذب زرعة ليس هكذا حديث سماعة، إنّما قال: صاحب هذا الأمر يعني القائم عليه السلام فيه شبه من خمسة أنبياء، ولم يقل ابني»[١].

ومن الواضح واقفية السند بـ(الحسن بن قياما)[٢] و(زرعة)[٣]، فإن ثبت كذب أصل الرواية بواقفية الصيرفي فهو دليل علىٰ وضعها بأجمعها من خلال الحركة الواقفية، وإن ثبت صحة سؤال الصيرفي للإمام الرضا عليه السلام

١. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) – الشيخ الطوسي: ج٢، ص٧٧٤، ح٩٠٤.

٢. تقدم في صفحة ٤٢.

٣. قال النجاشي: زرعة بن محمد أبو محمد الحضرمي ثقة، روىٰ عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، وكان صحب سماعة وأكثر عنه ووقف. [فهرست أسماء مصنفي الشيعة – النجاشي: ص١٧٦]

تتّضح زيادة عبارة (إنَّ ابني هذا) وذلك لقول الإمام عليه السلام: «كذب زرعة»، فإنَّ الرواية جاءت تحت عنوان (صاحب هذا الأمر) وليس تحت عنوان (ابني هذا) أي الإمام الكاظم عليه السلام.

الطائفة الثالثة: ما نحتمل وضعه وجعله من قبل الحركة الواقفية، ومنها:

الأول: مجموعة من الروايات تتحدث عن عقيدة الناس بوفاة المهدي ثم رجعته:

١ – نذكر روايتين في هذا المقام نحتمل أنَّهما من وضع الواقفة، وهما ما جاء في كتاب الغيبة للشيخ النعماني رحمه الله، قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمِيثَمِيِّ، عَنْ زَائِدَةَ بْنِ قُدَامَةَ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، قَالَ: «إِنَّ الْقَائِمَ إِذَا قَامَ يَقُولُ النَّاسُ: أَنَّىٰ ذَلِكَ وَقَدْ بَلِيَتْ عِظَامُهُ؟!»[١].

ومن الواضح واقفية السند بـ(الحسن بن محمد بن سماعة)[٢] و(أحمد بن الحسن الميثمي)[٣].

٢ – وما جاء فيه أيضاً، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَبَاحٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْحِمْيَرِيِّ، عَنِ

١. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٢٦، ح١٤٦/ ٣.

٢. قال النجاشي: الحسن بن محمد بن سماعة أبو محمد الكندي الصيرفي من شيوخ الواقفة كثير الحديث فقيه ثقة وكان يعاند في الوقف ويتعصب. [فهرست أسماء مصنفي الشيعة – النجاشي: ص٤٠].

٣. تقدم أنه قد لقّبه صريحاً بالميثمي الشيخ النجاشي رحمه الله وذكر كونه واقفياً، قال الكشي: (أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار مولىٰ بني أسد، قال أبو عمر والكشي: كان واقفاً... حدثنا حميد بن زياد قال: حدثنا الحسن بن محمد بن سماعة قال: حدثنا أحمد بن الحسن الميثمي بكتابه عن الرجال وعن أبان بن عثمان). [فهرست أسماء مصنفي الشيعة – النجاشي: ص٧٤].

الْحَسَنِ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَلَّابِ، قَالَ: ذُكِرَ الْقَائِمُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَدْ قَامَ لَقَالَ النَّاسُ: أَنَّىٰ يَكُونُ هَذَا وَقَدْ بَلِيَتْ عِظَامُهُ مُذْ كَذَا وَكَذَا؟!»[1].

ومن الواضح واقفية السند بـ(عبد الكريم بن عمرو)[2].

واحتمال كون هذه الروايات من وضع الواقفة من جهة أنّ العقيدة الشيعية الاثني عشرية في الحجة بن الحسن عجل الله فرجه أنَّه حيٌّ منذ ولادته عام (٢٥٥هـ) إلىٰ أن يظهره الله تعالىٰ فيملأها قسطاً وعدلاً.

وأمّا عقيدة أهل السنة في مهدي الأُمَّة فإنَّها تتلخّص بعدم ولادته وأنَّه سيولد في المستقبل بإذن الله تعالىٰ، فلا يوجد – إذن – من يعتقد في الحجة بن الحسن عجل الله فرجه أنَّه مات وبليت عظامه، إلّا ما كان يخصّ عقيدة الواقفة في مهدوية الإمام الكاظم عليه السلام، فإنَّ الشيعة بأجمعهم عدا الواقفة آنذاك، بل والمسلمين جميعاً يعتقدون بموته، فمن هنا يتعجّبون بحسب هذه الروايات من ظهوره بعد أن بُليت عظامه.

الثاني: حَدَّثَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ أَحْمَدُ بْنُ هَوْذَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّهَاوَنْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ حَمَّادٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنِّي قَدْ دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ وَفِي حَقْوَيَّ هِمْيَانٌ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ، وَقَدْ أَعْطَيْتُ الله عَهْداً

١. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٢٦، ح١٤٧/ ٤.
٢. تقدم في صفحة ٥٩.

أَنَّنِي أُنْفِقُهَا بِبَابِكَ دِينَاراً دِينَاراً، أَوْ تُجِيبَنِي فِيمَا أَسْأَلُكَ عَنْهُ، فَقَالَ: «يَا حُمْرَانُ، سَلْ تُجَبْ، وَلَا تُنْفِقَنَّ دَنَانِيرَكَ»، فَقُلْتُ: سَأَلْتُكَ بِقَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْتَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ وَالْقَائِمُ بِهِ؟ قَالَ: «لَا»، قُلْتُ: فَمَنْ هُوَ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ فَقَالَ: «ذَاكَ الْمُشْرَبُ حُمْرَةً، الْغَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، الْمُشْرِفُ الْحَاجِبَيْنِ، الْعَرِيضُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، بِرَأْسِهِ حَزَازٌ، وَبِوَجْهِهِ أَثَرٌ، رَحِمَ اللهُ مُوسَىٰ»[١].

ونحتمل في هذه الرواية أنّ الزيادة فيها (رحم الله موسىٰ) من وضع الواقفة، وكفانا العلامة المجلسي رحمه الله ببيانه حيث قال: بيان: وقوله عليه السلام: (رحم الله موسىٰ)، لعلَّه إشارة إلىٰ أنَّه سيظنُّ بعض الناس أنَّه القائم وليس كذلك، أو أنَّه قال: (فلاناً) كما سيأتي[٢] فعبَّر عنه الواقفيَّة بموسىٰ[٣].

الثالث: ما استدلت به الواقفة علىٰ مهدوية الإمام الكاظم عليه السلام باختلاف الناس فيه وأنَّ له ولداً، منها ما جاء عن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبَلَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا تَطُولُ حَتَّىٰ يَقُولَ بَعْضُهُمْ: مَاتَ، وَيَقُولَ بَعْضُهُمْ: قُتِلَ، وَيَقُولَ بَعْضُهُمْ: ذَهَبَ، حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ أَمْرِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرٌ، لَا يَطَّلِعُ عَلَىٰ مَوْضِعِهِ أَحَدٌ مِنْ وُلْدِهِ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا الْمَوْلَىٰ الَّذِي يَلِي أَمْرَهُ»[٤].

ومن الواضح واقفية السند بـ(عبد الله بن جبلة)[٥].

---

١. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٣٢٦، ح٢٦٣/ ٣.

٢. ذكر النعماني هذه الرواية قال... حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحِيمِ الْقَصِيرُ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «بِأَبِي ابْنُ خِيَرَةِ الْإِمَاءِ»، أَهِيَ فَاطِمَةُ عليها السلام؟ فَقَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام خِيَرَةُ الْحَرَائِرِ، ذَاكَ الْمُبْدَحُ بَطْنُهُ، الْمُشْرَبُ حُمْرَةً، رَحِمَ اللهُ فُلَاناً». [الغيبة – النعماني: ص٣٤٢، ح٢٦٩/ ٩].

٣. بحار الأنوار – الشيخ المجلسي: ج١، ص٧٤.

٤. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٢٠٠، ح١٢٠.

٥. تقدم في صفحة ٣٢.

وتقريب استدلالهم بأنَّ الإمام الكاظم عليه السلام هو الذي اختلف الناس فيه، فبعض قال: قُتل، وبعض قال: ذهب، كما أنّ الإمام الكاظم عليه السلام هو الذي له ولد وليس لمهدي الاثني عشرية عجل الله فرجه ولد.

ولكن بملاحظة فاحصة لبقية الروايات نجدها لا تذكر أنَّ له ولداً، بل فبدلاً عن كلمة (ولد) توجد كلمة (ولي)، كما في الغيبة للشيخ الطوسي نقلاً عن كتاب (نصرة الواقفة) للعلوي الموسوي: قَالَ: وَرَوَىٰ إِبْرَاهِيمُ بْنُ اَلْمُسْتَنِيرِ، عَنِ اَلْمُفَضَّلِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اَللهِ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا اَلْأَمْرِ غَيْبَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا أَطْوَلُ [مِنَ اَلْأُخْرَىٰ]، حَتَّىٰ يُقَالَ: مَاتَ، وَبَعْضٌ يَقُولُ: قُتِلَ، فَلَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ أَمْرِهِ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ عَلَىٰ مَوْضِعِهِ وَأَمْرِهِ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا اَلْمَوْلَىٰ اَلَّذِي يَلِي أَمْرَهُ»[1].

وكذلك ما جاء في غيبة النعماني قال: وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ حَازِمٍ مِنْ كِتَابِهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْسُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبَلَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ الْجُعْفِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّادِقِ عليه السلام، قَالَ: «إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ غَيْبَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا تَطُولُ حَتَّىٰ يَقُولَ بَعْضُهُمْ: مَاتَ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: قُتِلَ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: ذَهَبَ، فَلَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ أَمْرِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرٌ، لَا يَطَّلِعُ عَلَىٰ مَوْضِعِهِ أَحَدٌ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا الْمَوْلَىٰ الَّذِي يَلِي أَمْرَهُ»[2].

حيث لم تذكر هاتان الروايتان عبارة (أَحَدٌ مِنْ وُلْدِهِ)، بل ذكرت خصوص الولي، إلّا أن يُقال بإمكان حمل هذه الروايات علىٰ قبيل زمن ظهوره فيكون له ولد.

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٩٢، ح٦٠.

٢. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٥٥، ح١٧٧/ ٥.

الطائفة الرابعة: التأويل، فبعض الروايات لم يضعها الواقفة ولم يزيدوا فيها، بل أوّلوها، وذكر الشيخ الطوسي نماذج في ذلك، منها:

الأول: ما جاء في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي قدس سره نقلاً من كتاب (نصرة الواقفة) للعلوي الموسوي: قَالَ: وَحَدَّثَنِي حَنَانُ بْنُ سَدِيرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ اَلْبَزَّازِ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اَللهِ عليه السلام: «إِنَّ صَاحِبَ هَذَا اَلْأَمْرِ يَلِي اَلْوَصِيَّةَ وَهُوَ اِبْنُ عِشْرِينَ سَنَةً».

فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ: فَوَاَللهِ مَا وَلِيَهَا أَحَدٌ قَطُّ كَانَ أَحْدَثَ مِنْهُ، وَإِنَّهُ لَفِي اَلسِّنِّ اَلَّذِي قَالَ أَبُو عَبْدِ اَللهِ عليه السلام[1].

فالرواية وإن كانت واقفية السند بـ(العلوي الموسوي)[2] و(حنان بن سدير)[3] إلّا أنّها ممكن أن تكون صحيحة المضمون، إذ لا يوجد في مضمونها أي إشكال عقدي فهي منطبقة على الإمام الكاظم عليه السلام، ومن الواضح أنَّ المقصود من مصطلح (صاحب هذا الأمر) هو الإمام بشكل مطلق، وهنا قد انطبق على الإمام الكاظم عليه السلام، إذ إنَّ إمامته كانت في سن العشرين، إلّا أنَّ الواقفة تأوّلوا مصطلح (صاحب هذا الأمر) بأنَّه الإمام المهدي وطبّقوه على الإمام الكاظم عليه السلام.

وقد ذكر الشيخ الطوسي قدس سره ذلك بقوله: فليس في هذا الخبر تصريح مَن الذي يقوم بهذا الأمر، وإنَّما قال: يكون ابن عشرين سنة، وحمله الراوي على ما أراد، وقول الراوي ليس بحجَّة...[4].

---

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٨١، ح٣٨.
٢. تقدم في صفحة ٣٢.
٣. تقدم في صفحة ٥٦.
٤. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٨١.

الثاني: ما جاء في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي قدس سره نقلاً من كتاب (نصرة الواقفة) للعلوي الموسوي: قَالَ: وَرَوَىٰ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ اَلْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ اَلرَّحْمَنِ بْنِ اَلْحَجَّاجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ بَنِي فُلَانٍ يَأْخُذُونَنِي وَيَحْبِسُونَنِي»، وَقَالَ: «وَذَاكَ وَإِنْ طَالَ فَإِلَىٰ سَلَامَةٍ»[١].

ونكتفي بما قاله الشيخ الطوسي قدس سره في ردِّه على هذه الرواية الواقفية: فالوجه في الخبر الأوَّل أنَّهم ما يصلون إلىٰ دينه وفساد أمره، دون أنْ لا يصلوا إلىٰ جسمه بالحبس، لأنَّ الأمر جرىٰ علىٰ خلافه، وكذلك قوله: «وَذَاكَ وَإِنْ طَالَ فَإِلَىٰ سَلَامَةٍ» معناه إلىٰ سلامة من دينه.

الثالث: ما جاء في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي قدس سره نقلاً من كتاب (نصرة الواقفة) للعلوي الموسوي: قَالَ: وَحَدَّثَنِي حَنَانُ بْنُ سَدِيرٍ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ اَلْأَبْرَصِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اَللهِ عليه السلام: «عَلَىٰ رَأْسِ اَلسَّابِعِ مِنَّا اَلْفَرَجُ»[٢].

ومن الواضح واقفية السند بـ(العلوي الموسوي)[٣] و(حنان بن سدير)[٤]، أمّا المتن فهو سليم المضمون إذ إنَّ المقصود من قول الإمام الصادق عليه السلام (السابع مِنّا) نفسه الشريفة إلىٰ الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه، فالمجموع سبعة مع دخول الإمام الصادق عليه السلام فيهم.

---

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٩١، ح٥٩.
٢. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٨٤، ح٤٥.
٣. تقدم في صفحة ٣٢.
٤. تقدم في صفحة ٥٦.

إلّا أنَّ الواقفة أوّلوه بأصل الإمامة أي السابع من الأئمة بداية من أمير المؤمنين عليه السلام وانتهاءً بالإمام الكاظم عليه السلام، مضافاً إلىٰ أنَّ المقصود من الفرج قد لا يكون الفرج العام الذي يحصل في زمن الظهور المقدّس وعلىٰ يدي الحجة بن الحسن عجل الله فرجه فيملأها قسطاً وعدلاً، بل لعل المقصود فرج وانفراج خاص يحدث في زمن الإمام الكاظم عليه السلام أو بعده وهو ما حدث فعلاً في عصر الإمام الرضا عليه السلام حيث أصبح ولياً للعهد، وشعر الشيعة بالفرج الكبير وحرية الرأي في ذلك العصر.

الرابع: ما جاء في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي قدس سره نقلاً عن كتاب (نصرة الواقفة) للعلوي الموسوي: قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَعْيَنُ بْنُ عَبْدِ اَلرَّحْمَنِ بْنِ أَعْيَنَ، قَالَ: بَعَثَنِي عَبْدُ اَللهِ اِبْنُ بُكَيْرٍ إِلَىٰ عَبْدِ اَللهِ اَلْكَاهِلِيِّ سَنَةَ أُخِذَ اَلْعَبْدُ اَلصَّالِحُ عليه السلام زَمَنَ اَلْمَهْدِيِّ، فَقَالَ: أَقْرِئْهُ اَلسَّلَامَ وَسَلْهُ أَتَاهُ خَبَرٌ...، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: أَقْرِئْهُ اَلسَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: حَدَّثَنِي أَبُو اَلْعَيْزَارِ فِي مَسْجِدِكُمْ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اَللهِ عليه السلام: «يُقْدَمُ بِصَاحِبِ هَذَا اَلْأَمْرِ اَلْعِرَاقَ مَرَّتَيْنِ، فَأَمَّا اَلْأُولَىٰ فَيُعَجَّلُ سَرَاحُهُ وَيُحْسَنُ جَائِزَتُهُ، وَأَمَّا اَلثَّانِيَةُ فَيُحْبَسُ فَيَطُولُ حَبْسُهُ ثُمَّ يُخْرَجُ مِنْ أَيْدِيهِمْ عَنْوَةً»[1].

ومن الواضح واقفية السند بـ(الموسوي العلوي)[2].

والأوضح من ذلك متنها فإنَّه لا يوجد في رواياتنا حول الحجة بن الحسن عجل الله فرجه أنَّه يأتي مرتين إلىٰ العراق ويُعجّل سراحه في الأولىٰ ويطول حبسه في الثانية، وإنّما ذلك من وضع الواقفة للاستدلال بها علىٰ موقفهم من مهدوية

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٨٧، ح٥٠.
٢. تقدم في صفحة ٣٢.

الإمام الكاظم عليه السلام، إلّا أنّنا نستقرب جداً أن يكون المراد من (صاحب هذا الأمر) هو الإمام من بعد الصادق عليه السلام، وليس المقصود الحجة بن الحسن عجل الله فرجه، ولذلك أشار شيخنا الطوسي قدس سره إلىٰ هذا الأمر بقوله: فهذا الخبر مع أنّه خبر واحد يحتمل أنْ يكون الوجه فيه أنّه يخرج من أيديهم عنوة بأنْ ينقله الله إلىٰ دار كرامته، ولا يبقىٰ في أيديهم يُعذِّبونه ويُؤذونه[1].

ونكتفي بهذا القدر من البحث في أثر الحركة الواقفية في الموروث المهدوي، وإن كان للتوسعة مجال كبير لما بيّناه سابقاً من اتّساع هذه الحركة وشدَّة خطورتها سواء علىٰ مستوىٰ الموروث المهدوي أو علىٰ مستوىٰ الشخصيات الكبيرة التي انتمت إلىٰ هذه الحركة.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.

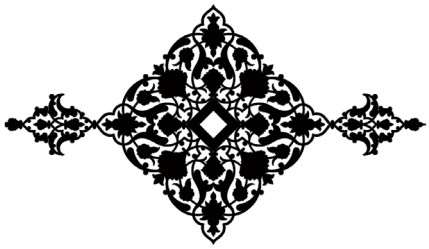

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٨٧.

المعود
ALMAUOOD

أشراط القيام

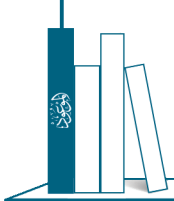

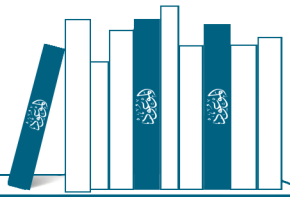

الشيخ جاسم أفضل الوائلي

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا وخاتم المرسلين أبي القاسم محمد وآله الغرّ الميامين، والسلام التامّ الدائم علىٰ خاتم الوصيّين، والمنتجب لإقامة دولة الحقّ من آل ياسين.

وبعد، فإنّ ما تناولته أقلام العلماء والباحثين حول الإمام المهدي عجل الله فرجه يشكّل نسبة ضئيلة ممّا يرتبط به صلوات الله عليه، وممّا لم يكتبوا فيه حسب اطّلاعي المتواضع أشراط القيام الميمون، فإنّ جملة وافرة من الروايات دلّت علىٰ توقّف قيامه عجل الله فرجه علىٰ وقوع بعض الحوادث، فتكون ظاهرة في أنّ تلك الحوادث أشراط للقيام.

وقد عُنيت هذه الرسالة بجمع ما تيسّر من تلك الروايات، مستثنيةً روايات علامات الظهور الحتمية، فإنّ بعضها ظاهر في كونها أشراطاً أيضاً، وإنما استثنيناها لكثرة ما كتب فيها.

وينبغي الالتفات إلىٰ أمرين:

الأمر الأوّل: معرفة الفرق بين العلامات والأشراط، فإنّ العلامات لا بدّ أن تكون معلومة للناس، لأنّ عَلَامِيَّة العلامة تتقوّم بأمور ثلاثة: ذات العلامة، والمُعلَّم بها وهو مدلولها، والمجعول له تلك العلامة وهو الذي يراد إرشاده

إلىٰ شيءٍ ما من خلال تلك العلامة، كإرشاد السائقين إلىٰ بعض الأمور من خلال علامات المرور.

وأمّا الشرطيّة فتتقوّم بأمرين ليس غير: الشرط، والمشروط، فإذا تحقّق الشرط تحقّق المشروط حتىٰ لو لم يعلم الناس بتحقّق الشرط، كاشتعال الحطب بالنار مثلاً، فإنّ اشتعاله لا يتحقّق إلّا بشرط، وهو تقريب النار منه لمسافة تكفي للتأثير فيه، فلو كانت النار في مكان بعيد وهبّت ريح شديدة تسبّبت في انتقال شررها إلىٰ ذلك الحطب فهو يكفي لاشتعاله، ولا يتوقّف ذلك علىٰ علم الناس بأنّ الريح قد نقلت الشرر إليه.

وكذلك الحال في أشراط القيام، وهي الحوادث التي جعل الله تعالىٰ قيام المهديّ عجل الله فرجه متوقّفاً علىٰ حصولها، فمتىٰ حصلت فقد تحقّقت أشراط الظهور، حتىٰ لو لم يعلم الناس بتحقّقها.

الأمر الثاني: ليس المقصود بأشراط القيام ما يحصل القيام بعدها مباشرة، بل يقصد بها ما يتوقّف القيام علىٰ حصولها، بمعنىٰ أنّه لا يحصل قبلها، فخذ مثلاً قراءة كتاب في البصرة وكتاب في الكوفة بالبراءة من علي عليه السلام، فقد جُعل ذلك من أشراط القيام، ولازمه عدم القيام إذا لم يقرأ ذلك الكتاب، وأمّا لو قريء فهل يتحقّق القيام من بعد مباشرة ودون تأخير ليوم أو شهر أو سنة أو سنوات فذاك أمرٌ لا تقتضيه الشرطيّة.

والوجه في ذلك: أنّ المأخوذ في شرطيّة الواقعة تارة يكون شرطاً تاماً وبه تنحصر الشرطيّة، وفي مثل هذا الصنف يتحقّق المشروط بعد تحقّقه مباشرة وبلا فاصل زمنيّ.

وتارة يكون جزءَ الشرط لا تمامه، وفي مثله لا يتحقّق المشروط بمجرّد تحقُّقه، بل لا بدّ أن ينضمّ إليه بقيّة الأجزاء، وفي مثل هذا الصنف إذا انتفىٰ جزء واحد من الأجزاء فينتفي المشروط، إذ يكفي لانتفائه انتفاء بعض أجزاء الشرط.

وتارة يكون الشرط شرطاً طوليّاً، بأن تتوقّف عليه سلسلة من الأحداث، والحدث الأخير هو الشرط الذي يحصل بعده القيام مباشرة، كما لو قلنا إنّ انتقال المرجعيّة إلىٰ فلان من الفقهاء يتوقّف علىٰ موت المرجع فلان، وكانت الإصابة بالمرض الفلاني ممّا يؤدّي إلىٰ الموت، ولكن بعد مرور المريض بمراحل عديدة ربما تستغرق عشر سنين مثلاً، ومن بعدها يتوقّع موته في كلّ لحظة، وفي مثله يصحّ إطلاق اسم الشرط علىٰ إصابة المرجع بهذا المرض، فإذا أصيب به فيصحّ أن يقال حينئذٍ: قد تحقّق شرط انتقال المرجعية من فلان إلىٰ فلان، ولكن من دون إمكان تحديد زمان الانتقال.

وتقع الرسالة في محطّتين:

الأوّلىٰ: في سرد أشراط القيام مجرّدة عن الروايات.

الثانية: في عرض روايات أشراط القيام، مع بيان ما يحتاج إلىٰ بيان من مفرداتها، أو مضامينها، أو إبراز بعض النكات والفوائد العلميّة، أو غير ذلك، مع غض النظر عن التعرّض لحال الأسانيد من حيث الاعتبار وعدمه، لأنّ الغرض من الرسالة فتح الباب أمام العلماء والباحثين لدراسة هذه الروايات من جميع جوانبها.

هذا، وأسأله جلّ وعلا أن ينفعني به، ووالديّ، وسائر المؤمنين، إنّ ربّي جواد كريم.

المحطة الأولىٰ: في سرد أشراط القيام مجرّدة عن الروايات[1]:

والذي عثرنا عليه منها واحدٌ وثلاثون شرطاً، وهي كالتالي:

١ – أن يبرأ الشيعة بعضُهم من بعض.

١. وقد تسأل: ما وجه التعبير في عنوان الرسالة بلفظ (الأشراط) دون لفظ (الشروط) أو (الشرائط). وجوابه: أنّ الغرض من ذلك هو التمييز بينها وبين أشراط الساعة.

٢ – أن يتفل بعضُهم في وجوه بعض.

٣ – أن يشهد بعضهم بالكفر علىٰ بعض.

٤ – أن يلعن بعضُهم بعضاً.

٥ – أن يسمّي بعضُم بعضاً كذّابين.

٦ – اختلاف الشيعة في بقاء حياة المهديّ عجل الله فرجه.

٧ – تمحيص الشيعة وغربلتهم حتىٰ يرجع أكثرهم عن القول بوجود المهدي عجل الله فرجه.

٨ – يأس بعض الشيعة من خروج المهديّ عجل الله فرجه.

٩ – شقاء بعض الشيعة.

١٠ – وقوع فتنة بالشّام لا مخرج منها.

١١ – وقوع قتال في موضع يقع بين الكوفة والحيرة، ويكون القتلىٰ من الطرفين سواء.

١٢ – اجتماع خمسة أمور في سنة واحدة: مجاعة، وخوف شديد من القتل، ونقص الأموال، وانخفاض في عدد السّكان، ونقص في المحاصيل.

١٣ – نار تظهر من أذربيجان لا يقوم لها شيءٌ.

١٤ – وقوع المسخ.

١٥ – نارٌ تقع في الكوفة تأخذ بأوتار آل محمد صلى الله عليه وآله.

١٦ – شهادة اثني عشر رجلاً بأنّهم رأوا المهديّ عجل الله فرجه.

١٧ – وقوع الطاعون الأحمر والطاعون الأبيض.

١٨ – خروج الشيصباني.

١٩ – اكتمال أنصار المهدي عجل الله فرجه والبالغ عددهم عشرة آلاف.

٢٠ – قراءة كتاب بالبصرة وكتاب بالكوفة بالبراءة من عليٍّ عليه السلام!

٢١ – خروج خارج من ولد الشيخ قبل خروج السفياني.

٢٢ – ذهاب ثلثي الناس، وبقاء الشيعة ضمن الثلث الباقي، أو بقاء خصوص الثابتين منهم علىٰ القول بوجود المهدي عجل الله فرجه، أو ذهاب تسعة أعشار الناس وبقاء الشيعة ضمن التُّسع الباقي.

٢٣ – تولّي جميع أصناف الناس الحكم قبل قيام القائم عجل الله فرجه.

٢٤ – خروج اثني عشر هاشميّاً كلٌّ منهم يدعو إلىٰ نفسه.

٢٥ – ذلّ الشيعة، وفقدانهم للمساند.

٢٦ – ظهور ودائع الله عزّ وجلّ.

٢٧ – طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً.

٢٨ – وقوع حروب بين العرب.

٢٩ – اختلاف شديد بين الناس.

٣٠ – تفرُّق الناس في الدين.

٣١ – تغيّر في الأحوال بنحو يجعل الإنسان يتمنّىٰ الموت.

المحطة الثانية: في عرض روايات أشراط القيام، مع بيان ما يحتاج إلىٰ بيان من مفرداتها، أو مضامينها، أو إبراز بعض النكات والفوائد العلميّة، أو غير ذلك:

الشرط الأول[1]: أن يبرأ الشيعة بعضُهم من بعض.

الشرط الثاني: أن يتفل بعضُهم في وجوه بعض.

الشرط الثالث: أن يشهد بعضهم بالكفر علىٰ بعض.

الشرط الرابع: أن يلعن بعضُهم بعضاً.

[١] النعماني (المتوفىٰ في حدود سنة ٣٦٠هـ)، قال: أخبرنا أحمد بن محمد

١. ليس مقصودنا من توصيف الشروط بالأول والثاني وهكذا أن نفاضل بينها، بل المقصود مجرّد الترتيب في سردها.

بن سعيد[١]، قال: حدّثنا القاسم بن محمد بن الحسن بن حازم، قال: حدّثنا عبيس بن هشام، عن عبد الله بن جبلة، عن مسكين الرحّال، عن علي بن أبي المغيرة، عن عميرة بنت نفيل، قالت: سمعت الحسين بن علي عليهما السلام يقول: «لا يكون الأمر الذي تنتظرونه حتىٰ يبرأ بعضكم من بعض، ويتفل بعضكم في وجوه بعض، ويشهد بعضكم علىٰ بعض بالكفر، ويلعن بعضكم بعضاً»، فقلت له: ما في ذلك الزمان من خير؟ فقال الحسين عليه السلام: «الخير كلّه في ذلك الزمان، يقوم قائمنا، ويدفع ذلك كلّه»[٢].

ورواه الطوسي في غيبته[٣]، ولكن جاء فيها: (ويرفع) بالراء بدل (ويدفع) بالدال، وهو الصحيح، لأن رفع الشيء إزالته بعد وقوعه، وأما دفعه فهو المنع منه قبل وقوعه.

أقول: والظاهر - بقرينة وقوع هذه الأفعال من بعض الشيعة في حقّ بعض آخر في أزمنة متفرّقة - أنّ المراد منها ليس مجرّد صدورها من بعضهم في حقّ بعض، بل المراد أن ذلك سيكون ظاهرةً تعمُّ الوسط الشيعي.

ويؤكّد الشرطين الثاني والرابع: الرواية الآتية بتسلسل [٢].

كما يؤكّد خصوص الشرط الثاني: الرواية الآتية بتسلسل [٧].

الشرط الخامس: أن يسمّي بعضُم بعضاً كذّابين.

[٢] النعماني: أخبرنا علي بن أحمد، قال: أخبرنا عبيد الله بن موسىٰ العلوي، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن جبلة، عن بعض رجاله، عن

١. وهو المعروف بابن عُقدة كما سيأتي التصريح بذلك في بعض الأحاديث الآتية، وهو زيديُّ المذهب، لكنّه ثقة، والنعماني يروي عنه كثيراً، ما يدلّ علىٰ أنّه شيخه، وأنّه معاصر للشيخ الكليني قدس سره، فإن الكليني شيخ للنعماني أيضاً.

٢. الغيبة: ٢١٣، الباب١٢، الحديث٩.

٣. الغيبة: ٤٣٧، الحديث٤٢٩.

أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: «لا يكون ذلك الأمر حتىٰ يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتىٰ يلعن بعضكم بعضاً، وحتىٰ يسمّي بعضكم بعضاً كذّابين»[١].

ويؤكّد هذا الشرط: الرواية الآتية بتسلسل [٧] أيضاً.

ولعلّك تقول: لا يخلو زمان من تكذيب بعض الشيعة بعضاً، فلا يصحّ جعل ذلك شرطاً.

والجواب: أنّ الرواية لم تقل: يُكذِّب بعضهم بعضاً، بل قالت: «يسمّي بعضهم بعضاً كذّابين»، ولا بدّ من افتراض أمور ثلاثة علىٰ أقل تقدير ليصحّ جعل ذلك شرطاً:

أحدها: أن يكون ناسب الكذب أو المنسوب إليه ممّن له مكانة وكلمة مسموعة في الوسط الشيعي، وإلّا فصدور التكذيب من الأشخاص المغمورين وكذا نسبة الكذب إليهم أمر لا يخلو منه زمان، مضافاً إلىٰ أنّه ليس ذا قيمة وأثر.

ثانيها: أن يكون متعلّق التكذيب أمراً ذا أهمّية، كانتشار دعاوىٰ دينيّة خطيرة، بحيث تدعو الشيعة أو بعضهم إلىٰ تكذيب مدّعيها.

ثالثها: أن تكون نسبة الكذب إلىٰ الآخر بنحو الصفة الثابتة له، فناسب الكذب لا يريد تكذيب المدّعي في قضيّة أثرها عابرٌ ومنقضٍ، بحيث يقال له: (كذب فلانٌ)، بل يريد جعل الكذب صفةً لازمة له، بحيث يقال: (فلان من الكذّابين).

وباجتماع هذه الأمور الثلاثة تصبح تسمية هذه الشريحة من الشيعة بالكذّابين قضيّةً ملفتةً للنظر، بحيث يصدق أنّها غير مسبوقة، ولا مانع عقلاً من جعل ذلك شرطاً.

١. الغيبة: ٢١٣، الباب١٢، الحديث١٠.

ويؤيّده: الحديث الذي رواه النعماني بعد هذا الحديث، قال: وأخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا علي بن الحسن التيملي، قال: حدّثنا محمد وأحمد ابنا الحسن، عن أبيهما، عن ثعلبة بن ميمون، عن أبي كهمس، عن عمران بن ميثم، عن مالك بن ضمرة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا مالك بن ضمرة، كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا؟»، وشبّك أصابعه، وأدخل بعضها في بعض، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما عند ذلك من خير؟ قال: «الخير كلّه عند ذلك، يا مالك؛ عند ذلك يقوم قائمنا، فيقدّم سبعين رجلاً يكذبون على الله، وعلىٰ رسوله، فيقتلهم، ثمّ يجمعهم الله علىٰ أمرٍ واحدٍ»[١].

وها أنت ترىٰ أنّه صريح في أنّ سبب قتل القائم عجل الله فرجه لهؤلاء السبعين هو كذبهم علىٰ الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ولابدّ أن يكون كذبهم لتحقيق أمور خطيرة لها تبعاتها، من قبيل أن يكون كلّ واحد من السبعين صاحب دعوىٰ وله أتباع، وذلك بقرينة اجتماع الشيعة علىٰ أمر واحد بعد مقتل هؤلاء السبعين، وهو يُشعر بأنّ الفرقة بين الشيعة كانت بسبب اتّباعهم لهؤلاء الكذّابين الذين تختلف دعوة كلٍّ منهم عن دعوة الآخر، بنحو يوجب الفرقة بين الشيعة.

الشرط السادس: اختلاف الشيعة في بقاء حياة الإمام المهدي عجل الله فرجه:

[٣] النعماني: حدّثنا محمد بن همام، قال: حدّثنا حميد بن زياد الكوفي، قال: حدّثنا الحسن بن محمد بن سماعة، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن زائدة بن قدامة، عن عبد الكريم، قال: ذُكر عند أبي عبد الله عليه السلام القائم، فقال: «أنّىٰ يكون ذلك ولم يستدر الفلك، حتىٰ يقال: مات، أو هلك، في أيّ واد سلك»؟ فقلت: وما استدارة الفلك؟ فقال: «اختلاف الشيعة بينهم»[٢].

ويؤيّده: الرواية المتقدّمة عن مالك بن ضمرة.

١. الغيبة: ٢١٣، الباب١٢، الحديث١١.

٢. الغيبة: ١٥٩، الباب١٠، الحديث٢٠.

أقول: كأنّ المراد من استدارة الفلك الكناية عن اندثار الشيء وهلاكه، نظير قولهم: «أتىٰ عليه الدهر» كناية عن ذلك، ومنه قولهم: «أكل عليه الدهر وشرب».

ويؤيّده: ما ذكره ابن أبي الحديد في سبب تسمية كتابه (الفلك الدائر) الذي ألّفه لنقد كتاب (المثل السائر) لابن الأثير الجزري، حيث قال: (وقد سمّيت هذا الكتاب: الفلك الدائر علىٰ المثل السائر؛ لأنّه شاع من كلامهم وكثر في استعمالهم أن يقولوا لِمَا بَادَ ودَثَرَ: (قد دار عليه الفلك)، كأنّهم يريدون: أنّه قد طَحَنَهُ، ومحَا صورته، من ذلك قول أبي العتاهية:

إِنْ كُنْتَ تَنْشُدُهُمْ فَإِنَّهُمُ هَمَدُوْا ودَارَ عَلَيْهِمُ الفَلَكُ) انتهىٰ[1].

ولعلّ الوجه في تفسير الإمام عليه السلام استدارة الفلك باختلاف الشيعة كونه من مصاديق ذلك، بأن يكون المراد أنّ الفلك سيدور علىٰ توحُّد الشيعة وإجماعهم علىٰ وجود الإمام المهدي عجل الله فرجه واستمرار حياته، فتندثر تلك الوحدة، ويزول ذلك الإجماع، ويصيرون فرقتين: فرقة تثبت علىٰ الاعتقاد بحياته عجل الله فرجه، وفرقة تنكر ذلك، وفرقة تُشكّ فيه.

ولذا لابدّ أنّ يكون الخلاف المشار إليه متعلّقاً ببقاء حياته عجل الله فرجه، فيثبته بعض، وينكره آخر، ويشكُّ فيه ثالث، لا أنّ الخلاف متعلّق بشيءٍ آخر لا ربط بينه وبين هذه المسألة، سواء كان خلافاً في هذه المسألة ابتداءً، أم في مسألة أخرىٰ يجرُّ الخلاف فيها إلىٰ الخلاف في هذه، كما لو ادَّعت جماعة ضالة من شيعة آخر الزمان نحواً من القيادة الدينية لبعض الرموز الضالة والمضلة، بحيث تستغني حسب اعتقادها بقيادته عن قيادة الإمام المهدي عجل الله فرجه، وحيث لا يتهيّأ لها ذلك فتعمد إلىٰ التشكيك في بقائه عجل الله فرجه علىٰ قيد الحياة، وتقول كما حكاه الإمام عليه السلام عن لسانهم: «مات، هلك، في أيّ وادٍ سلك».

١. الفلك الدائر: ٣٥. وجاء في هامش الكتاب أنّ البيت ليس في ديوان أبي العتاهية.

والرواية صريحة في عدم تحقّق القيام قبل وقوع الخلاف المذكور، فيكون ذلك من أشراط القيام.

ويعضد هذا المضمون روايات أخرىٰ نقلها النعماني قبل هذه الرواية، ممّا اشتمل علىٰ مقالة: «مات، هلك، في أيّ وادٍ سلك؟»، ولكن من دون دلالة علىٰ كونه شرطاً للقيام، فلاحظ الأحاديث: (٩ و١٠ و١٢ و١٨ و١٩).

وروىٰ هذه المقالة أيضاً الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ)، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد القاساني، جميعاً، عن زكريا بن يحيىٰ بن النعمان الصيرفي، عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام[١].

ورواها علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت ٣٢٩هـ): عن سعد، والحميري، وابن إدريس، قالوا: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسىٰ، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب، ومحمد بن عبد الجبار، وعبد الله بن عامر بن سعد الأشعري، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن محمد بن المساور، عن المفضل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام[٢].

ورواها عنه ابنه محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، وعن محمد بن الحسن بن الوليد بالسند المذكور[٣].

ورواها المفيد (ت ٤١٣هـ)، عن أبي القاسم جعفر بن محمد، عن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، وعلي بن محمد القاساني جميعاً، عن زكريا بن يحيىٰ بن النعمان، عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام[٤].

---

١. الكافي ١: ٣٢٢، الحديث ١٤.
٢. الإمامة والتبصرة: ١٢٥، الحديث ١٢٥.
٣. كمال الدين: ٣٤٧، الباب ٣٣، الحديث ٣٥.
٤. الإرشاد ٢: ٢٧٥.

ورواها الطوسي (ت ٣٦٠هـ) بسنده، عن أحمد بن إدريس، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي نجران، عن عمرو بن مساور، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام[١].

بقي هنا شيءٌ:

هل أنّ الاستفهام الوارد في تلك المقالة مختصٌّ بالعبارة الأخيرة - أعني قوله عليه السلام: «في أيّ وادٍ سلك؟» -، أو يعمُّ العبارات الثلاث؟

فبناءً على اختصاصها بالأخيرة تكون هذه الجماعة من الشيعة على ثلاثة أصناف:

صنفين ينكران بقاء الإمام المهدي عجل الله فرجه على قيد الحياة، وصنف متردّد في ذلك.

أمّا الصنف الأول فيقول: (مات)، فهو يعتقد بموته عجل الله فرجه.

وأمّا الصنف الثاني فيقول: (هلك)، فهو يعتقد بهلاكه عجل الله فرجه.

وبقرينة عطف الهلاك على الموت يستظهر إرادة معنىً للهلاك مغايرٍ لمعنىً الموت، بأن يحمل الأوّل على الموت حتف أنفه، والثاني على القتل، والله العالم.

وأمّا الصنف الثالث فيشكُّ في بقائه عجل الله فرجه، فهو يتساءل ويقول: «في أيّ وادٍ سلك»؟ كأنّه يريد القول: في أيِّ طريق مضىٰ وترك شيعته بلا إمام؟

وبناءً على هذا الاحتمال - اختصاص الاستفهام بالعبارة الأخيرة - يكون المراد من اختلاف الشيعة افتراقها إلىٰ أربع فرق:

١ - فرقة تثبت على الاعتقاد ببقائه عجل الله فرجه حيّاً.

---

١. الغيبة: ٣٣٧، الحديث ٢٨٥. والمراد من سنده إلىٰ أحمد بن إدريس ما ذكره في الحديث ٢٨١، وهو: الحسين بن عبيد الله، عن أبي جعفر محمد بن سفيان البزوفري، عن أحمد بن إدريس.

٢ – فرقة تقول بموته عجل الله فرجه حتف أنفه.

٣ – فرقة تقول بقتله.

٤ – فرقة تشكّ في ذلك كلّه، ولذا فهي تتساءل: (مات؟، هلك؟، في أيّ وادٍ سلك؟).

وأمّا بناءً على عموم الاستفهام للعبارات الثلاث فتكون هذه الفرقة بأجمعها مترددّةً وشاكة في بقائه عجل الله فرجه، ومقتضاه أن تكون الشيعة فرقتين فحسب:

١ – فرقة تثبت على الاعتقاد ببقاء حياته عجل الله فرجه.

٢ – فرقة تشكّ، وتتردّد بين الأمور الثلاثة.

ويجدر الالتفات إلى أنّ كلًّا من المعتقد بموته عجل الله فرجه والمعتقد بهلاكه والمتردّد في بقائه كلّهم يتراجعون عن الاعتقاد ببقاء حياته عجل الله فرجه، وهو ما صرّحت به الروايات، كالروايات التي تأتي في الشرط السابع، وكالرواية التي رواها الصدوق بسنده، عن عبد الرحمن بن سليط، قال: قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: «مِنّا اثنا عشر مهديّاً، أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحقّ، يحيي الله تعالى به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحقّ على الدين كلّه ولو كره المشركون، له غيبةٌ يرتدُّ فيها قومٌ، ويثبت على الدين فيها آخرون، فيؤذَونَ، فيقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ أما إنّ الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله»[1]، فإنّه صريح برجوع جماعة من الشيعة عن الاعتقاد بوجود الإمام المهدي عجل الله فرجه، سواء كان الرجوع باعتقاد موته عجل الله فرجه حتف أنفه، أو قتله، أو بعروض الشكّ في بقائه عجل الله فرجه، أجارنا الله من الخذلان.

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦٩، الحديث٣٦. ورواه في كمال الدين ١: ٣١٧، الباب٣١، الحديث٣.

الشرط السابع: تمحيص الشيعة وغربلتهم حتىٰ يرجع أكثرهم عن القول بوجود الإمام المهدي عجل الله فرجه:

[٤] النعماني: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثني أحمد بن يوسف الجعفي أبو الحسن من كتابه، قال: حدّثنا إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، ووهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: «مع القائم من العرب شيءٌ يسير»، فقيل له: إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير، قال: «لابدّ للنّاس من أن يُمَحَّصوا، ويُمَيَّزُوا، ويُغَربَلُوا، وسيخرج من الغربال خلقٌ كثيرٌ»[١].

ورواه بسندين آخرين:

أحدهما: أخبرنا علي بن الحسين، قال: حدّثنا محمد بن يحيىٰ العطار، قال: حدّثنا محمد بن حسان الرازي، قال: حدّثنا محمد بن علي الكوفي، عن الحسن بن محبوب الزرّاد، عن أبي المغرا، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام، الحديث[٢].

أقول: المراد بعلي بن الحسين في أوّل السند هو علي بن الحسين بن بابوية القمّي قدس سره والد الشيخ الصدوق قدس سره، فهو شيخ النعماني، كالكليني قدس سره.

ثانيهما: حدّثنا محمد بن يعقوب الكليني، عن محمد بن يحيىٰ والحسن بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن القاسم بن إسماعيل الأنباري، عن الحسن بن علي، عن أبي المغرا، عن ابن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، الحديث[٣].

---

١. الغيبة: ٢١٢، الباب١٢، الحديث٦.

٢. الغيبة: ٢١٢، الباب١٢، الحديث٧.

٣. الغيبة: ٢١٢، ذيل الحديث٧.

ولعلّك تشكل: بأنّ الحديث مشتمل علىٰ ما يصعب الالتزام به، من أن العرب لن يكونوا مع الحجة إلّا اليسير منهم.

وجوابه: أنّ من المحتمل أن يكون المراد من العرب خصوص الذين سيدركون الظهور المبارك، وأمّا من مات منهم عبر القرون معتقداً لهذا الأمر ولم يبدّل فلا يحصون عدداً، بحيث لو رجعوا معه ﷺ - كما يستفاد من روايات الرجعة - لكانوا بأعداد كبيرةٍ جدّاً.

إن قلت: لكن يبقىٰ هذا مجرّد احتمال لا يندفع به الإشكال.

قلت: هذا لو كان الاحتمال ضعيفاً، لكنه ليس كذلك، فإنّه احتمال معتدٌّ به، فيندفع به الإشكال المذكور، لأنّ المورد من موارد كفاية الاحتمال المعتدّ به.

[٥] النعماني: أخبرنا علي بن أحمد، قال: حدّثنا عبيد الله بن موسىٰ، قال: حدّثنا محمد بن موسىٰ، عن أحمد بن أبي أحمد، عن إبراهيم بن هلال، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، مات أبي علىٰ هذا الأمر، وقد بلغت من السنين ما قد ترىٰ، أموت ولا تخبرني بشيءٍ؟ فقال: «يا أبا إسحاق، أنت تعجل». فقلت: إي والله أعجل، وما لي لا أعجل وقد كبر سنّي، وبلغت أنا من السنّ ما قد ترىٰ؟ فقال: «أما والله - يا أبا إسحاق - ما يكون ذلك حتّىٰ تُمَيَّزُوا وتُمَحَّصُوا، وحتىٰ لا يبقىٰ منكم إلَّا الأقلّ»، ثم صَعَّرَ كَفَّهُ[1].

ويؤيّده: ما رواه النعماني نفسه قبل روايته لهذا الحديث، قال: وأخبرنا علي بن أحمد، قال: أخبرنا عبيد الله بن موسىٰ، عن رجل، عن العباس بن عامر، عن الربيع بن محمد المسلي من بني مسلية، عن مهزم بن أبي بردة الأسدي وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: «والله لَتُكَسَّرُنَّ تَكسُّرَ الزجاج،

١. الغيبة: ٢١٦، الباب١٢، الحديث١٤. صَعَّرَ بفتح الصاد، وفتح العين مع التشديد: بمعنىٰ أمال كفّه.

وإنّ الزجاج لَيُعاد فيعود كما كان، والله لَتُكَسَّرُنَّ تَكسُّرَ الفَخَّارِ، وإنَّ الفَخَّارَ لَيَتَكَسَّرُ فلا يعود كما كان، ووالله لَتُغَربَلُنَّ، ووالله لَتُمَيَّزُنَّ، ووالله لَتُمَحَّصُنَّ حتىٰ لا يبقىٰ منكم إلّا الأقلُّ»، وصَعَّرَ كَفَّهُ[١].

وإنّما جعلنا هذه الرواية مؤيّداً ولم نجعلها في روايات أشراط القيام لعدم تعرّضها لذلك.

[٦] النعماني: وأخبرنا علي بن أحمد، قال: حدّثنا عبيد الله بن موسىٰ، قال: حدّثنا محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيىٰ، قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «والله لا يكون ما تمدُّون إليه أعينكم حتىٰ تُمَحَّصُوا وتُمَيَّزُوا، وحتىٰ لا يبقىٰ منكم إلّا الأندر فالأندر»[٢].

[٧] النعماني: وأخبرنا أبو سليمان أحمد بن هوذة بن أبي هراسة الباهلي، قال: حدّثنا إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، قال: حدّثنا عبد الله بن حمّاد الأنصاري، عن صباح المزني، عن الحارث بن حصيرة، عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «كونوا كالنحل في الطير، ليس شيءٌ من الطير إلّا وهو يستضعفها، ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك، خالطوا الناس بألسنتكم وأبدانكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم، فوالّذي نفسي بيده ما ترون ما تحبّون حتىٰ يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتىٰ يسمّي بعضكم بعضاً كذّابين، وحتىٰ لا يبقىٰ منكم - أو قال: من شيعتي - إلّا كالكحل في العين، والملح في الطعام، وسأضرب لكم مثلاً، وهو مثل رجلٍ كان له طعامٌ، فنَقَّاهُ، وطَيَّبَهُ، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله، ثمّ عاد إليه، فإذا هو قد أصابه السُّوس، فأخرجه، ونَقَّاهُ، وطَيَّبَهُ، ثم

١. الغيبة: ٢١٦، الباب١٢، الحديث١٣.
٢. الغيبة: ٢١٦، الباب١٢، الحديث١٥.

أعاده إلىٰ البيت، فتركه ما شاء الله، ثمّ عاد إليه، فإذا هو قد أصابته طائفة من السُّوس، فأخرجه، ونَقَّاهُ، وطَيَّبَهُ، وأعاده، ولم يزل كذلك حتىٰ بقيت منه رُزمةٌ كرُزمةِ الأندر، لا يضرُّه السُّوس شيئاً، وكذلك أنتم، تُمَيَّزُون حتىٰ لا يبقىٰ منكم إلّا عصابةٌ لا تضرُّها الفتنة شيئاً»[١].

ثم ذكر لهذا الحديث سنداً آخر، فقال: حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا علي بن الحسن التيملي، قال: حدّثنا محمد، وأحمد ابنا الحسن، عن أبيهما، عن ثعلبة بن ميمون، عن أبي كهمس، وغيره، ورفع الحديث إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

وقد اشتملت هذه الرواية علىٰ الشرطين الثاني والخامس أيضاً، فتكون مؤكّدةً لهما كما نوّهنا هناك.

ويؤكّد هذا الشرط: الرواية الآتية بتسلسل [٨].

أقول: ومقتضىٰ هذا العدد من الروايات أن يكون ثبوت هذا الشرط مستفيضاً.

الشرط الثامن: يأس بعض الشيعة من خروج المهديّ عجل الله فرجه.

الشرط التاسع: شقاء بعض الشيعة.

[٨] الكليني: محمد بن الحسن، وعلي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن سنان، عن محمد بن منصور الصيقل، عن أبيه، قال: كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبد الله عليه السلام يسمع كلامنا، فقال لنا: «في أي شيءٍ أنتم؟ هيهات، هيهات، لا والله لا يكون ما تمدُّون إليه أعينكم حتىٰ تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدُّون إليه أعينكم حتىٰ

١. الغيبة: ٢١٧، الباب١٢، الحديث١٧.

٢. الغيبة: ٢١٨، ذيل الحديث١٧.

تُمَحَّصُوا، لا والله لا يكون ما تمدُّون إليه أعينكم حتىٰ تُمَيَّزُوا، لا والله ما يكون ما تمدُّون إليه أعينكم إلّا بعد إياسٍ، ولا والله لا يكون ما تمدُّون إليه أعينكم حتىٰ يشقىٰ من يشقىٰ، ويسعد من يسعد»[١].

ورواه النعماني بسند آخر عن منصور الصيقل وحده، عن أبي جعفر عليه السلام، لا عن الجماعة المذكورة مع الصيقل، ولا عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: وأخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا أبو عبد الله جعفر بن عبد الله المحمدي من كتابه في سنة ثمان وستين ومائتين، قال: حدّثنا محمد بن منصور الصيقل، عن أبيه، قال: دخلت علىٰ أبي جعفر الباقر عليه السلام وعنده جماعة، فبينا نحن نتحدّث - وهو علىٰ بعض أصحابه مُقبِلٌ - إذ التفت إلينا، وقال: الحديث[٢].

ثم نقل الحديث عن الكليني بالسند المذكور، لكنه عن أبي جعفر أيضاً، لا عن أبي عبد الله عليه السلام[٣].

ورواه الطوسي قدس سره بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام كالكليني قدس سره، ولكن بلفظ: «أيهات، أيهات»[٤] بالهمزة، لا بالهاء[٥].

وكيف كان، فالظاهر بمناسبة الحكم والموضوع أنّ متعلّق اليأس هو قيام المهديّ عجل الله فرجه، فلا قيام قبل وصول الشيعة أو معظمهم إلىٰ حدّ اليأس منه.

وأمّا الشقاء فمن القريب أن يراد به الخروج من مذهب أهل البيت عليهم السلام والالتحاق بمذهب غيرهم من المخالفين، أو النواصب، والعياذ بالله.

---

١. الكافي ١: ٣٧٠، الحديث٦.

٢. الغيبة: ٢١٦، الباب١٢، الحديث١٦.

٣. الغيبة: ٢١٦، ذيل الحديث١٦.

٤. الغيبة: ٣٣٥، الحديث٢٨١.

٥. قال الرازي: (ومن العرب من يقول: (أيهاتَ) بمعنىٰ هيهات). [مختار الصحاح: ١٥، مادة (ا، ي، هـ)]

ويؤيده: ما رواه النعماني بسنده، عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال: «لَتُمَحَّصُنَّ - يا شيعة آل محمد - تمحيص الكُحل في العين، وإنّ صاحب العين يدري متىٰ يقع الكحل في عينه، ولا يعلم متىٰ يخرج منها، وكذلك يصبح الرجل علىٰ شريعةٍ من أمرنا، ويمسي وقد خرج منها، ويمسي علىٰ شريعة من أمرنا، ويصبح وقد خرج منها»[١].

[٩] الطوسي: وروي عن جابر الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متىٰ يكون فرجكم؟ فقال: «هيهات، هيهات، لا يكون فرجنا حتّىٰ تغربلوا، ثُمَّ تغربلوا، ثُمَّ تغربلوا - يقولها ثلاثاً - حتىٰ يذهب الكدر، ويبقىٰ الصفو»[٢].

ومعلوم أنّ فرجهم عليهم السلام إنّما يكون بقيام القائم عجل الله فرجه.

وجملة: «يقولها ثلاثاً» من الطوسي قدس سره، أو أحد الرواة الواقعين في السند.

ويؤكّد هذا الشرط: ما يأتي في الرواية الأخير.

الشرط العاشر: وقوع فتنة بالشّام لا مخرج منها.

الشرط الحادي عشر: وقوع قتال في موضع يقع بين الكوفة والحيرة، ويكون القتلىٰ من الطرفين سواء.

[١٠] النعماني: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا محمدُ بن المفضّل، وسعدانُ بن إسحاق بن سعيد، وأحمدُ بن الحسين بن عبد الملك، ومحمدُ بن أحمد بن الحسن، جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن يعقوب السرّاج، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: «يا جابر، لا يظهر القائم حتىٰ يشمل الناس بالشّام فتنةٌ يطلبون المخرج منها فلا يجدونه، ويكون قتلٌ بين الكوفة والحيرة، قتلاهم علىٰ سَوَاءٍ، وينادي منادٍ من السّماء»[٣].

١. الغيبة: ٢١٤، الباب١٢، الحديث١٢.
٢. الغيبة: ٣٣٩، الحديث٢٨٧.
٣. الغيبة: ٢٨٨، الباب١٤ الحديث٦٥.

أقول: الظاهر أنّ المراد من التسوية بين قتلىٰ الطرفين كونهم جميعاً في النار، ما يعني أنّ قتالاً سيقع بين جماعتين ضالّتين، أو يكون اقتتالهما من أجل الدنيا، أو في قضية لا يكون الحقُّ فيها لأيٍّ منهما.

وأمّا نداء المنادي من السّماء، فهو من علامات الظهور الحتميّة، والتي لم نتعرّض لذكرها في هذه الرسالة لما ذكرناه في المقدّمة.

ويؤيّد الشرط الحادي عشر أو يؤكّده: ما رواه الشيخ الطوسي، قال: وعنه[1]، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متىٰ يكون هذا الأمر؟ فقال عليه السلام: «أنىٰ يكون ذلك - يا جابر - ولمّا تكثر القتلىٰ بين الحيرة والكوفة؟»[2]، فمن القريب جدّاً أنها تشير إلىٰ نفس القتال المذكور في الحديث السابق، لا إلىٰ قتال آخر.

الشرط الثاني عشر: اجتماع خمسة أمور في سنة واحدة: مجاعة، وخوف شديد من القتل، ونقص الأموال، وانخفاض في عدد السّكان، ونقص في المحاصيل.

[١١] النعماني: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدّثني أحمد بن يوسف بن يعقوب أبو الحسن الجعفي من كتابه، قال: حدّثنا إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لابدّ أن يكون قُدّام القائم سَنَةٌ يجوع فيها الناس، ويُصيبهم خوفٌ شديدٌ من القتل، ونقصٌ من الأموال، والأنفس، والثمرات، فإنّ ذلك في كتاب الله لَبَيِّنٌ»، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ

١. ومرجع الضمير في (عنه) هو الفضل بن شاذان الذي بدأ الشيخ قدس سره به سند حديث سابق علىٰ هذا الحديث في غيبته.

٢. الغيبة: ٤٤٥، الحديث ٤٤١.

﴿الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥)[١].

لا يقولنّ قائل: إنّ هذه الأمور كثيرة الحدوث، ولم يخلو منها زمان، فلا تصلح أن تكون شرطاً.

لأنّه يجاب: بأنّ ظاهر الرواية حصولها في منطقة واحدة، في فترةٍ واحدة، وبنحو تكون غير مسبوقة بمثلها؛ لأنّ نفس جعلها من الأشراط يشكّل قرينة على ذلك، وإلّا كانت شرطيتها لغواً.

الشرط الثالث عشر: ظهور نار من أذربيجان لا يقوم لها شيءٌ.

[١٢] النعماني: حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي، قال: حدّثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي أبو الحسن، قال: حدّثنا إسماعيل بن مهران، قال: حدّثنا الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه ووهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّه قال لي أبي: لابدّ لنارٍ من أذربيجان لا يقوم لها شيءٌ، وإذا كان ذلك فكونوا أحلاس بيوتكم، وألبِدُوا ما ألبَدْنَا، فإذا تحرّك متحرّكنا فاسعوا إليه ولو حَبوَاً، والله لَكَأنّي أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس علىٰ كتاب جديد، علىٰ العرب شديدٍ...» الحديث[٢].

والأحلاس: جمع حِلْس، بكسر فسكون، وهو: البساط، والتعبير بذلك علىٰ سبيل الكناية عن عدم التحرّك أو الانخراط في حركة سياسية، أو عسكرية، أو ما إلىٰ ذلك، وانتظار خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه لا غير.

وقوله عليه السلام: «ألبِدُوا»: فعلُ أمرٍ من اللُّبُود، بمعنىٰ الالتصاق، وكأنه عليه السلام يأمر الشيعة بأن يلتصقوا بالأرض، كناية عن عدم التحرُّك أيضاً،

١. الغيبة: ٢٥٩، الباب١٤، الحديث٦.
٢. الغيبة: ٢٠٠، الباب١١، الحديث١.

فيكون توكيداً لمضمون ما تقدّم، كقولك: (أُسكن، ولا تتحرّك)، فإنّ الأمر بالسكون والنهي عن الحركة مؤدّاهما خارجاً واحدٌ. نعم، الالتصاق بالأرض أكثر مبالغة في ترك التحرّك.

وقوله عليه السلام: «فإذا تحرّك متحرّكنا»، يعني خروج القائم بقرينة قوله عليه السلام بعد ذلك: «لَكَأَنّي أنظر إليه بين الركن والمقام».

والحَبْو بفتح فسكون: الزحف على البطن، كناية عن شدة وتوكيد مطلوبية الالتحاق بالإمام المهدي عجل الله فرجه إذا خرج، وعدم اختلاق الأعذار للتخلُّف عنه، والله العالم.

وأذربيجان هو البلد المعروف، والذي يقع شمال شرق إيران تقريباً بينها وبين روسيا، وكانت ضمن دول الاتحاد السوفياتي السابق قبل حلّه على يد رئيسه غورباتشوف.

ولعلّ النار المشار إليها ستكون نتيجة انفجار كبير أو حرب أو قتال يظهر أثره على كثير من البلدان المجاورة[1].

وربما يشير إلى ذلك ما رواه نفس النعماني في موضع آخر بسنده، عن أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي أبو الحسن، قال: حدّثنا إسماعيل بن مهران، قال: حدّثنا الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيهِ ووُهَيبِ بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام،

١. هذا كلّه بناء على نسخة الغيبة المطبوع، وفي البحار نقلاً عنها جاءت العبارة هكذا: «ولا بد لنا من آذربيجان» بلفظ (لنا) بدلاً من لفظ (لِنارٍ)، وعلى نسخة الغيبة المطبوع يكون قوله عليه السلام بعد ذلك: «لا يقوم لها شيءٌ» راجع إلى النار، وعلى نقل البحار يكون راجعاً إلى آذربيجان، والمرجّح سقوط حرف الراء في نقل البحار، وأنّ الصحيح ما في الغيبة المطبوع، وذلك لقرينتين: الأولى: أن التوصيف بأنّه لا يقوم لها شيء أنسب وألصق بالنار منه بآذربيجان، وإن كان الثاني صحيحاً في حدّ نفسه بتأويل أهل آذربيجان. الثانية: لو كان التوصيف المذكور راجعاً إلى آذربيجان فهو موجب لركاكة التعبير.

قال: «بينا الناس وقوف بعرفات إذ أتاهم راكب على ناقة ذِعْلِبَةٍ[١] يخبرهم بموت خليفة يكون عند موته فرج آل محمد ﷺ، وفرج الناس جميعاً»، وقال: «إذا رأيتم علامة في السماء ناراً عظيمةً من قبل المشرق[٢] تطلع لَيَالِيَ فعندها فرج الناس، وهي قُدَّامُ القائم بقليل»[٣].

الشرط الرابع عشر: وقوع المسخ.

[١٣] النعماني: حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا علي بن الحسن التيملي، عن علي بن مهزيار، عن حمّاد بن عيسىٰ، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [وفي الآخرة]﴾[٤]، ما هو عذاب خزي الدنيا؟ فقال: «وأيُّ خزيٍ أخزىٰ - يا أبا بصير - من أن يكون الرجل في بيته وحِجَالِهِ، وعلىٰ إخوانه وَسْطَ عياله، إذ شَقَّ أهلُه الجيوب عليه وصرخوا، فيقول الناس: ما هذا؟ فيقال: مُسِخَ فلانٌ الساعةَ»؟ فقلت: قبل قيام القائم أو بعده؟ قال: «لا، بل قبله»[٥].

---

١. الناقة الذِّعْلِبَةُ بكسر فسكون فكسر: السريعة، علىٰ ما في القاموس، ذكرها هي وجملة (تَذَعَّبَتْهُ) بعد الفراغ من ذكره لمادة (ذ، ر، ب). ويحتمل أن المراد بها في الحديث هو المعنىٰ الحقيقي للناقة، إذ لا مانع منه، حتىٰ في عصر التطوّر، لعدم إحاطتنا بالملابسات التي سوف تكتنف الأحداث يومئذٍ، ولذا لا ينبغي للمحقّق أن يعجل ويبادر إلىٰ التأويل في أمثال المقام، فإنّه من مزالّ الأقدام، أعاذنا الله تعالىٰ من ذلك. ويحتمل أن المراد بها مطلق المركب بقطع النظر عن نوعه، وإنما عبّر عنه بالناقة علىٰ سبيل الاستعارة، مراعاة لعقول السامعين، وأهل البيت عليهم السلام كالنبي ﷺ مأمورون بأن يحدّثوا الناس علىٰ قدر عقولهم.

٢. وقد يساعد علىٰ كونها من أذربيجان كونها علىٰ الشرق.

٣. الغيبة: ٢٧٦، الباب ١٤، الحديث ٣٧.

٤. فصّلت: ١٦. وليس في المصحف المتداول جملة: (وفي الآخرة)، بل الموجود (ولعذاب الآخرة أخزى)، ولعلّه من سهو القلم، وهو ليس بعزيز الوقوع.

٥. الغيبة: ٢٧٧، الباب ١٤، الحديث ٤١.

أقول: الحِجال بكسر أوّله: جمع حَجَلَة بالتحريك، وهي بيت العروس يُزيّن بالثياب، والأَسِرة، والسُّتُور[١]، كنايةً عن كون الرجل في حال أمنٍ، وترفٍ، واستقرارٍ.

وظاهر قوله عليه السلام: «وعلىٰ إخوانه» أن المذكور هو كبير البيت، والقائم بأمورهم، فهو كالخيمة التي تظلّهم، فيكون كناية عن ذلك، وهو ممّا يكثر التعبير به عندنا اليوم، كقول بعض العيال للأب أو الأُمّ أو الأخ الكبير: (أبقاك الله خيمة علينا).

والمَسْخُ بفتح فسكون علىٰ ما يستفاد من القاموس[٢]: تحويل صورة الشيء إلىٰ صورة أخرىٰ مغايرةٍ للأولىٰ نوعاً، كتحويل صورة إنسان إلىٰ صورة قرد، أو خنزيرٍ مثلاً، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلىٰ مَكانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ﴾ (يس: ٦٧)، بناءً علىٰ إرادة تحويل صورتهم إلىٰ صورة أخرىٰ، نظير قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٦٠).

ويؤيّد إرادة هذا المعنىٰ: شَقُّ عياله ثيابهم عليه، وصراخهم لذلك.

والوجه في شرطية المسخ أنّه مما أخبر القرآن بوقوعه، وما كان كذلك لا بدّ أن يقع.

الشرط الخامس عشر: نارٌ تقع في الكوفة تأخذ بأوتار آل محمد صلى الله عليه وآله:

[١٤] النعماني: حدّثنا محمد بن همام، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن

١. لاحظ مختار الصحاح، (مادة: ح، ج، ل).

٢. القاموس المحيط ١: ٣٧٢، مادة (م، س، خ)، حيث قال: (مَسَخَهُ كمَنَعَهُ: حوَّلَ صورته إلىٰ أخرىٰ أقبح، ومَسَخَهُ الله قرداً، فهو مِسْخٌ ومَسِيخٌ).

مالك، قال: حدّثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن علي، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ﴾ (المعارج: ١)، قال: «تأويلها فيما يأتي في عذابٍ يقع في الثَّوِية - يعني ناراً[١] - حتىٰ ينتهي إلىٰ الكُنَاسَةِ، كُنَاسَةَ بني أسد، حتىٰ تَمُرَّ بثقيفٍ، لا تَدَعُ وِتْراً لآل محمد إلّا أحرقته، وذلك قبل خروج القائم»[٢].

والثَّوِية بفتحٍ فكسرٍ وياء مشدّدة مفتوحة: موضع بالكوفة.

والكُنَاسَة بضمٍّ أوّله: من الكنس، أي: ما يُكنس، فهي والقُمامة بمعنىٰ واحد، لكنّ الظاهر بحسب السياق هنا وفي أحاديث أخرىٰ أن المراد من الكُناسة المكان الذي تُلقىٰ فيه القمامة مجازاً، من باب تسمية المحلّ باسم الحالّ.

وثَقِيْف بفتحٍ فكسرٍ فسكونٍ: القبيلة المعروفة، والتي نسب إليها كثيرون، كالمختار بن عبيد الثّقفي، لكنّ المراد بثقيفٍ هنا هو الموضع الذي تسكنه القبيلة من الكوفة.

وروىٰ مثله عن أبي جعفر عليه السلام، مع زيادة في المضمون، قال: حدّثنا أبو سليمان أحمد بن هوذة، قال: حدّثنا إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، عن عبد الله بن حماد الأنصاري، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «كيف تقرأون هذه السورة»؟ قلت: وأية سورة؟ قال: «سورة: ﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ﴾»، فقال: «ليس هو: ﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ﴾، إنّما هو: (سَالَ سَيْلٌ)، وهي نارٌ تقع في الثَّوِية، ثم تمضي إلىٰ كُناسة بني أسد، ثم تمضي إلىٰ ثقيفٍ، فلا تَدَعُ وِتْراً لآل محمد إلّا أحرقته»[٣].

---

١. التفسير من النعماني استناداً منه في ذلك إلىٰ الرواية الآتية.

٢. الغيبة: ٢٨١، الباب١٤، الحديث٤٨.

٣. الغيبة: ٢٨١، الباب١٤، الحديث٤٩. ربما يشكل: بأن تفسير الآية بما ذكر مخالف لما رووه في سبب النزول من أنّ المقصود بالسائل في هذه الآية هو النعمان بن الحارث الفهري الذي اعترض علىٰ ←

هـذا، ولم أتبـيَّن المـراد مـن لفـظ «أحرقتـه»، ولعلّـه مصحّـف مـن: أخذتـه، أي: أخـذت بثـارات آل محمـد ﷺ، والله العـالم.

والوجه في شرطيّة هذه الواقعة أمران:

أحدهما: شهادة القرآن بأن هذا الأمر واقع.

ثانيهـا: أنّ ذلـك هـو تأويـل الآيـة، وتأويـل الآيـات لا بـدّ مـن مجيئـه ووقوعـه، كـما يستفاد مـن الروايـات، وكـما أشـارت إليـه روايـة البصائـر المتقدّمـة.

إن قلـت: إنّ مـا أخـبر القـرآن بوقوعـه قابـل للبَـدَاء، فمـن الممكـن أن لا يقـع، فـلا يكـون وقـوع النـار في الكوفـة شرطـاً.

قلـت: لا تنـافي بـين شرطيـة واقعـة وشـمولها لقانـون البَـدَاء، بـل دلّـت عـلىٰ ذلـك بعـض النصـوص، فقـد روىٰ النعـماني بسـنده، عـن أبي هاشـم داود بـن القاسـم الجعفـري، قـال: كنّـا عنـد أبي جعفـر محمـد بـن عـلي الرضـا عليه السلام، فجـرىٰ ذكـر السـفياني، ومـا جـاء في الروايـة مـن أنّ أمـره مـن المحتـوم، فقلـت لأبي جعفـر: هـل يبـدو لله في المحتـوم؟ قـال: «نعـم»، قلنـا لـه: فنخـاف أن يبـدو لله في القائـم، فقـال: «إنّ القائـم مـن الميعـاد، والله لا يخلـف الميعـاد»[1].

←تنصيـب النبـيّ ﷺ لعـلي عليه السلام خليفـة لـه عـلىٰ المسـلمين يـوم الغديـر. وجوابـه: أنّـه لا منافـاة بـين مـا جـاء في الحديـث وسـبب النـزول، إذ لا يبعـد أن يكـون مـا ذكـره عليه السلام هنـا هـو مـن قبيـل التأويـل، في مقابـل التنزيـل، ومـا يعـبّر عنـه بالبطـن أيضـاً، فقـد روىٰ في البصائـر عـن فضيـل بـن يسـار، قـال: سـألت أبـا جعفـر عليه السلام عـن هـذه الروايـة: «مـا مـن القـرآن آيـةٌ إلّا ولهـا ظهـر وبطـن». فقـال: «ظهـره تنزيلـه، وبطنـه تأويلـه، منـه مـا قـد مـضىٰ، ومنـه مـا لم يكـن، يجـري كـما يجـري الشـمس والقمـر، كـما جـاء تأويـل شيءٍ منـه يكـون عـلىٰ الأمـوات كـما يكـون عـلىٰ الأحيـاء، قـال الله: ﴿وَمـا يَعْلَـمُ تَأْوِيلَـهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْـمِ﴾ [آل عمـران: ٧]، نحـن نعلمـه». [بصائـر الدرجـات: ٢١٦، الحديـث٧]

١. الغيبة: ٣١٥، الباب١٨، الحديث١٠.

الشرط السادس عشر: شهادة اثني عشر رجلاً بأنّهم رأوا المهدي عجل الله فرجه:

[١٥] النعماني: حدّثنا عبد الواحد بن عبد الله، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن رباح الزهري، قال: حدّثنا أحمد بن علي الحميري، عن الحسن بن أيوب، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا يقوم القائم حتىٰ يقوم اثنا عشر رجلاً كلّهم يُجمع علىٰ قول إنّهم قد رأوه، فيكذّبونهم»[١].

والظاهر بقرينة كثرة من ادّعىٰ رؤية الإمام المهدي عجل الله فرجه علىٰ مرّ الأزمنة أن المراد من الرجال الاثني عشر هنا أنّهم ذوو شأنٍ كبير، كما لو كانوا من العلماء، وأنّهم يجمعون علىٰ رؤيته عجل الله فرجه، بمعنىٰ أنّهم يدّعون ذلك في زمان واحد، أو أزمنة متقاربة، ومع هذا يكذّبهم الناس.

وينبغي الالتفات إلىٰ أنّ الحديث ليس بصدد الكلام عن حال المكذّبين، فلا دلالة فيه علىٰ ذمّهم، بل لا يبعد أن تكذيب مدّعي الرؤية هي الوظيفة الشرعية اللازمة علىٰ كلّ سامع، حتىٰ لو احتمل صدق المخبر، للتعبُّد بما جاء في التوقيع الأخير، والذي خرج علىٰ يد السفير الرابع علي بن محمد السّمري رضي الله عنه، من قوله عجل الله فرجه: «فمن ادّعىٰ المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفترٍ»[٢]، كما هو أحد الاحتمالات في تفسيره[٣].

الشرط السابع عشر: وقوع الطاعون الأحمر والطاعون الأبيض:

[١٦] النعماني: أخبرنا علي بن الحسين، قال: حدّثنا محمد بن يحيىٰ العطار، قال: حدّثنا محمد بن حسان الرازي، قال: حدّثنا محمد بن علي

١. الغيبة: ٢٨٥، الباب١٤، الحديث٥٨.

٢. كمال الغيبة ٢: ٥١٦، الباب٤٥، الحديث٤٤.

٣. وقد تعرّضنا لذلك مفصّلاً في مقالة بعنوان: (تحصين الأنام من دعوىٰ الاتصال بالإمام)، والذي نشرته مجلّة الموعود في العدد٤، في ذي الحجّة ١٤٣٨هـ ـ أيلول ٢٠١٧هـ.

الكوفي، قال: حدّثنا عبد الله بن جبلة، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، متىٰ خروج القائم؟ فقال: «يا أبا محمد، إنا أهل بيتٍ لا نُوَقِّتُ، وقد قال محمد صلى الله عليه وآله: كذب الوقّاتون. يا أبا محمد، إنّ قدّام هذا الأمر خمس علامات: أولاهنّ النداء في شهر رمضان، وخروج السفياني، وخروج الخراساني، وقتل النفس الزكية، وخسف بالبيداء»، ثم قال: «يا أبا محمد، إنّه لابدّ أن يكون قدّام ذلك الطاعونان: الطاعون الأبيض، والطاعون الأحمر»، قلت: جعلت فداك، وأيُّ شيءٍ هما؟ فقال: «أمّا الطاعون الأبيض فالموت الجارف، وأمّا الطاعون الأحمر فالسيف، ولا يخرج القائم حتىٰ يُنادَىٰ باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة جمعة»، قلت: بم يُنادَىٰ؟ قال: «باسمه واسم أبيه، أَلَا إنّ فلان بن فلان قائم آل محمد، فاسمعوا له وأطيعوه، فلا يبقىٰ شيءٌ من خلق الله فيه الروح إلّا يسمع الصيحة، فتوقظ النائم ويَخرج إلىٰ صحن داره، وتُخرج العذراء من خدرها، ويَخرج القائم ممّا يسمع، وهي صيحة جبرئيل»[1].

وقوله عليه السلام: «إنّه لا بدّ أن يكون قدّام ذلك الطاعونان: الطاعون الأبيض، والطاعون الأحمر» ظاهرٌ في أنّ علامات الظهور المذكورة معلّقة علىٰ وقوع الطاعونين المذكورين، فيكون وقوعهما من أشراط القيام.

الشرط الثامن عشر: خروج الشيصباني:

[١٧] النعماني: حدّثنا أبو سليمان أحمد بن هوذة الباهلي، قال: حدّثنا إبراهيم بن إسحاق النهاوندي بنهاوند سنة ثلاث وسبعين ومائتين، قال: حدّثنا أبو محمد عبد الله بن حماد الأنصاري سنة تسع وعشرين ومائتين، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن

١. الغيبة: ٣٠١، الحديث٦.

السفياني، فقال: «وأنّى لكم بالسفياني حتىٰ يخرج قبله الشيصباني، يخرج من أرض كوفان، ينبع كما ينبع الماء، فيقتل وفدكم، فتوقّعوا بعد ذلك السفياني، وخروج القائم»[١].

أقول: والرواية ظاهرة في كون خروج الشيصباني شرطاً في خروج السفياني الذي هو من علامات القيام، فيكون خروج الشيصباني من أشراط القيام[٢].

ويحتمل في قوله عليه السلام: «ينبع كما ينبع الماء» أحد معنيين:

الأوّل: أنّ ظهور هذه الشخصيّة علىٰ الساحة يكون بشكل مفاجئ، كما هو حال عين الماء في بعض الحالات، حيث تتفجّر من الأرض دفعةً واحدةً.

الثاني: أنّ ظهوره وصعود نجمه في الساحة يكون بشكل تدريجيٍّ، كما هو حال عين الماء في بعض الحالات الأخرىٰ، حيث تنبع من الأرض بشكل تدريجيٍّ.

والظاهر أنّ المراد من قوله: «فيقتل وفدكم» أنّ من موبقات هذه الشخصيّة خروجه علىٰ الأعراف المعمول بها عالميّاً، والمعبّر عنها اليوم بالأعراف الدوليّة أو الدبلوماسية، والمؤكّد علىٰ وجوبها شرعاً، والتي منها استثناء رسل الأعداء ووفودهم من القتل حتىٰ في حالة الحرب، وكأنّ الحديث يشير إلىٰ وقوع عداوة أو اقتتال بين المؤمنين وشيعة الشيصباني، فيسعىٰ المؤمنون إلىٰ الصلح وتهدئة الأوضاع، وذلك من خلال إرسال الرسل والوفود إلىٰ الشيصباني للتفاوض

---

١. الغيبة: ٣١٣، الحديث٨.

٢. كثر الحديث بين المؤمنين حول الشيصباني هذا، ولم أعثر فيه إلّا على هذه الرواية اليتيمة من جهة، والضعيفة السند من جهة أخرى؛ لجهالة الباهلي، وضعف النهاوندي، وتعارض توثيق علي بن إبراهيم لعمرو بن شمر بروايته عنه في تفسيره، مع تضعيف النجاشي له، إلّا أن ضعف السند لا يعني عدم صدور الحديث، فلا تغفل.

معه من أجل الصلح، لكنّه يقدم على قتلهم بغياً وعدواناً، مخالفاً بذلك الأعراف المعمول بها بين جميع بلدان العالم.

ومن القريب جدّاً أن يكون المراد من الوفد وجهاء القوم لا مطلق الرسل، فيكون قتله إيّاهم أكثر بشاعة عرفاً وأشدّ حرمةً شرعاً.

الشرط التاسع عشر: اكتمال أنصار المهدي عجل الله فرجه والبالغ عددهم عشرة آلاف.

الشرط العشرون: قراءة كتاب بالبصرة وكتاب بالكوفة بالبراءة من عليٍّ عليه السلام:

[١٨] النعماني: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا أبو عبد الله يحيىٰ بن زكريا بن شيبان، عن يونس بن كليب، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخرج القائم حتىٰ يكون تكملةُ الحلقة»، قلت: وكم تكملة الحلقة؟ قال: «عشرة آلاف، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثم يهزُّ الراية ويسير بها، فلا يبقىٰ أحد في المشرق ولا في المغرب إلّا لعنها، وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بها جبرئيل يوم بدر»، ثم قال: «يا أبا محمد، ما هي - والله - قطنٌ، ولا كتّانٌ، ولا قَزٌّ، ولا حريرٌ»، قلت: فمن أيّ شيءٍ هي؟ قال: «من ورق الجنة، نشرها رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، ثم لفّها ودفعها إلىٰ عليّ عليه السلام، فلم تزل عند علي عليه السلام، حتىٰ إذا كان يوم البصرة نشرها أمير المؤمنين عليه السلام، ففتح الله عليه، ثم لفّها، وهي عندنا هناك لا ينشرها أحد حتىٰ يقوم القائم، فإذا هو قام نشرها، فلم يبق أحد في المشرق والمغرب إلّا لعنها، ويسير الرعب قدّامها شهراً، ووراءها شهراً، وعن يمينها شهراً، وعن يسارها شهراً»، ثم قال: «يا أبا محمد، إنّه يخرج موتوراً غضبانَ أَسِفاً لغضب الله علىٰ هذا الخلق، يكون عليه قميص

رسول الله الذي كان عليه يوم أحد، وعمامته السحاب، ودرعه درع رسول الله السابغة، وسيفه سيف رسول الله ذو الفقار، يجرّد السيف علىٰ عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً، فأوّل ما يبدأ ببني شيبة، فيقطع أيديهم ويعلّقها في الكعبة، وينادي مناديه: هؤلاء سُرّاق الله، ثم يتناول قريشاً فلا يأخذ منها إلّا السيف، ولا يعطيها إلّا السيف، ولا يخرج القائم حتىٰ يُقرأ كتابان: كتاب بالبصرة، وكتاب بالكوفة، بالبراءة من علي عليه السلام»[١].

والمراد بالمشار إليهم في قوله عليه السلام: «فلا يبقىٰ أحد في المشرق ولا في المغرب إلّا لعنها» كلّ من لا يحبّ قيام المهدي عجل الله فرجه من الملحدين وأشباههم من أعداء الدين، والنواصب ونظرائهم من عصاة المسلمين الفاسقين.

وربما يشمل بعض الشيعة أيضاً؛ لما يلقون من الشدّة والبلاء علىٰ أيدي بعض المنتسبين إلىٰ بني هاشم، كما صرّحت بذلك بعض النصوص[٢].

ولعلّ المراد بقوله عليه السلام: «ويسير الرعب قدّامها شهراً، ووراءها شهراً، وعن يمينها شهراً، وعن يسارها شهراً» أنّ القدرات العسكرية التي سيظهر بها الإمام عجل الله فرجه من حيث النوع ستثير الرعب في نفوس أعدائه في جميع أنحاء العالم.

---

١. الغيبة: ٣١٩، الحديث٢.

٢. منها: ما رواه النعماني بسنده عن أبان بن تغلب، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «إذا ظهرت راية الحقّ لعنها أهل المشرق وأهل المغرب، أتدري لم ذلك»؟ قلت: لا. قال: «للّذي يَلقَىٰ الناس من أهل بيته قبل خروجه» [الغيبة: ٣٠٨، الحديث٤].

ومنها: ما رواه بسنده عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: «إذا رُفعت راية الحقّ لعنها أهل المشرق والمغرب»، قلت له: مِمَّ ذلك؟ قال: «مما يَلقَونَ من بني هاشم» [الغيبة: ٣٠٩، الحديث٥].

وقوله عليه السلام: «إنّه يخرج موتوراً غضبانَ أَسِفاً» أي: يخرج خروج الموتور، وهو على ما في الصحاح: «الذي قُتِلَ له قتيلٌ فلم يُدرك بدمِهِ»[١]، وعادة يكون طلب الموتور بالدم مقترناً بالغضب.

ونُصب (موتوراً) على الحال، وكذلك (غضبانَ) المنصوب بالفتحة لمنعه من الصرف، فيكون حالاً بعد حال.

وغضبان على زنة فَعْلان: مبالغة من الغاضب.

و(أَسِفاً) بفتح فكسر على زنة (كَتِف): من صيغ المبالغة أيضاً، وهو والغضبان بمعنىً واحد، فيكون عطفه على الغضبان نحواً من التوكيد اللفظي، فهو أقرب إلى عطف البيان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾[٢].

وغضبه عليه السلام إنّما هو لله عزّ وجلّ، لا لنفسه، ولا لأحد من آبائه عليهم السلام، كما نصّ عليه السلام على ذلك بعد هذه العبارة بقوله: «لغضب الله على هذا الخلق».

نعم، غضبه لآبائه عليهم السلام بما هم أمناء الله على خلقه وأوصياء رسوله صلى الله عليه وآله لا ينافي كونه غضباً لله تعالى، بل هو هو.

والدرع السابغة: الطويلة على ما جاء في المصباح، قال: «وسَبَغَتْ الدّرْعُ وكلُّ شيءٍ: إذا طال من فوق إلى أسفل»[٣].

والظاهر أنّ قوله عليه السلام: «يجرّد السيف على عاتقه ثمانية أشهر» كناية عن خوضه حرباً تستمرّ ثمانية أشهر.

---

١. الصحاح ٢: ٧١٨، مادة (و، ت، ر).

٢. الأعراف: ١٥٠.

٣. المصباح المنير: ١٣٩، مادة (س، ب، غ).

والهَرْج بفتح فسكون يأتي لمعانٍ علىٰ ما يستفاد من الصحاح والمصباح[١].

وشَيْبَة في قوله عليه السلام: «فأوّل ما يبدأ ببني شَيْبَةَ، فيقطع أيديهم ويعلّقها في الكعبة، وينادي مناديه: هؤلاء سُرّاق الله» هو شيبة بن عثمان بن طلحة الذي صارت إليه سدانةُ الكعبة ومفاتيحها، واستمرّت بأيدي أبنائه حتىٰ يومنا هذا.

وصريح بعض النصوص أنّ هؤلاء يسرقون ممّا يُهدىٰ للكعبة من النفائس والأموال، من قبيل: ما أرسله المفيد عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قام القائم هدم المسجد الحرام حتىٰ يردّه إلىٰ أساسه، وحوّل المقام إلىٰ الموضع الذي كان فيه، وقطع أيدي بني شيبة وعلّقها بالكعبة، وكتب عليها: هؤلاء سُرّاق الكعبة»[٢].

---

١. أحدها: السرعة، فيكون المراد بقوله عليه السلام: «يقتل هَرْجاً» أنّه يقتل أعداءه قتلاً سريعاً، فيكون (هَرْجاً) نعتاً للمفعول المطلق المحذوف، وأنيب منابه.
ثانيها: القتل، وعلىٰ هذا يكون المقصود: (يقتل قتلاً)، فيكون (هَرْجاً) مفعولاً مطلقاً من غير لفظ الفعل، نظير قوله تعالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥)، أي: بلاءً، فأكّد الفعل (نبلو) بمصدرٍ من غير لفظه، وكأنّه قال: ونبلوكم بالشرّ والخير بلاءً. لاحظ مادة (هـ، ر، ج) في [الصحاح ١: ٣٠٨] وفي [المصباح المنير: ٣٢٨].

٢. الإرشاد ٢: ٣٨٣. ومن قبيل: ما أسنده النعماني عن سدير الصيرفي، عن رجل من أهل الجزيرة كان قد جعل علىٰ نفسه نذراً في جارية، وجاء بها إلىٰ مكة، قال: فلقيت الحَجَبَةَ، فأخبرتهم بخبرها، وجعلت لا أذكر لأحدٍ منهم أمرها إلّا قال لي: جئني بها، وقد وَفَّىٰ اللهُ نذرك، فدخلني من ذلك وحشةٌ شديدة، فذكرت ذلك لرجل من أصحابنا من أهل مكة، فقال لي: تأخذ عني؟، فقلت: نعم، فقال: انظر الرجل الذي يجلس بحذاء الحجر الأسود وحوله الناس، وهو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام، فَأْتِهِ، فأخبره بهذا الأمر، فانظر ما يقول لك فاعمل به. قال: فأتيته، فقلت: رحمك الله، إنّي رجلٌ من أهل الجزيرة، ومعي جارية جعلتها عليَّ نذراً لبيت الله في يمينٍ كانت عليّ، وقد أتيت بها، وذكرت ذلك للحَجَبَةِ، وأقبلت لا أَلْقَىٰ منهم أحداً إلّا قال: جئني بها وقد وَفَّىٰ الله نذرك، فدخلني من ذلك وحشةٌ شديدةٌ. فقال عليه السلام: «يا عبد الله، إنّ البيت لا يأكل ولا يشرب، فبِعْ جاريتَك، واستقص وانظر أهل بلادك ممّن حجّ هذا البيت، فمن عجز منهم عن نفقته فأعطه حتىٰ يقوىٰ علىٰ العود إلىٰ بلادهم». ففعلت ذلك، ثم أقبلت لا أَلْقَىٰ أحداً من الحَجَبَةِ إلّا قال: ما فعلت بالجارية؟. فأخبرتهم بالذي قال أبو جعفر عليه السلام، فيقولون: هو كذّاب جاهل لا يدري ما يقول. فذكرت مقالتهم لأبي جعفر عليه السلام، ←

وظاهر قوله عليه السلام: «ثم يتناول قريشاً فلا يأخذ منها إلّا السيف، ولا يعطيها إلّا السيف» أنّه سيقتل الكثير من قريش، كما دلّت عليه بعض النصوص[١].

وظاهر قوله عليه السلام: «ولا يخرج القائم حتىٰ يُقرأ كتابان: كتاب بالبصرة، وكتاب بالكوفة، بالبراءة من علي عليه السلام»، أنّ شيعة العراق سيتعرّضون لمحنة وشدة، من خلال غلبة النواصب علىٰ الحكم في بلدهم، حتىٰ تصدر تعليمات الجائر بوجوب إعلان الشيعة براءتهم من علي بن أبي طالب بأبي هو وأمّي، وذلك هو البلاء العظيم.

[١٩] الصدوق: وبهذا الإسناد[٢]، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن أبي بصير، قال: سأل رجل من أهل الكوفة أبا عبد الله عليه السلام: كم يخرج مع القائم؟ فإنّهم يقولون: إنّه يخرج معه مثلُ عِدة

← فقال: «قد بَلّغتني، تُبلّغ عني؟»، فقلت: نعم، فقال: «قل لهم: قال لكم أبو جعفر: كيف بكم لو قد قُطّعت أيديكم وأرجلكم، وعُلّقت في الكعبة، ثم يقال لكم: نادوا: نحن سُرّاق الكعبة». فلما ذهبت لأقوم قال: «إنني لست أنا أفعل ذلك، وإنّما يفعله رجل مني» [الغيبة: ٢٤١، الحديث٢٥].

أقول: الحَجَبَة بالتحريك: كالحجّاب، جمع حاجب، يعني: حُجّاب البيت الحرام وسَدَنَتُهُ.

والظاهر أنّه المراد من الوحشة الشديدة هو الشكّ في صحة ما قالوا، والريب فيما يضمرونه لهذه الجارية.

وقوله عليه السلام: «تأخذ عنّي؟» يعني به: أتقبل منّي ما أشير به عليك وتعمل به؟.

١. فقد روىٰ المفيد مرسلاً عن عبد الله بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إذا قام القائم من آل محمد عليه السلام أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة أخرىٰ، حتىٰ يفعل ذلك ست مرات»، قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: «نعم، منهم ومن مواليهم» [الإرشاد ٢: ٣٨٣].

٢. المقصود بالإسناد ما ذكره في سند حديث سابق علىٰ هذا الحديث، وهم: (الحسين بن أحمد بن إدريس رضي الله عنه، قال: حدّثنا أبي، عن أحمد بن محمّد بن عيسىٰ) [كمال الدين ٢: ٦٥٣، الباب٥٧، الحديث١٩].

أهل بدر، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، قال: «وما يخرج إلّا في أولي قوة، وما تكون أولوا القوة أقلّ من عشرة آلاف»[١].

أقول: هكذا جاء الحديث بزيادة الواو في قوله عليه السلام: «وما يخرج»، وفيه احتمالان:

أحدهما: أنّ الواو زيدت سهواً.

ثانيهما: أنّ هناك جملة سقطت سهواً، أو أسقطت عمداً؛ لظنّ مسقطها عدم الحاجة إليها، لكنّه نسي إسقاط الواو، كما لو أنّ الإمام عليه السلام قال: ليس الأمر كما يقولون، وما يخرج إلّا في أولي قوة، إلىٰ آخر كلامه عليه السلام.

ويفيد الحديث أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه سوف يعتمد السبل العادية والأسباب المتعارفة في عملية الإصلاح وبسط العدل، بعيداً عن المعاجز والكرامات، فإنّ صريح الحديث توقّف خروجه عجل الله فرجه علىٰ وجود عدد كبير من المقاتلين، بحيث يشكّلون قوة تستطيع الأخذ علىٰ عاتقها عملية التغيير والإصلاح وفق الطرق العادية.

ويؤكّد ذلك: ما رواه النعماني، عن أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدّثنا علي بن الحسين التيملي من كتابه في صفر سنة أربع وسبعين ومائتين، قال: حدّثنا العبّاس بن عامر بن رباح الثقفي، عن موسىٰ بن بكر، عن بشير النبال. قال[٢]: وأخبرنا علي بن أحمد البندنيجي، عن عبيد الله بن موسىٰ العلوي، عن أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيىٰ، عن بشير بن

١. كمال الدين ٢: ٦٥٤، الباب٥٧، الحديث٢٠.

٢. ظاهر العبارة أنّ القائل هو ابن عُقدة، لكن قوله بعد ذلك: (ولفظ الحديث علىٰ رواية ابن عقدة) أنّ ابن عقدة لم يقع في الطريق الآخر للحديث، وأنّ الراوي عن علي بن أحمد البندنيجي شخص آخر غير ابن عقدة، وبقرينة كون البندنيجي شيخ النعماني، ويروي عنه في الغيبة كثيراً يتعيّن كون القائل هو النعماني، وحيث لا معنىٰ لقول النعماني عن نفسه: (قال) فيحتمل أن لفظ (قال) زيادة سهوية، أو أن النعماني أراد أن يقول علىٰ عادة المصنّفين: (وقال مصنّف هذا الكتاب)، لكنه نسي ذلك.

أبي أراكة النبّال، ولفظ الحديث علىٰ رواية ابن عقدة قال: لما قدمت المدينة انتهيت إلىٰ منزل أبي جعفر الباقر عليه السلام... إلىٰ أن قال: «ويح هذه المُرجِئَة[١]، إلىٰ من يلجؤون غداً إذا قام قائمنا؟». قلت: إنهم يقولون: لو قد كان ذلك كنّا نحن وأنتم في العدل سواء[٢]، فقال: «من تاب تاب اللهُ عليه[٣]، ومن أسرَّ نفاقاً فلا يبعد الله غيره[٤]، ومن أظهر شيئاً أهرق الله دمه». ثم قال: «يذبحهم - والذي نفسي بيده - كما يذبح القصّاب شاته»، وأومأ بيده إلىٰ حلقه[٥]، قلت: إنّهم يقولون: إنّه إذا كان ذلك استقامت له الأمور، فلا يهريق مِحْجَمَةَ دَمٍ[٦]، فقال: «كلا والذي نفسي بيده، حتىٰ نمسح وأنتم العَرَقَ، والعَلَقَ»، وأومأ بيده إلىٰ جبهته[٧].

١. المُرجِئَةُ من الفرق الضالة، حيث يعتقدون أنّ المسلم مهما فعل لا يحكم بكفره، ويُرجَأُ أمره إلىٰ اليوم القيامة، قال الفضل بن شاذان في كلام له في بيان عقيدتهم: (يقولون: الإيمان قولٌ بلا عمل. وأصل ما هم عليه: أنّهم يدينون بأنّ أحدهم لو ذبح أباه وأُمّه وابنه وبنته وأخاه وأُخته، وأحرقهم بالنار، أو زنىٰ، أو سرق، أو قتل النفس التي حرّم الله، أو أحرق المصاحف، أو هدم الكعبة، أو نبش القبور، أو أتىٰ أيّ كبيرة نهىٰ الله عنها، إنّ ذلك لا يفسد عليه إيمانه، ولا يخرجه منه، وأنّه إذا أقرّ بلسانه بالشهادتين إنّه مستكمل الإيمان، إيمانه كإيمان جبرئيل وميكائيل (صلّىٰ الله عليهما) فعل ما فعل، وارتكب ما ارتكب ممّا نهىٰ الله عنه، ويحتجّون بأنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال: «أمرنا أن نقاتل الناس حتّىٰ يقولوا: لا إله إلّا الله» [الإيضاح في الردّ علىٰ سائر الفِرَق: ٤٥].

٢. يعنون: عدل المهدي عجل الله فرجه.

٣. يعني عليه السلام: من تاب من المرجئة ورجع من ضلاله، واتّبع من أمر النبي صلى الله عليه وآله باتّباعهم، وهم العترة الطاهرة، كما هو مقتضىٰ النصوص المتوترة، كحديث الثقلين.

٤. هذا دعاء علىٰ من أسرَّ نفاقاً، وظاهره أنّه دعاء بالهلاك، فكنّىٰ عنه بالإبعاد. والله العالم.

٥. الحَلْق بفتح فسكون: هو الحلقوم. وقول الراوي: (وأومأ بيده إلىٰ حلقه) حكاية لبيان الإمام عليه السلام معنىٰ الذبح بيده، وهو نحو من التوكيد، أعني توكيد اللفظ بفعل.

٦. مِحْجَمَة بكسر فسكون ففتحتين فهاء علىٰ زنة مِكْنَسَة: القارورة التي يُحجَمُ بها، وعدم إهراق محجمة دم كناية عن عدم القتال مطلقاً.

٧. الغيبة: ٢٩٣، الحديث١. والمقصود من الإيماء بيده عليه السلام إلىٰ جبهته عليه السلام توكيده لمسح العرق عنها كما سيأتي التصريح بذلك في الحديث الذي بعده. ←

أقول: إنّ ما رواه النعماني يدلّ أنّ التغيير لن يكون إلّا بالطرق المعتادة بعيداً عن المعاجز، بقرينة نفيه عليه السلام أن يكون الأمر سهلاً، وإثباته لكونه موجباً لمسح العرق كنايةً عن بالغ الجهد الذي سيبذل، ومسح العلق - وهو الدم - كناية عن وقوع اقتتال تسفك فيه الدماء.

الشرط الحادي والعشرون: خروج خارج من ولد الشيخ قبل خروج السفياني:

[٢٠] المجلسي (ت ١١١١هـ)، نقلاً عن كتاب (سرور أهل الايمان)، عن السيد علي بن عبد الحميد، بإسناده إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام في خبر طويل أنه قال: «لا يكون ذلك حتىٰ يخرج خارج من آل أبي سفيان، يملك تسعة أشهر كحمل

←ثم قال النعماني: وأخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا محمد بن سالم بن عبد الرحمن الأزدي من كتابه في شوال سنة إحدىٰ وسبعين ومائتين، قال: حدّثنا عثمان بن سعيد الطويل، عن أحمد بن سليمان، عن موسىٰ بن بكر الواسطي، عن بشير النبّال، قال: قدمت المدينة، وذكر مثل الحديث المتقدّم، إلّا أنّه قال: لما قدمت المدينة قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنهم يقولون: إنّ المهدي لو قام لاستقامت له الأمور عفواً، ولا يُهريق مِحْجَمَةَ دَمٍ، فقال: «كلا والذي نفسي بيده، لو استقامت لأحدٍ عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أُدميت رُبَاعِيَّتُهُ، وشُجَّ في وجهه، كلا والذي نفسي بيده حتّىٰ نمسح نحن وأنتم العَرَقَ، والعَلَقَ»، ثمّ مسح جبهته. [الغيبة: ٢٩٤، الحديث٢].

أقول: قوله: عَفْوَاً بفتح فسكون ففتح علىٰ ما في القاموس المحيط ومفردات الراغب - مادة (ع، ف، و) -: يحتمل معنىٰ السهولة، ويحتمل معنىٰ أخذ الشيء من الآخر دون أن يطلبه منه، فهو يدفعه إليه طوعاً، وكلا المعنيين مناسب للمقام. و(عفواً) منصوب علىٰ التمييز.

والرَباعية بفتح أوّله بوزن الثمانية علىٰ ما في المصباح - مادة (ر، ب، ع) -: السِّنُّ التي بين الثنيّة والناب.

والشّجّة على ما ذكر الفيومي: الجِراحة، وإنّما تسمّىٰ بذلك إذا كانت في الوجه أو الرأس) [المصباح المنير: ١٥٩، مادة (ش، ج، ج)].

وقال النعماني أيضاً: أخبرنا علي بن أحمد البندنيجي، عن عبيد الله بن موسىٰ العباسي، عن الحسن بن معاوية، عن الحسن بن محبوب، عن عيسىٰ بن سليمان، عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد ذكر القائم عجل الله فرجه، فقلت: إنّي لأرجو أن يكون أمره في سهولة، فقال: «لا يكون ذلك حتىٰ تمسحوا العَلَقَ، والعَرَقَ» [الغيبة: ٢٩٤، الحديث٣].

المرأة، ولا يكون حتىٰ يخرج من ولد الشيخ، فيسير حتّىٰ يقتل ببطن النجف، فوالله كأنّي أنظر إلىٰ رماحهم وسيوفهم وأمتعتهم إلىٰ حائط من حيطان النجف يوم الاثنين، ويستشهد يوم الأربعاء»[١].

وقوله عليه السلام: «لا يكون ذلك» يعني: قيام المهدي عجل الله فرجه.

وقوله عليه السلام: «حتىٰ يخرج من ولد الشيخ» ربما سقطت منه كلمة (خارج) بعد كلمة «يخرج»، هكذا: (حتىٰ يخرج خارج).

ولم يتبيّن من الحديث ولا غيره من الأحاديث - حسب ما وقفنا عليه منها - من هو المراد بالشيخ، ومن هو ولده الذي سيخرج قبل السفياني؟.

لكنّ هذا لا يضرُّ، لكفاية معروفيّته في وقته، بحيث يشتهر في ذلك الوقت شخص بلقب الشيخ كاشتهار شيخ الطائفة الطوسي به بحيث ينصرف إليه عند الاطلاق، وكاشتهار المرتضىٰ علم الهدىٰ بلقب السيد، واشتهار بعض مراجع الدين بهذا اللقب بحيث ينصرف إليه. والأمر سهل.

والظاهر من تعبير الإمام عليه السلام عن قتله بالاستشهاد أنه من المؤمنين، وأنّه يخرج في قضية حقة، بحيث يكون القتل من أجلها شهادة في سبيل الله.

وظاهره أن خروج المشار إليه شرط في خروج السفياني الذي هو من علامات الظهور الحتميّة، فيكون خروج ذلك الخارج من أشراط القيام.

الشرط الثاني والعشرون: ذهاب ثلثي الناس وبقاء الشيعة ضمن الثلث الباقي، أو ذهاب تسعة أعشار الناس وبقاء الشيعة ضمن التُّسع الباقي:

[٢١] الطوسي: وروىٰ محمد بن جعفر الأسدي، عن أبي سعيد الادمي[٢]، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن محمد بن

١. بحار الأنوار ٥٢: ٢٧١، الحديث١٦٣.

٢. وهو سهل بن زياد.

مسلم وأبي بصير، قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يكون هذا الأمر حتّىٰ يذهب ثُلُثا الناس»، فقلنا: إذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقىٰ؟ فقال: «أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي»[١].

ورواه الصدوق بإسناده[٢]، عن أبي أيوب، عن أبي بصير ومحمد بن مسلم، قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام، باختلاف يسير[٣]، إلّا أنّ الوارد فيه: (ثلث الناس) وليس (ثلثا الناس)، وهو من سهو القلم، أو سقوط الألف في المطبوعة، بقرينة قوله عليه السلام بعد ذلك: «أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي»، ولم يقل: في الثلثين الباقيين.

[٢٢] النعماني: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، بهذا الإسناد[٤]، عن هشام بن سالم، عن زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: النداء حقّ؟ قال: «إي والله، حتىٰ يسمعه كلُّ قوم بلسانهم»، وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يكون هذا الأمر حتىٰ يذهب تسعة أعشار الناس»[٥].

وربما يشكل: بأنّ مفاد هذه الرواية معارض لمفاد الرواية السابقة، فتسعة أعشار أكثر من ثلثين.

ويمكن أن يجاب: بأنّه علىٰ فرض صدور كلتا الروايتين من الإمام عليه السلام فإنّ التقدير في كلتيهما أو إحداهما كان علىٰ سبيل التقريب دون التدقيق، لأنّ

---

١. الغيبة: ٣٣٩، الحديث٢٨٦.

٢. ومقصوده من الإسناد ما ذكره في سند الحديث٢٨ الذي قبل هذا الحديث، وهو: (محمّد بن موسىٰ بن المتوكّل رحمه الله، قال: حدّثنا عليُّ بن الحسين السعد آباديُّ، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن محمّد بن أبي عمير، عن أبي أيّوب).

٣. كمال الدين ٢: ٦٥٥، الباب٥٧، الحديث٢٩.

٤. ومراده بإسناد أحمد بن محمد بن سعيد ما ذكره قدس سره في غيبته قبل هذا الحديث، وهو: (حدّثنا علي بن الحسن، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله، عن محمد بن أبي عمير).

٥. الغيبة: ٢٨٢، الباب١٤، الحديث٥٤.

كلام المعصوم معصومٌ من التعارض والتهافت بعد الجزم بعدم صدور أيّ من الروايتين علىٰ سبيل التقية، أو لمسوّغ آخر من مسوّغات اختلاف كلام المعصوم.

أو يجاب: بإنكار التعارض بينهما، لإمكان الجمع بحمل الروايتين علىٰ أنّ تناقص الناس سيكون علىٰ مراحل، وأنّ المرحلة التي تسبق الأخيرة لا يبقىٰ من الناس إلّا الثلث، وفي الأخيرة لا يبقىٰ إلّا التُسع.

أو يجاب: بأنّ اختلافهما بحسب اختلاف النسبة، كما لو تكون نسبة الشيعة إلىٰ كافة شعوب العالم في ذلك العصر أقلّ من العشر، وسيذهب تسعة أعشار العالم، ويبقىٰ الشيعة ضمن العشر الباقي.

أو تكون نسبة الشيعة إلىٰ مسلمي العالم أقلّ من الثلث، وسيذهب ثلثا المسلمين، ويشكّلون الغالبية من المخالفين، ويبقىٰ الشيعة ضمن الثلث الباقي.

أو تكون نسبة الشيعة إلىٰ مسلمي العالم أقلّ من التُّسع، ونسبتهم إلىٰ مسلمي العرب أو العراق فحسب أقل من الثلث.

أو يجاب بأجوبة أخرىٰ لا يأباه النصّان، ولا الواقع، فيرتفع الإشكال من أساسه.

الشرط الثالث والعشرون: تولّي جميع أصناف الناس الرئاسة قبل قيام القائم عجل الله فرجه:

[٢٣] النعماني: حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا علي بن الحسن، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما يكون هذا الأمر حتىٰ لا يبقىٰ صنفٌ

من الناس إلّا وقد وُلُّوْا علىٰ الناس، حتىٰ لا يقول قائلٌ: إنّا لو وُلِّينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحقّ والعدل»[١].

والمراد من العدل في قول القائل المفترض: «لو وُلّينا لعدلنا» هو العدل المماثل لعدل الإمام الحجة عجل الله فرجه، وظاهره أنّ العدل الذي سيتحقّق علىٰ يد القائم عجل الله فرجه لن يتحقّق علىٰ يد أحد قبله عجل الله فرجه مطلقاً.

الشرط الرابع والعشرون: خروج اثني عشر هاشميّاً كلٌّ منهم يدعو إلىٰ نفسه:

[٢٤] الطوسي: الفضل بن شاذان[٢]، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخرج القائم حتىٰ يخرج اثنا عشر من بني هاشم، كلّهم يدعو إلىٰ نفسه»[٣].

أقول: الظاهر بقرينة كون الدعوة إلىٰ النفس أنّهم أهل باطل، ولعلّ هؤلاء هم الذين سيلقىٰ الناس منهم ما يجعلهم يلعنون راية الإمام المهدي عجل الله فرجه إذا ظهر، كما جاء ذلك في الرواية المتقدّمة بتسلسل [١٨]، والروايات الثلاث التي ذكرناها هناك كشواهد عليها.

الشرط الخامس والعشرون: ذلّ الشيعة، وفقدانهم للمساند:

[٢٥] الكليني: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نجران، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لا

---

١. الغيبة: ٢٨٢، الحديث٥٣.

٢. وسند الشيخ إلىٰ الفضل بن شاذان ما ذكره في الحديث٤٢٣ من غيبته، وهو: الحسين بن عبيد الله، عن أبي جعفر محمد بن سفيان البزوفري، عن أحمد بن إدريس، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان النيشابوري.

٣. الغيبة: ٤٣٧، الحديث٤٢٨. أقول كذا جاءت كلمة (المواة) بالهاء في هذه الرواية والتي بعدها، والصحيح: الموات بالتاء الطويلة.

ترون الذي تنتظرون حتىٰ تكونوا كالمِعزَىٰ المَوَاةِ التي لا يبالي الخابس أين يضع يده فيها، ليس لكم شرف ترقونه، ولا سناد تسندون إليه أمركم»[١].

قال الكليني: وعنه[٢]، عن علي بن الحكم، عن ابن سنان، عن أبي الجارود، مثله، قال[٣]: قلت لعلي بن الحكم: ما المَوَاةُ مِنَ المَعْزِ؟ قال: «التي قد استوت، لا يفضل بعضها علىٰ بعض»[٤].

قال الكاشاني قدس سره:

(المِعزَىٰ والمَعْزُ: خلاف الضَّأْنِ من الشاة.

والمَوَاتُ: يقال للذي لا روح فيه، وربما يستعار للمهزول.

والخَابِسُ - بالخاء المعجمة والباء الموحدة -: الآخذ ظلماً، ويروىٰ: الجَازِرُ، ولعله أصوب.

والشرف - بالفتح -: المكان العالي.

والسِّنَاد - كالعِمَاد[٥] -: ما يستند إليه.

وكأنّ المعنىٰ: لا ترون - معاشر الشيعة - ما تنتظرونه من ظهور القائم عليه السلام حتىٰ ينتهي حالكم إلىٰ أن تصيروا كالمِعزَىٰ المتساوية أعضاؤها في الضعف والهُزَال، لا يبالي آخذها أين يضع يده منها، لعدم نفورها عنه، ولا امتناعها عليه، لضعفها وفقد الحامي لها، وذلك لذهاب أكابركم، بحيث لا يبقىٰ لكم

١. الكافي ٨: ٢٦٣، الحديث ٣٧٩.
٢. مرجع الضمير في (عنه) هو أحمد بن محمد.
٣. القائل أحمد بن محمد الراوي عن علي بن الحكم.
٤. الكافي ٨: ٢٦٣، الحديث ٣٨٠.
٥. الظاهر أن التشبيه من جهة الوزن والمعنىٰ معاً.

حِصنٌ وملجأ، [و]لا مكانٍ عالٍ ترقونه تمتنعون به من عدوكم، ولا عظيمٍ من رؤسائكم تسندون إليه أمركم فيحميكم من عدوكم.

وفي ألفاظ الحديث تصحيفات، وتحريفات، والأقرب بأساليب الكلام ما ذكرناه. انتهىٰ كلامه رُفع مقامه[١].

الشرط السادس والعشرون: ظهور ودائع الله ﷻ:

[٢٦] الصدوق: حدَّثنا جعفر بن محمّد بن مسعود، عن أبيه، عن عليِّ بن محمّد، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم الكرخيِّ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام - أو قال له رجل -: أصلحك الله ألم يكن عليٌّ عليه السلام قويّاً في دين الله ﷻ؟ قال: «بلىٰ»، قال: فكيف ظهر عليه القوم؟ وكيف لم يدفعهم؟ وما يمنعه من ذلك؟ قال: «آية في كتاب الله ﷻ منعته»، قال: قلت: وأية آية هي؟ قال: «قوله ﷻ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾ [الفتح: ٢٥]، إنّه كان لله ﷻ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليٌّ ليقتل الآباء حتّىٰ يخرج الودائع، فلمّا خرجت الودائع ظهر علىٰ من ظهر فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت، لن يظهر أبداً حتّىٰ تظهر ودائع الله ﷻ، فإذا ظهرت ظهر علىٰ من يظهر فقتله»[٢].

الشرط السابع والعشرون: طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً:

[٢٧] الصدوق: حدّثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب، قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفِّي فيها الشيخ علي بن محمد السمري (قدس الله روحه)، فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلىٰ الناس توقيعاً نسخته: «بسم

١. الوافي ٢: ٤٧٣، الحديث ٩٨١.
٢. كمال الدين ٢: ٦٤٢.

الله الرّحمن الرحيم. يا عليَّ بن محمّد السمريَّ، أعظم الله أجر إخوانك فيك؛ فانّك ميّت ما بينك وبين ستة أيّام، فأَجْمِعْ أمرك، ولا توص إلىٰ أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية (التامة - خ)، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله ﷻ، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة، إلّا فمن ادّعىٰ المشاهدة قبل خروج السفيانيِّ والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليِّ العظيم»[1].

والقدر المتيقّن من شرطيّة طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً أن يتحقّق أمران:

أحدهما: اجتماع الظواهر الثلاثة في زمان واحد، فيكون المجموع هو الشرط، لا أنّ كلّ ظاهرة لوحدها شرط.

ثانيهما: أن تبلغ كلّ ظاهرة منها أعلىٰ الحدود.

وبهذا يندفع ما ربما يشكل به في المقام، من أنّ المذكورات لم يخلو منها زمان، فلا تصلح للشرطيّة.

إذ يجاب: بأن شرطيّتها ليست مطلقة، بل في حال اجتماعها معاً، مع بلوغ كل واحدة منها حدّها الأعلى. والله أعلم.

الشرط الثامن والعشرون: وقوع حروب بين العرب.

الشرط التاسع والعشرون: اختلاف شديد بين الناس.

الشرط الثلاثون: تفرُّق الناس في الدين.

الشرط الحادي والثلاثون والأخير: تغيّرٌ في الأحوال بنحو يجعل الإنسان يتمنّىٰ الموت.

---

١. كمال الغيبة ٢: ٥١٦، الباب ٤٥، الحديث ٤٤.

[٢٨] النعماني: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدّثني أحمد بن يوسف بن يعقوب أبو الحسن الجعفي من كتابه، قال: حدّثنا إسماعيل بن مهران، قال: حدّثنا الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه ووهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، في حديث طويل جاء فيه: «لا يقوم القائم إلّا على خوفٍ شديدٍ من الناس، وزلازلٍ وفتنةٍ، وبلاءٍ يصيب الناس، وطاعونٍ قبل ذلك، وسيفٍ قاطع بين العرب، واختلافٍ شديدٍ في الناس، وتشتُّتٍ في دينهم، وتغيُّرٍ من حالهم، حتّى يتمنّى المُتَمَنِّي الموت صباحاً ومساءً، من عُظْمِ ما يرىٰ من كَلَبِ الناس، وأكل بعضهم بعضاً، فخروجه إذا خرج يكون اليأسُ والقنوطُ من أن يروا فرحاً[1]، فيا طوبىٰ لمن أدركه وكان من أنصاره، والويل كلَّ الويل لمن ناواه وخالفه، وخالف أمره، وكان من أعدائه»[2].

وقد اشتملت هذه الرواية علىٰ أشراط تقدّمت، فتكون مؤكّدةً لها كما نوّهنا هناك.

هذه واحد وثلاثون شرطاً لقيام القائم عجل الله فرجه، وربما يعثر الباحث علىٰ أكثر من ذلك في مصادر لم نصل إليها.

ومن الأشراط التي لم أسجّلها هنا: ما رواه النعماني، قال: حدّثنا علي بن الحسين، قال: حدّثنا محمد بن يحيىٰ العطار، قال: حدّثنا محمد بن حسّان الرازي، عن محمد بن علي الكوفي، قال: حدّثنا محمد بن سنان، عن عبيد بن

١. كذا «فرحا» بالحاء المهملة، والظاهر بقرينة المقابلة مع اليأس والقنوط وقوع تصحيف في الكلمة، أو خطأ في الطبع، وأنّ الصحيح: (فرجاً) بالجيم المعجمة.

٢. الغيبة: ٢٦٢، الحديث١٣. أقول: لعل العبارة الأخيرة للنعماني، وليست للإمام عليه السلام، أعني قوله: (فخروجه إذا خرج يكون اليأسُ والقنوطُ من أن يروا فرحاً، فيا طوبىٰ لمن أدركه وكان من أنصاره، والويل كلَّ الويل لمن ناواه وخالفه، وخالف أمره، وكان من أعدائه)، والله العالم.

زرارة، قال: ذُكر عند أبي عبد الله عليه السلام السفياني، فقال: «أنّىٰ يخرج ذلك[١] ولمّا يخرج كاسر عينيه بصنعاء؟»[٢].

وإنّما لم أسجّلها لقوّة احتمال أن يكون المراد بكاسر عيني السفياني هو اليماني نفسه، بقرينة خروجه من صنعاء فتكون هذه الرواية من روايات علامات الظهور التي استثنيت من البحث لما ذكرناه في المقدّمة.

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلواته علىٰ رسوله وآله خير الورىٰ.

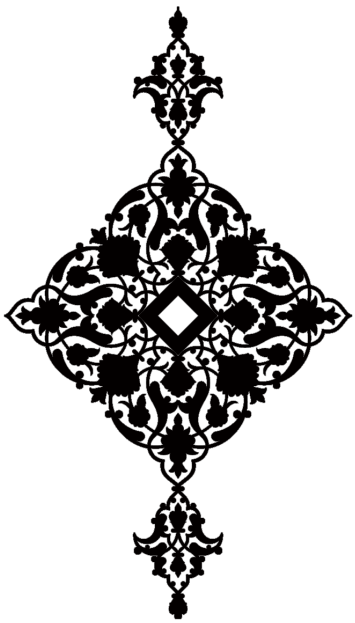

١. الظاهر وقوع زيادة لفظ (يخرج) أو لفظ (ذلك)، لكنه لا يضرّ بمعنىٰ الحديث.

٢. الغيبة: ٢٨٦، الباب١٤، الحديث٦٠.

المعود
ALMAUOOD

الولاية والتدبير للإمام الغائب عجل الله فرجه

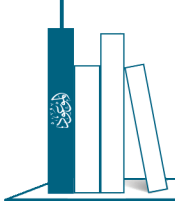

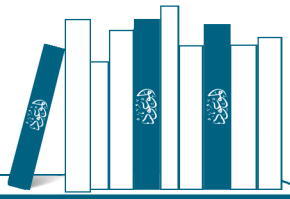

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

تمهيد:

تكثرت المسائل المتعلقة بالقضية المهدوية تبعاً لأهميتها عند البشرية جمعاء، إذ إنها من المسائل المتجذرة في تاريخ الشعوب عموماً، وكان لها حظ وافر من الديانات، سواء الوضعية منها أو السماوية، كما ذُكر هذا في محله.

وبتبع ذلك، فقد تعددت الشبه حولها، وتنوعت، حتَّىٰ أنَّك ربما لا تجد مفردة من مفرداتها إلّا وقد أثيرت حولها الشكوك والشبهات، أو علىٰ الأقل الأسئلة بغية معرفة تفاصيلها، خصوصاً وأن من طبع الإنسان الميل نحو معرفة المجهول، ومحاولة استشراف المستقبل والعلم به، ما أوتي إلىٰ ذلك سبيلاً، فكان اهتمامه بهذه القضية من هذه الناحية شديداً.

من جهة أخرىٰ، فإنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه بحسب الاعتقاد الحق هو الإمام الثاني عشر لأئمة أهل البيت عليهم السلام، والمولود سنة (٢٥٥هـ)، ومن ثم فالاعتقاد بحياته إلىٰ اليوم يلازم العديد من المفاهيم، كطول عمره الشريف، وغيبته، وغيرها.

وفي هذه النقطة أثير جدل واسع في مسائل متعددة، ومنها الاستفسار – إن لم نقل طرح شبهة – عن دوره وهو في زمن الغيبة، وماذا يفعل فيها، وما نفعه لأتباعه، وما نفعه للدين، وغيرها من الأسئلة التي تدور حول محور واحد هو التشكيك في قيامه بما أوكل إليه من أدوار ومهام متعلقة بالإمامة.

هذا البحث ليس في مقام استقصاء أدواره عليه السلام وبيانها[1]، إنَّما هو في مقام تسليط الضوء علىٰ دور يقوم به عليه السلام من وراء ستر الغيب، وله من التأثير ما لا يُستغنىٰ عنه، وهو دور الولاية التدبيرية للكون عموماً، ولأتباعه خصوصاً.

وهنا عدة نقاط:

النقطة الأولىٰ: أنظمة العالم:

تتحكم في عالم المادة أنظمة متعددة، هي تجلٍ لقانون السببية العام الذي جعله الله تعالىٰ شاملاً للكون، فلا وجود للصدفة بالمعنىٰ الفلسفي (أي وجود المعلول من دون علة)، ولا وجود لأثر من دون مؤثر، هكذا أراد الله تعالىٰ للكون، وهو أمر مشاهد بالوجدان قبل أن يدلّ عليه البرهان.

ليس لنا شغل – هنا – بالقانون التشريعي الذي قنّنه الباري جل جلاله للبشر، فهو ليس محل نظر البحث، إنَّما شغل البحث بالقانون التكويني لهذا العالم، وهو ما أُشير إليه قبل قليل بقانون الأسباب والمسببات، ولنطلق عليه: قانون النظام التكويني العام.

ويتضمن هذا القانون العام أنظمة فرعية عديدة، يهمنا منها **نظام التدبير والعناية**، بأن تجري قوانين تكوينية معينة في حياة الفرد – ولو من حيث لا يشعر ولا يعلم – تصبّ في مصلحته، ولها مظاهر متعددة، قد يأتي

١. بيَّنت تلك الأدوار بالتفصيل في بحث سابق في العدد (١٥) من مجلة الموعود، فراجع.

بعضها بصورة ضرر ظاهري، ولكن باطنه نفع واقعي للعبد لا يعلم به إلّا بعد حين، ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد: ١٣).

خذ على ذلك مثالاً الغنىٰ والفقر، فإنَّك قد تجد شاباً يافعاً لم يدَّخر جهداً في تحصيل المال، ولكن الفقر ما زال يقبع عند باب داره، وقد تجد آخر لا يبذل جهداً كبيراً، إلّا أنَّ موارده المالية كثيرة، وقد يُخرّج هذا على أساس الخبرة والهدفية وما شابه مما يُذكر في علم سياسة المال والتجارات، إلّا أنَّه قد يكون وراء ذلك تدبير غيبي هو تطبيق لما روي عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لـمَّا أُسري بالنبيِّ صلى الله عليه وآله قال: يا ربِّ، ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمّد...، وإنَّ من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلَّا الغنىٰ، ولو صرفته إلىٰ غير ذلك لهلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلَّا الفقر، ولو صرفته إلىٰ غير ذلك لهلك»[١].

مثال آخر: قد يدعو الإنسان بما يحسب أنَّه من مصلحته، إلّا أنَّ الحكمة الإلهية تأبىٰ الإجابة، لأنَّها تؤول إلىٰ مضرة العبد من حيث لا يعلم، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فلرُبَّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيته...»[٢].

ومن تجليات هذا النظام هي العقوبات التكوينية، بأن تُعجّل بعض العقوبات لبعض البشر لأجل غاية معينة، قد تكون هي تربيتهم، وقد تكون دفع الضرر عن بعضهم بإهلاك بعض آخر، وقد تكون لجلب مصلحة لبعض بإنزال العقوبة بالبعض، وستتبين بعض أمثلة ذلك خلال البحث إن شاء الله تعالىٰ.

١. الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص٣٥٢/ باب من آذىٰ المسلمين واحتقرهم/ ح٨).
٢. نهج البلاغة (ج ٣/ ص٤٨ و٤٩).

ولابد من الإشارة: إلىٰ أنَّ كل هذه السنن والقوانين الأصلية منها والفرعية تجري بمشيئة الله سبحانه وقدرته وحاكميته، سواء كانت بالمباشرة منه ﷻ أو من خلال الأسباب والوسائل، ومنها الملائكة والأولياء وغيرهم من جنود ربك.

النقطة الثانية: الولاية التدبيرية:

يُقصد من الولاية التدبيرية هنا: القدرة علىٰ التصرف في قوانين التكوين ونظام العالم بما يدخل في صلاحه، وتسيير أموره إلىٰ الهدف من وجوده والغاية القصوىٰ له، فهي نوع من العناية الخاصة بأمور الكون عموماً، ومفرداته المتكثرة - ومنها الإنسان - خصوصاً.

أو قل: هي مرتبة كمالية مرتبطة بالقدرة علىٰ التصرف في شؤون العالم وسننه وقوانينه.

وهي فرع من فروع الولاية التكوينية التي تعني تدخّل الولي في علل الوجود، أو كونه جزء علة في التأثير في الوجود، أو (هي عبارة عن تسخير المكونات تحت إرادتهم عليهم السلام ومشيتهم بحول الله وقوته)[1].

وبتعبير آخر: عبارة عن تأثير مشية النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام في أمر كوني بمجردها [أي بمجرد المشيئة] أو مع فعل ما يكون ذلك التأثير، من قبيل خرق العادة كإحياء عيسىٰ عليه السلام وتفجير موسىٰ عليه السلام العيون بضرب عصاه إلىٰ غير ذلك[2].

---

١. كتاب المكاسب والبيع - تقرير بحث النائيني للآملي: ج٢، ص٣٢٤. ومصباح الهدىٰ في شرح العروة الوثقىٰ - للشيخ محمد تقي الآملي: ج١٠، ص٣٧٠.

٢. إرشاد الطالب إلىٰ التعليق علىٰ المكاسب - للميرزا جواد التبريزي: ج٣، شرح ص٢٠.

وقد اتَّفقت كلمة علمائنا علىٰ ثبوت هذا المعنىٰ من الولاية التكوينية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد صرَّح الكثير منهم بأنَّ ثبوتها للمعصومين عليهم السلام أمر مفروغ عنه، قال السيد الخوئي قدس سره: (أمّا الولاية التكوينية: فلا إشكال في ثبوتها وأنَّ المخلوقات بأجمعها راجعة إليهم وإنّما خلقت لهم، ولهم القدرة علىٰ التصرف فيها وهم وسائط التكوين، ولعلّ ذلك بمكان من الوضوح ولا يحتاج إلىٰ إطالة الكلام)[١].

وقال قدس سره: (في ولايتهم عليهم السلام التكوينية... فالظاهر أنَّه لا شبهة في ولايتهم علىٰ المخلوق بأجمعهم، كما يظهر من الأخبار، لكونهم واسطة في الإيجاد، وبهم الوجود، وهم السبب في الخلق، إذ لولاهم لما خلق الناس كلهم، وإنَّما خلقوا لأجلهم، وبهم وجودهم، وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق، فهذه الولاية نحو ولاية الله تعالىٰ علىٰ الخلق ولاية إيجادية، وإن كانت هي ضعيفة بالنسبة إلىٰ ولاية الله تعالىٰ علىٰ الخلق)[٢].

وقال السيد الروحاني قدس سره:

(الولاية التكوينية – أي ولاء التصرف التكويني – والمراد بها: كون زمام أمر العالم بأيديهم، ولهم السلطنة التامة علىٰ جميع الأمور بالتصرف فيها كيف ما شاءوا إعداماً وإيجاداً، وكون عالم الطبيعة منقاداً لهم لا بنحو الاستقلال بل في طول قدرة الله تعالىٰ وسلطنته واختياره، بمعنىٰ أنَّ الله تعالىٰ أقدرهم وملكهم كما أقدرنا علىٰ الأفعال الاختيارية، وكل زمان سلب عنهم القدرة بل لم يفضها عليهم انعدمت قدرتهم وسلطنتهم.

١. التنقيح في شرح المكاسب – البيع (موسوعة السيد الخوئي) تقرير بحث السيد السيد الخوئي للغروي: ج٣٧، ص١٥٧.

٢. مصباح الفقاهة للسيد الخوئي: ج٣، ص٢٧٩ و٢٨٠.

ومن هذا الباب معجزات الأنبياء والأولياء، وقد دلَّ الكتاب الكريم على ثبوت ذلك لأشخاص، قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] وقال عز من قائل: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ٣٦ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ٣٧ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٦-٣٨]، وقال سبحانه: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] إلىٰ غير ذلك من الآيات المتضمنة لثبوت ولاء التصرف لأشخاص.

وإذا ثبت ذلك لهؤلاء فثبوته للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وخليفته الذي عنده علم الكتاب بنص القرآن لا يحتاج إلىٰ بيان، وعليه فالروايات المتواترة المتضمنة للمعجزات والكرامات الصادرة علىٰ المعصومين عليهم السلام - كالتصرف الولائي في النقش وصيرورته أسداً مفترساً وما شاكل - إنَّما نلتزم بها ونعتقد من غير التزام بالتأويل، كيف ونرىٰ أنَّهم عليهم السلام بعد موتهم تصدر عنهم كرامات من إبراء المريض الذي عجز الأطباء عن إبرائه، وحل معضلات الأمور وما شاكل، وليس ذلك إلّا لما ذكرناه.

ويمكن أن تكون الآية الكريمة: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦) ناظرة إلىٰ ثبوت هذا المعنىٰ من الولاية أيضا للنبي صلى الله عليه وآله.

بالجملة: ثبوت الولاية بهذا المعنىٰ للنبي والأئمة المعصومين - الذين يثبت لهم جميع ما يثبت للنبي صلى الله عليه وآله للروايات الكثيرة المتواترة - مما لا ينبغي التوقف فيه.

وأمّا شبهة استلزام ذلك للشرك، فهي تندفع بأنّا لا ندَّعي ثبوت ذلك لهم بالاستقلال، بل إنَّ الله تبارك وتعالىٰ ملَّكهم وأقدرهم كما ملَّكنا وأقدرنا علىٰ الأفعال الاختيارية، وبه يظهر أن لا ينافيه قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨] فإنَّ المراد عدم الملكية بالاستقلال)[١].

والحاصل: أنَّ المقصود من الولاية التدبيرية للإمام المهدي عجل الله فرجه هي قدرته علىٰ التدخل في أمور الكون والإنسان، وقيامه بما يصب في مصلحته، وتيسير أموره، وتنظيمها.

النقطة الثالثة: مقتضيات الحكمة في ولاية التدبير:

تعني الحكمة الإلهية: أنَّ الله تعالىٰ لا يفعل فعلاً جزافاً، ولا لعباً ولا لهواً، وإنَّما كل أفعاله حكيمة، أو كما يعبِّر علماء الكلام: أنَّ أفعاله تعالىٰ معللة بالغايات، فالحكيم «هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَه»[٢]، ولذلك فإنَّ صنعه تعالىٰ وأفعاله وكل ما يصدر عنه يكون وفق هذا المعنىٰ ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٨٨).

والحكمة بهذا المعنىٰ تقتضي عدَّة تقييدات في صفات إلهية أخرىٰ، يهمنا اثنان:

التقييد الأول: تقييد الحكمة للعلم:

فالله تعالىٰ رغم أنَّه عالم بكل شيء، ويقدر أن يُعطي علوماً لا متناهية لكل عبيده، إلّا أنَّ الحكمة تقتضي أن يختص في بعض العلوم الخاصة علىٰ

١. فقه الصادق عليه السلام للسيد محمد صادق الروحاني: ج١٦، شرح ص١٥٣ إلىٰ ص١٥٥.

٢. في نهج البلاغة: ج٤، ص٥٢: وقِيلَ لَه صِفْ لَنَا العَاقِلَ - فَقَالَ عليه السلام: «هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَه»، فَقِيلَ: فَصِفْ لَنَا الجَاهِلَ، فَقَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»، قال الرضي: (يعني أنَّ الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه، فكأنَّ ترك صفته صفة له، إذ كان بخلاف وصف العاقل).

بعض أوليائه، ولذلك لا نجد علوماً غيبية عند الجميع، وإنَّما هي حصراً بالمعصومين عليهم السلام.

التقييد الثاني: تقييد الحكمة للقدرة:

فالقادر قد يتمكَّن من فعل أشياء كثيرة، ولكنه ينتخب بعضاً منها ليفعله، ويترك بعضاً آخر، لا لشيء إلّا لأنَّ الحكمة تقتضي فعل الأول وترك الثاني.

إذا تبيَّن هذا نقول: إنَّ الحكمة الإلهية وإنْ اقتضت إيكال ولاية التدبير في الكون إلىٰ بعض أوليائه، ولكنها لم تقتض أن يعلم البشر بكيفية إدارة الولي لهذه المهمة، ولا اقتضت أن يعلم البشر بالتصرف التدبيري الذي يصبّ في مصلحتهم، ولا أن يتمّ إعلامهم قبل الفعل التدبيري، كل ذلك لا ضرورة تقتضيه، بل قد تقتضي الحكمة إخفاء كيفية تصرف الولي، فضلاً عن اقتضائها إخفاء نفس الولي في بعض الأحايين.

وعلىٰ هذا الكلام شاهد قرآني لا يُنكر، ذكره الباري جل جلاله في قصة العبد الصالح الخضر والنبي موسىٰ عليهما السلام، حيث إنَّنا نجد عدَّة تصرفات مخالفة لظاهر الشريعة، ولكن التدبير والعناية الإلهية اقتضت نفوذها، وهي باختصار:

التصرف الأول: خرق السفينة، إذ لا شك أنَّ التصرف في مال الغير بما يعيبه ومن دون إذنه مخالف لظاهر الشريعة، ولذا اعترض النبي موسىٰ عليه السلام عليه.

التصرف الثاني: قتل الغلام، وحرمته الظاهرية لا ريب فيها.

التصرف الثالث: إقامة جدار مائل من دون أخذ أجر، وهذا الفعل وإن كان جائزاً في حدِّ ذاته، من باب الإحسان إلىٰ الآخرين مثلاً، ولكنه بوجه من الوجوه تصرف غير حكيم ظاهراً، ولذا اعترض النبي موسىٰ عليه السلام علىٰ إقامته من دون أخذ أجر، رغم أنَّ أهل القرية لم يطعموهما.

في كل هذه التصرفات الثلاثة لم يُبيِّن الخضر عليه السلام وجه الحكمة في تصرفه في بداية الأمر، ولم يكن بالأمر اللازم عليه - وإلّا لبيَّنه للنبي موسىٰ عليه السلام خصوصاً مع إلحاحه في كل مرة واعتراضه علىٰ تصرفه -، ولا أن الطرف الآخر - أصحاب السفينة أو أبوي الغلام أو صاحب الجدار - علم بمن قام بهذا التصرف، صحيح أنَّ الأخير استفاد من إقامته، ولربما كان يشكر الخضر عليه السلام لو علم به، لكن ما بالك بأهل السفينة عندما وجدوا سفينتهم معيبة، بل كيف ترىٰ أبوي الغلام عندما وجداه مقتولاً؟! لا شك أنَّهما كانا يبوّبان هذه التصرفات في خانة القبيح.

روائياً، صرّحت بعض النصوص بهذه الحقيقة، وعلىٰ ذلك مثالان:

المثال الأول: ما فعله الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام مما يُسمىٰ بالصلح مع معاوية (لعنه الله)، حيث أشار عليه السلام إلىٰ أن ما فعله كان فعلاً حكيماً - لمكان عصمته-، وإن لم يطلع الناس علىٰ وجه الحكمة فيه، فقد روي عن أبي سعيد عقيصاً قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب: يا بن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟ فقال: «يا أبا سعيد ألستُ حجة الله (تعالىٰ ذكره) علىٰ خلقه وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام»؟ قلت: بلىٰ، قال: «ألستُ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»؟ قلت: بلىٰ، قال: «فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذ لو قعدت، يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله (تعالىٰ ذكره) لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته

ملتبساً ألا ترىٰ الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسىٰ عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتىٰ أخبره فرضيٰ هكذا أنا، سخطتم عليَّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا علىٰ وجه الأرض أحد إلّا قُتِل»[١].

المثال الثاني: ما روي في وجه الحكمة من غيبة مولانا الإمام المهدي عجل الله فرجه، حيث صرّح الإمام الصادق عليه السلام بأنه رغم معرفته بوجه الحكمة في ذلك، إلّا أنَّه لم يؤذن له بالكشف عنها، فلا يلزمه بيانها للناس، وأن هذا الوجه ينكشف عند ظهور الإمام عجل الله فرجه كما لم يتبيَّن وجه الحكمة في أفعال الخضر للنبي موسىٰ عليهما السلام إلّا عندما حان وقت الفراق بينهما، فقد روي عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدَّ منها، يرتاب فيها كلّ مبطل»، فقلت له: ولِمَ جُعلت فداك؟ قال: «لأمر لم يُؤذَن لنا في كشفه لكم»، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدَّمه من حجج الله تعالىٰ ذكره، إنَّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلَّا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لموسىٰ عليه السلام إلَّا وقت افتراقهما، يا بن الفضل، إنَّ هذا الأمر أمر من أمر الله تعالىٰ، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتىٰ علمنا أنَّه عزّ وجلّ حكيم، صدَّقنا بأنَّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف»[٢].

ومنه يتبيَّن: أنَّه ومن وجهة النظام التدبيري والعناية الغيبية لا يوجد أي مانع في أن يبتلي الله طفلاً غير بالغ بحادثة معينة، ثم يموت ذلك الطفل

١. علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج١، ص٢١١.
٢. كمال الدين: ٤٨١ و٤٨٢/ باب ٤٥/ ح ١١.

بسبب هذه الحادثة، وذلك لعلم الله تعالىٰ بأن أخطاراً كبيرة كامنة لهذا الطفل في المستقبل.

وأيضاً لا مانع في أن يبتليني الله اليوم بمرض صعب يقعدني الفراش، لعلمه تعالىٰ بأنَّ خروجي من البيت - لو تم - فإنَّه يُعرّضني لحادثة خطيرة لا أستحقها، لذا فهو تعالىٰ يمنعني منها.

بعبارة أخرىٰ: إن مجموعة من أوليائه وعباده عليهم السلام مكلَّفون في هذا العالم بالبواطن، ولهم ضوابط وأصول وبرامج خاصة بهم، مثلما للمكلفين بالظواهر ضوابطهم وأصولهم الخاصة بهم أيضاً.

بالطبع لا يستطيع أحد أن يعمل كل ما يحلو له بحجة أنَّه يقصد تدبير أمر الآخرين، بل يجب أن يحصل علىٰ إجازة المالك القادر الحكيم الخالق جل وعلا، لذا رأينا الخضر (العالم الكبير) يوضح هذه الحقيقة بصراحة قائلاً: ﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]، بل وفقاً للبرنامج الإلهي والضوابط التي كانت موضوعة، هذا وقد جاء في الرواية عن أبي الحسن عليه السلام: «أتىٰ موسىٰ العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر إمّا جالساً وإمّا متّكئاً، فسلَّم عليه موسىٰ فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام، فقال: من أنت؟ قال: أنا موسىٰ بن عمران، قال: أنت موسىٰ بن عمران الذي كلَّمه الله تكليماً؟ قال: نعم، قال: فما حاجتك؟ قال: جئت لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنّي وكِّلتُ بأمر لا تطيقُه، ووكلتَ بأمر لا أطيقُه»[1].

والحاصل: أنَّ العناية الغيبية والتدبير الحكيم لا يقتضي إلّا أن يقع الفعل علىٰ وجه الحكمة، وإن كان ظاهره مخالفاً لها أو للشريعة، وإن لم يعلم الطرف

١. بحار الأنوار: ج١٣، ص٢٧٩.

المستفيد، بل وإن كان ظاهره الضرر على الطرف الآخر، نعم، هي غير متاحة إلّا لمن له مؤهلات خاصة، سنعرفها في النقطة الآتية.

النقطة الرابعة: مؤهلات الولاية التدبيرية:

بعد أن ثبت أنَّ أفعاله ﷻ معللة بالغايات، يقع السؤال عن المؤهلات التي يلزم توفرها في الولي التدبيري، والتي بها يرتفع الجزاف والعبث عن إعطائه الإذن بالتصرف في عالم التكوين.

ويمكن القول: إنَّ المؤهلات الأساسية لذلك أمران، وهما مستفادان مما عبَّر عنه القرآن الكريم في شأن الخضر عليه السلام: ﴿عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ (الكهف: ٦٥).

وهما:

المؤهِّل الأوَّل: الإذن الإلهي:

فإعطاء الولاية التدبيرية لغير الباري ﷻ إنَّما هو فعل إلهي، أي إنَّه بإذنه تعالىٰ، وأي تصوير للولاية بدون إذنه ﷻ فهو من الغلو الذي لا يقول به أحد من الشيعة.

وهذا المؤهل يرتكز علىٰ:

أ - نفي التفويض المطلق والمستقل عن الإذن الإلهي، بل إنَّه تعالىٰ ما زال قادراً علىٰ التصرف في مجريات الكون.

ب - إنَّه تعالىٰ خلق العالم وفق قوانين خاصة، بعضها لا يعلمها إلّا هو، خاصة في تفرعات ومفردات نظام العلة والمعلول.

ج - وأنَّ لـه تعـالىٰ الحـق في أن يُعلِّـم بعـض مخلوقاتـه أنظمـة تلـك القوانـين، أو قـل: أن يجعـل بعـض مخلوقاتـه عالمـاً بقوانـين العالَـم، وقـادراً عـلىٰ التـصرُّف فيـه.

د - وينتـج: أنَّـه لا يحـق لأي أحـد بـل لا يمكـن أن يتـصرف في تلـك القوانـين مـا لم يـأذن لـه البـاري ﷻ في ذلـك، ويتـم الإذن عمليـاً بإعطـاء مفاتيـح تلـك القوانـين بيـد الـولي، وبالتـالي يمكنـه أن يتـصرف في تلـك القوانـين ومخرجاتهـا التكوينيـة.

المـاء مـن طبيعتـه أنَّـه يـروي، ولكـن ذلـك باعتبـار أنَّ الله تعـالىٰ جعـل فيـه خاصيـة الإرواء، وإلّا فيمكـن رفـع هـذه الخاصيـة منـه، فـلا يكـون المـاء مزيـلاً للعطـش، فيـما إذا أراد المعصـوم ذلـك لغايـة معيَّنـة، كـما ورد هـذا المعنىٰ في الإمـام الحسـين عليه السلام، حيـث روىٰ أبـو الفـرج الأصفهـاني في مقاتـل الطالبيـين مـا نصـه: وجعـل الحسـين عليه السلام يطلـب المـاء وشـمر (لعنـه الله) يقـول لـه: والله لا تـرده أو تـرد النـار، فقـال لـه رجـل: ألا تـرىٰ إلىٰ الفـرات يـا حسـين كأنَّـه بطـون الحيـاة، والله لا تذوقـه أو تمـوت عطشـاً، فقـال الحسـين عليه السلام: «اللهـم أمتـه عطشـاً»، قـال: والله لقـد كان هـذا الرجـل يقـول: أسـقوني مـاء، فيؤتـىٰ بـماءٍ فيـشرب حتـىٰ يخـرج مـن فيـه وهـو يقـول: اسـقوني قتلنـي العطـش، فلـم يـزل حتـىٰ مـات (لعنـه الله)[1].

النـار مـن طبيعتهـا أنَّهـا محرقـة، ولكنهـا إنـما كانـت كذلـك بـإذن الله تبـارك وتعـالىٰ، وإلّا، فلـو أمرهـا لكانـت بـرداً وسـلاماً لا محرقـة مهلكـة، ونـار النمـرود أوضـح مثـال عـلىٰ ذلـك.

١. مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ص٧٨.

المؤهل الثاني: العلم الخاص:

إنَّ العالم قد صُمّم بطريقة علمية دقيقة، وأنَّ هناك قوانين تتحكم به من الذرة إلىٰ المجرة، وبالتالي، فأي تغيير في مجريات ومخرجات قانون ما، لا يكون بطريقة عشوائية، وإلّا لأنتج الدمار الشامل، ولا يكون أيضاً من دون علم، لأنَّه ربما أدّىٰ إلىٰ نتائج غير منظَّمة، وعشوائية، وقد تؤدي إلىٰ كوارث كونية.

فالولي، الذي تُدعىٰ له الولاية التدبيرية، لابدَّ أن يكون عنده من العلم ما يتجاوز به الحدود الطبيعية للبشر، وهو الذي أهَّله إلىٰ أن يتصرف في قوانين العالم، من دون أن يؤدي ذلك إلىٰ العشوائية ولا الكارثية ولا حتىٰ خلاف الحكمة الإلهية والهدف من الخلقة.

وهذا ما يبرِّر عدم تفعيل المعصومين عليهم السلام لولايتهم التكوينية مع أعدائهم بالخصوص، أو في مجمل حياتهم الشريفة، فالملاحظ في حياتهم عليهم السلام أنَّهم كانوا يتصرَّفون وفق القانون الطبيعي لهذا العالم، ولم يقع منهم غيره من الخوارق إلّا في حالات قليلة نسبياً قياساً إلىٰ مجمل أفعالهم، وما ذلك إلّا لأنَّهم لا يستخدمون قدراتهم تلك إلّا في موضع الحكمة.

هذا العلم الخاص في الوقت الذي يكشف للعالم به لوحة الوجود الواقعية بكل تفاصيلها، هو يعطيه قدرة علىٰ التصرف في هذه اللوحة - وفق الحكمة طبعاً - بما لا يُمكن أن نتخيَّله لو لم يثبته القرآن الكريم، كما في آصف بن برخيا الذي تمكّن من الإتيان بعرش بلقيس من مملكتها إلىٰ سليمان النبي عليه السلام بأسرع من لمح البصر بسبب أن لديه علماً من الكتاب، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ

تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٣٨-٤٠).

وحيث إنَّ هذين المؤهلين موجودان عند الأئمة عليهم السلام عموماً، والإمام المهدي عجل الله فرجه خصوصاً، فتثبت الولاية التدبيرية والعنائية للإمام المهدي عجل الله فرجه للكون عموماً، وللبشر خصوصاً.

والأدلة الإثباتية علىٰ ثبوت الولاية لهم عليهم السلام كثيرة، سُطرت في كتب علم الكلام، والنصوص في ذلك متكثرة، من قبيل ما روي عَنْ مُثَنّىٰ الْحَنَّاطِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ لَه: أَنْتُمْ وَرَثَةُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله؟ قَالَ عليه السلام: «نَعَمْ»، قُلْتُ: رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وَارِثُ الأَنْبِيَاءِ، عَلِمَ كُلَّ مَا عَلِمُوا؟ قَالَ عليه السلام لِي: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَأَنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَىٰ أَنْ تُحْيُوا الْمَوْتَىٰ وتُبْرِؤُوا الأَكْمَه والأَبْرَصَ؟ قَالَ عليه السلام: «نَعَمْ بِإِذْنِ الله».

ثُمَّ قَالَ عليه السلام لِي: «ادْنُ مِنِّي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ»، فَدَنَوْتُ مِنْه، فَمَسَحَ عَلَىٰ وَجْهِي، وعَلَىٰ عَيْنَيَّ، فَأَبْصَرْتُ الشَّمْسَ والسَّمَاءَ والأَرْضَ والْبُيُوتَ وكُلَّ شَيْءٍ فِي الْبَلَدِ، ثُمَّ قَالَ عليه السلام لِي: «أَتُحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَكَذَا ولَكَ مَا لِلنَّاسِ وعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ تَعُودَ كَمَا كُنْتَ ولَكَ الْجَنَّةُ خَالِصاً»؟ قُلْتُ: أَعُودُ كَمَا كُنْتُ، فَمَسَحَ عَلَىٰ عَيْنَيَّ، فَعُدْتُ كَمَا كُنْتُ.

قَالَ (مُثَنّىٰ الْحَنَّاطِ): فَحَدَّثْتُ ابْنَ أَبِي عُمَيْرٍ بِهَذَا، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا حَقٌّ كَمَا أَنَّ النَّهَارَ حَقٌّ[1].

١. الكافي للكليني: ج١، ص٤٧٠، بَابُ مَوْلِدِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، ح٣.

وفي رواية يظهر منها تدبير المعصوم لشيعته، ما رواه الطبرسي عن أحمد بن إسحاق، قال: دخلت علىٰ أبي محمد عليه السلام فقال لي: «يا أحمد، ما كان حالكم فيما كان الناس فيه من الشك والارتياب»؟ قلت: يا سيدي، لما ورد الكتاب بخبر سيدنا ومولده، لم يبقَ منا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلّا قال بالحق، فقال: «أما علمتم أنَّ الأرض لا تخلو من حجة الله»؟ ثم أمر أبو محمد عليه السلام والدته بالحج في سنة تسع وخمسين ومائتين، وعرفها ما يناله في سنة ستين، وأحضر الصاحب عليه السلام فأوصىٰ إليه وسلَّم الاسم الأعظم والمواريث والسلاح إليه، وخرجت أم أبي محمد عليه السلام مع الصاحب عليه السلام جميعاً إلىٰ مكة، وكان أحمد بن محمد بن مطهر أبو علي المتولي لما يحتاج إليه الوكيل، فلما بلغوا بعض المنازل من طريق مكة، تلقىٰ الأعراب القوافل، فأخبروهم بشدَّة الخوف، وقلة الماء، فرجع أكثر الناس إلّا من كان في الناحية، فإنَّهم نفذوا وسلموا، وروي أنَّه ورد عليهم الأمر بالنفوذ[1].

فآخر النص أنَّه (ورد عليهم الأمر بالنفوذ) يشير إلىٰ تدبير أمر من كان يريد الذهاب إلىٰ مكة المكرمة، وهو عناية من المعصوم الذي يبدو أنَّه هو الإمام العسكري عليه السلام في هذه الرواية.

وربَّما يقال: بإمكان ورود الأمر لهم بالنفوذ من الإمام الحجة عجل الله فرجه، خصوصاً وأنه كان معهم في القافلة.

ولكنه يجاب: بأنَّ لفظ (وَرَد) لا ينسجم مع ذلك إذ ظاهره الورود من خارج القافلة، هذا فضلاً عن أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه كان - حسب الظاهر - متخفِّياً في القافلة ولم يُعلن عن نفسه للجميع.

١. خاتمة المستدرك للميرزا حسين النوري الطبرسي: ج٤، ص٥٥ و٥٦.

النقطة الخامسة: ولاية الإمام المهدي عجل الله فرجه التدبيرية:

قد يُشكل - كما تقدَّم - على غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه بأنَّها مانعة له عن القيام بدوره كإمام معصوم، وفي هذه النقطة نريد بيان الآتي:

إنَّ غيبة الإمام عجل الله فرجه لم تكن مانعة له عن القيام بمقتضيات ولايته التدبيرية والعنائية، مع التذكير بأنَّ قيامه بذلك لا يُشترط فيه الإظهار والإعلان وإعلام الطرف الآخر.

والشواهد الحاكية عن ثبوتها له عجل الله فرجه متعددة، منها:

الشاهد الأول:

ذكرت بعض النصوص أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه كان يبتدئ بعض شيعته ببعض الأوامر العادية المتعلقة ببعض الأفعال التي يريدون القيام بها، فكان مثلاً ينهاهم عن الذهاب للحج في عام معين، ويخبرهم بأنهم يذهبون في عام لاحق، والمؤمن الذي يصل له الكتاب يأتمر بالأمر من دون اعتراض رغم أنَّه يجد في نفسه ضيقاً، لأنَّه يتصوَّر أنَّ ذهابه لا مشكلة فيه، وذلك من قبيل ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي بن نوبخت، قال: عزمت على الحج وتأهَّبت، فورد عليَّ: «نحن لذلك كارهون»، فضاق صدري واغتممت وكتبت: أنا مقيم بالسمع والطاعة غير أنَّي مغتم بتخلُّفي عن الحج، فوقع: «لا يضيقن صدرك، فإنَّك تحج من قابل».

فلما كان من قابل استأذنت فورد الجواب، فكتبت: إنَّي عادلت محمد بن العباس وأنا واثق بديانته وصيانته، فورد الجواب: «الأسدي نِعْم العديل، فإن قَدِم فلا تختر عليه»، قال: فقدم الأسدي فعادلته[1].

١. الغيبة للطوسي: ص٤١٦، ح٣٩٣.

ربما كان التأخير لأجل مصلحة معادلة - أي مرافقة - الأسدي، وربما لأجل أنَّ ذهابه في السنة الأولىٰ فيه ضرر عليه، المهم أنَّه عجل الله فرجه تدخل لتدبير أمر ابن نوبخت في هذا الأمر.

صحيح أنَّ هذا وقع في زمن الغيبة الصغرىٰ، ولكن لا فرق من هذه الناحية من جهة أنَّ غيبته عجل الله فرجه لم تكن مانعة عن قيامه بتدبير أمور شيعته بالخصوص.

الشاهد الثاني:

وقريب من السابق، ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللهِ اَلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ اَلْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ بَابَوَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَلَدِنَا اَلْمُقِيمِينَ كَانُوا بِبَغْدَادَ فِي اَلسَّنَةِ اَلَّتِي خَرَجَتِ اَلْقَرَامِطَةُ[1] عَلَىٰ اَلْحَاجِّ، وَهِيَ سَنَةُ تَنَاثُرِ اَلْكَوَاكِبِ أَنَّ وَالِدِي رضي الله عنه كَتَبَ إِلَىٰ اَلشَّيْخِ أَبِي اَلْقَاسِمِ اَلْحُسَيْنِ بْنِ رَوْحٍ رضي الله عنه يَسْتَأْذِنُ فِي اَلْخُرُوجِ إِلَىٰ اَلْحَجِّ، فَخَرَجَ فِي اَلْجَوَابِ: «لَا تَخْرُجْ فِي هَذِهِ اَلسَّنَةِ»، فَأَعَادَ، فَقَالَ: هُوَ نَذْرٌ وَاجِبٌ، أَفَيَجُوزُ لِيَ اَلْقُعُودُ عَنْهُ؟ فَخَرَجَ اَلْجَوَابُ: «إِنْ كَانَ لَابُدَّ فَكُنْ فِي اَلْقَافِلَةِ اَلْأَخِيرَةِ»، فَكَانَ فِي اَلْقَافِلَةِ اَلْأَخِيرَةِ فَسَلِمَ بِنَفْسِهِ وَقُتِلَ مَنْ تَقَدَّمَهُ فِي اَلْقَوَافِلِ اَلْأُخَرِ[2].

فانظر إلىٰ عنايته عجل الله فرجه لشيعته، وكيف وقاهم من القتل بنهيه لهم عن الخروج إلىٰ الحج، إلّا إذا خرجوا في القافلة الأولىٰ.

---

١. هم فرقة من الشيعة الإسماعيليَّة المباركيَّة، فرقة باطنيَّة نظَّمت نفسها تنظيماً دقيقاً، قالوا بأنَّ الإمام بعد جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام هو محمّد بن إسماعيل بن جعفر، وهو الإمام القائم المهدي، وهو رسول، وهو حيٌّ لم يمت، وأنَّه في بلاد الروم، وأنَّه من أُولي العزم، تمكَّنوا من إنشاء دولتهم في البحرين، ثمّ توسَّعوا غرباً حتَّىٰ وصلوا إلىٰ بلاد الشام في سنة (٢٨٨هـ). [هامش المصدر بتحقيق مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه].

٢. الغيبة للطوسي: ص٣٢٢، ح٢٧٠.

الشاهد الثالث:

روىٰ الشيخ الطوسي بسنده عَنْ عَلِيٍّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، قَالَ: وُلِدَ لِي مَوْلُودٌ، فَكَتَبْتُ أَسْتَأْذِنُ فِي تَطْهِيرِهِ (فِي) اَلْيَوْمِ اَلسَّابِعِ، فَوَرَدَ: «لَا تَفْعَلْ»، فَمَاتَ اَلْيَوْمَ اَلسَّابِعَ أَوِ اَلثَّامِنَ، ثُمَّ كَتَبْتُ بِمَوْتِهِ، فَوَرَدَ: «سَيُخْلِفُ اَللهُ غَيْرَهُ وَتُسَمِّيهِ أَحْمَدَ، وَمِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ جَعْفَرٌ»، فَجَاءَ كَمَا قَالَ[1].

هذا النص يبيِّن دقَّة عنايته عليه السلام في أمر بسيط جداً، وهو ختان الطفل في اليوم السابع، إلّا أنَّ العناية اقتضت أن لا يفعل ذلك لأنَّه سيموت، وفي نفس الوقت أخبر عليه السلام والد الطفل بأنَّه سيولد له ولدان، تطييباً لخاطره، وتخفيفاً عن فقده لولده.

الشاهد الرابع:

جاء في نص ما يبدو منه أنَّه عليه السلام وجَّه أحد شيعته ليذهب إلىٰ الزراري ليعطيه ما ينفعه في دفع الحاجة عنه، ويذهب الرجل ويقول للزراري كلمة بسيطة، فيمتثل الزراري ويعطيه صرَّة فيها مال، فقد روىٰ الشيخ الطوسي بسنده عن اِبْنِ أَبِي سُورَةَ، قَالَ: كُنْتُ بِالْحَائِرِ زَائِراً عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهاً عَلَىٰ طَرِيقِ اَلْبَرِّ، فَلَمَّا اِنْتَهَيْتُ [إِلَىٰ][2] اَلْمُسَنَّاةِ جَلَسْتُ إِلَيْهَا مُسْتَرِيحاً، ثُمَّ قُمْتُ أَمْشِي وَإِذَا رَجُلٌ عَلَىٰ ظَهْرِ اَلطَّرِيقِ، فَقَالَ لِي: «هَلْ لَكَ فِي اَلرِّفْقَةِ»؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَمَشَيْنَا مَعاً يُحَدِّثُنِي وَأُحَدِّثُهُ، وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي، فَأَعْلَمْتُهُ أَنِّي مُضَيَّقٌ لَا شَيْءَ مَعِي وَلَا فِي يَدِي، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: «إِذَا دَخَلْتَ اَلْكُوفَةَ فَائْتِ أَبَا طَاهِرٍ اَلزُّرَارِيَّ فَاقْرَعْ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ إِلَيْكَ وَفِي يَدِهِ دَمُ اَلْأُضْحِيَّةِ، فَقُلْ لَهُ: يُقَالُ لَكَ:

١. الكافي (ج ١/ ص٥٢٢/ باب مولد الصاحب عليه السلام/ صدر الحديث ١٧.
٢. من بحار الأنوار (ج ٥١/ ص٣١٨).

أَعْطِ هَذَا اَلرَّجُلَ اَلصُّرَّةَ اَلدَّنَانِيرَ اَلَّتِي عِنْدَ رِجْلِ اَلسَّرِيرِ»، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ هَذَا، ثُمَّ فَارَقَنِي وَمَضَىٰ لِوَجْهِهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ سَلَكَ.

وَدَخَلْتُ اَلْكُوفَةَ، فَقَصَدْتُ أَبَا طَاهِرٍ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ اَلزُّرَارِيِّ[١]، فَقَرَعْتُ بَابَهُ كَمَا قَالَ لِي، وَخَرَجَ إِلَيَّ وَفِي يَدِهِ دَمُ اَلْأُضْحِيَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ: يُقَالُ لَكَ: أَعْطِ هَذَا اَلرَّجُلَ اَلصُّرَّةَ اَلدَّنَانِيرَ اَلَّتِي عِنْدَ رِجْلِ اَلسَّرِيرِ، فَقَالَ: سَمْعاً وَطَاعَةً، وَدَخَلَ فَأَخْرَجَ إِلَيَّ اَلصُّرَّةَ فَسَلَّمَهَا إِلَيَّ، فَأَخَذْتُهَا وَانْصَرَفْتُ[٢].

الشاهد الخامس:

ما جاء في توقيعه عجل الله فرجه للشيخ المفيد الصريح في كونه عجل الله فرجه رغم غيبته عن مباشرة شيعته، إلّا أنَّه مطَّلع علىٰ أخبارهم تماماً، وأنَّه غير ناسٍ لهم، ولا تاركٍ للعناية بهم، بل إنَّه لولا تلك العناية لتم استئصال الشيعة والقضاء عليهم.

يقول عجل الله فرجه في التوقيع المذكور:

«نحن وإنْ كنّا ناوين [ثاوين] بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله تعالىٰ لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلىٰ ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنَّهم لا يعلمون، إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء»[٣].

١. قال النجاشي رحمه الله في رجاله (ص٣٤٧/ الرقم ٩٣٧): (محمّد بن سليمان بن الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين، أبو طاهر الزراري، حسن الطريقة، ثقة، عين، وله إلىٰ مولانا أبي محمّد عليه السلام مسائل والجوابات...، مات في سنة إحدىٰ وثلاثمائة، وكان مولده سنة سبع وثلاثين ومائتين). [هامش المصدر بتحقيق مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه].

٢. الغيبة للطوسي: ص٢٩٨، ح٢٥٤.

٣. الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٢٢ و٣٢٣.

الشاهد السادس:

ورد في التوقيع الثاني للشيخ المفيد أنَّ الإمام عجل الله فرجه أخبر الشيخ المفيد بأنَّ هناك ظالماً سيعمد إلىٰ قتل المؤمنين في الحرم المعظم، وطمأنه عليهم بأنَّ الظالم لن يصل إليهم، والسبب أنَّه عجل الله فرجه وراء حفظهم، لأنَّه سيدعو الله تعالىٰ لهم بالحفظ من كيده، فقد جاء في التوقيع: «وآية حركتنا من هذه اللوثة حادثة بالحرم المعظم من رجس منافق مذمم، مستحل للدم المحرم، يعمد بكيده أهل الإيمان ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان، لأنَّنا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فليطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه، وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب»[١].

الشاهد السابع:

ما رواه الراوندي والمجلسي في فصل ما ظهر من معجزاته عجل الله فرجه من أنَّه عجل الله فرجه ساعد مسروراً الطباخ باثني عشر ديناراً من دون أن يخبره بشيء، فقد روىٰ الراوندي أنَّ مسروراً الطباخ قال: كتبت إلىٰ الحسن بن راشد لضيقة أصابتني، فلم أجده في البيت، فانصرفت، فدخلت مدينة أبي جعفر، فلمّا صرت في الرحبة، حاذاني رجل لم أرَ وجهه، وقبض علىٰ يدي ودس فيها صرة بيضاء، فنظرت فإذا عليها كتابة فيها اثنا عشرة ديناراً وعلىٰ الصرة مكتوب: مسرور الطباخ[٢].

---

١. الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٢٤.

٢. الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج٢، ص٦٩٧؛ وبحار الأنوار للمجلسي: ج٥١، ص٢٩٥.

الشاهد الثامن:

ما رواه الراوندي أيضاً في باب معجزاته عجل الله فرجه من أنَّه أعطىٰ الحكم الشرعي للشك في الطواف لأحد شيعته، إذ روىٰ عن حسن بن حسين الاسترآبادي، قال: كنت في الطواف، فشككت فيما بيني وبين نفسي في الطواف، فإذا شاب قد استقبلني، حسن الوجه، قال: «طف أسبوعاً آخر»[١].

تضمن هذا الخبر حكماً فقهياً بلزوم إعادة الطواف عند الشك في أشواطه، وهو ما عليه الفقهاء.

والجدير بالذكر: أنَّنا نجزم بوجود قرينة قطعية عند الراوي عرف من خلالها أنَّ ذلك الشاب هو الإمام الحجة عجل الله فرجه، ولذا أورده الراوندي في باب معجزاته عجل الله فرجه، خصوصاً وأنَّ المروي هو أنه عجل الله فرجه لم يقتصر في إعطاء الأحكام الشرعية في زمن الغيبة الصغرىٰ علىٰ السفراء الأربعة، وإنما كان يعطي بعض الأحكام لبعض الوكلاء والثقات.

وإنما قلنا ذلك لئلا يتَّخذه الأدعياء ذريعة لدعوىٰ اللقاء به عجل الله فرجه، ونقل الأحكام عنه، خصوصاً وأنَّ الرواية واردة في حادثة شخصية، فلا يؤخذ منها حكم عام، بل هي خاصة بموردها، والتعميم يحتاج إلىٰ قرينة، ونصوص منع السفارة الخاصة والمشاهدة الخاصة، تدل علىٰ العدم.

الشاهد التاسع:

عن عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: خَرَجَ نَهْيٌ عَنْ زِيَارَةِ مَقَابِرِ قُرَيْشٍ والْحَيْرِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَشْهُرٍ دَعَا الْوَزِيرُ الْبَاقَطَائِيَّ فَقَالَ لَه: أَلْقَ بَنِي الْفُرَاتِ والْبُرْسِيِّينَ وقُلْ لَهُمْ: لَا يَزُورُوا مَقَابِرَ قُرَيْشٍ، فَقَدْ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يُتَفَقَّدَ كُلُّ مَنْ زَارَ فَيُقْبَضَ عَلَيْه[٢].

---

١. الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج٢، ص٦٩٧.

٢. الكافي للكليني: ج١، ص٥٢٥، بَابُ مَوْلِدِ الصَّاحِبِ عجل الله فرجه، ح٣١.

فالنص واضحٌ في أنَّه عجل الله فرجه حيث عَلِمَ بوجود خطر على شيعته في زيارة مقابر قريش والحائر الحسيني وجَّههم بترك الزيارة لفترة من الزمن إلىٰ أن يزول الخطر عنهم.

الشاهد العاشر:

عن الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَلَوِيُّ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ نُدَمَاءِ روز حسني وآخَرُ مَعَه، فَقَالَ لَه: هُوَ ذَا يَجْبِي الأَمْوَالَ ولَه وُكَلَاءُ وسَمَّوْا جَمِيعَ الْوُكَلَاءِ فِي النَّوَاحِي وأَنْهَى ذَلِكَ إِلَىٰ عُبَيْدِ الله بْنِ سُلَيْمَانَ الْوَزِيرِ، فَهَمَّ الْوَزِيرُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ السُّلْطَانُ: اطْلُبُوا أَيْنَ هَذَا الرَّجُلُ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ غَلِيظٌ، فَقَالَ عُبَيْدُ الله بْنُ سُلَيْمَانَ: نَقْبِضُ عَلَىٰ الْوُكَلَاءِ؟ فَقَالَ السُّلْطَانُ: لَا، ولَكِنْ دُسُّوا لَهُمْ قَوْماً لَا يُعْرَفُونَ بِالأَمْوَالِ، فَمَنْ قَبَضَ مِنْهُمْ شَيْئاً قُبِضَ عَلَيْه، قَالَ: فَخَرَجَ بِأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَىٰ جَمِيعِ الْوُكَلَاءِ أَنْ لَا يَأْخُذُوا مِنْ أَحَدٍ شَيْئاً وأَنْ يَمْتَنِعُوا مِنْ ذَلِكَ ويَتَجَاهَلُوا الأَمْرَ، فَانْدَسَّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُه وخَلَا بِه، فَقَالَ: مَعِي مَالٌ أُرِيدُ أَنْ أُوصِلَه، فَقَالَ لَه مُحَمَّدٌ: غَلِطْتَ، أَنَا لَا أَعْرِفُ مِنْ هَذَا شَيْئاً، فَلَمْ يَزَلْ يَتَلَطَّفُه ومُحَمَّدٌ يَتَجَاهَلُ عَلَيْه، وبَثُّوا الْجَوَاسِيسَ وامْتَنَعَ الْوُكَلَاءُ كُلُّهُمْ لِمَا كَانَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ[1].

والنص واضح في تدبير الإمام المهدي عجل الله فرجه أمر شيعته.

هذا كلُّه فضلاً عن النص العام الوارد في الزيارة الجامعة والذي يُفيد مدخليتهم عليهم السلام عموماً - بما فيهم الإمام الحجة عجل الله فرجه - في الحفاظ على الكون عموماً من الدمار والفساد، حيث ورد فيها: «وبكم ينزِّل الغيث، وبكم يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبكم ينفِّس الهَمّ ويكشف الضر...»[2].

١. الكافي للكليني: ج١، ص٥٢٥، بَابُ مَوْلِدِ الصَّاحِبِ عجل الله فرجه، ح٣٠.
٢. من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج٢، ص٦١٥.

وعلىٰ كل حال، فالشواهد عديدة، ويكفينا الإثبات العقائدي المتقدِّم، من ثبوت الولاية التكوينية - فضلاً عن التدبيرية العنائية - له عجل الله فرجه.

فتحصَّل من كل ما سبق:

أولاً: التناسب الطردي بين أهمية قضية، وبين زيادة الاهتمام بها من جهة، وتعرضها للإشكالات والشبه من جهة أخرىٰ، وهو ما يصدق علىٰ القضية المهدوية بكل وضوح.

ثانياً: إنَّ الله تعالىٰ خلق العالم وفق نظام السببية، ويتفرَّع عليه العديد من القوانين الفرعية، ومنها نظام العناية والتدبير.

ثالثاً: إنَّ الله تعالىٰ فوَّض القيام ببعض القوانين التكوينية - ومنها التدبير والعناية - لبعض عبيده، كالملائكة، وكالمعصوم، وزوَّدهم لأجل أداء هذه المهمة بالعلم اللدني، وبالقدرة التكوينية بحيث يتدخَّلون في نظام العالم التكويني، ويتمكَّنون من خرق القانون الطبيعي وتطبيق القانون الإعجازي بإذن الله تعالىٰ.

رابعاً: ليس من مقوِّمات القيام بالولاية التدبيرية إعلام الطرف الآخر، ولا كشف العلة من الفعل التدبيري، ولا الكشف عن الولي التدبيري، بل قوامه بالإذن الإلهي، وبالإقدار بإذن الله تعالىٰ وبالإعلام الغيبي، وهو ما ثبت توفّره في المعصوم عموماً، وفي الإمام المهدي عجل الله فرجه خصوصاً.

خامساً: إنَّ أوضح أمثلة للولاية التدبيرية والعناية الغيبية بالحدود المبينة في (رابعاً) هو تصرفات العبد الصالح الخضر عليه السلام، فإنَّه قام بها من دون أن يُعلِم المستفيدين منها، بل كانت - في الجملة - مخالفة لبعض الأحكام التشريعية الظاهرية، ولكن حيث كانت الحكمة في فعلها، وقعت، ولم يُبيِّن الحكمة منها إلّا حين إرادة فراق النبي موسىٰ عليه السلام، وهو مثال حي لما يمكن أن يقوم به الإمام

المهدي عجل الله فرجه في زمن غيبته من تصرفات عنائية في عموم الكون والبشر، من دون أن يحتاج إلىٰ كشف هويته، أو بيان الحكمة من تصرفاته.

سادساً: يكفي في الولاية التدبيرية للإمام المهدي عجل الله فرجه ثبوتاً الأدلة الدالة علىٰ ثبوت الولاية التكوينية لعموم أهل البيت عليهم السلام، بما فيها التدبيرية العنائية، وفضلاً عن ذلك فتوجد أدلة إثباتية لتصرفاته عجل الله فرجه التدبيرية، يُمكن أن نجد العديد منها في التوقيعات المروية عنه عجل الله فرجه، وقد ذكرنا عدة أمثلة لذلك، ونحن نعتقد بلا أدنىٰ تردّد أنَّه عجل الله فرجه كان وما زال يمارس ولايته التدبيرية في تسيير وتيسير أمور الكون عموماً، وشيعته خصوصاً، فهو دائم النظر لهم، والعناية بهم، ولو من دون أن يشعروا بذلك أو حتىٰ يعلموا به.

نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا تحت نظره ورعايته، وبعين المولىٰ صاحب الزمان عجل الله فرجه، وأن يدبّر أمورنا بما يراه من حكمة، ونسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا التسليم لما فعل وما أراد، إنه ولي التوفيق.

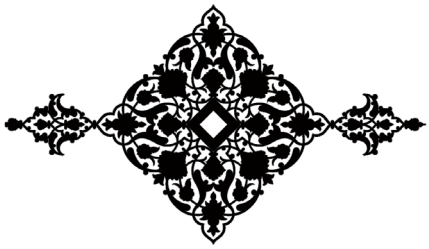

المعود
ALMAUOOD

وظيفة المنتظر

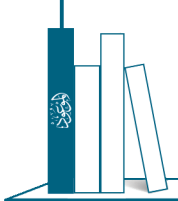

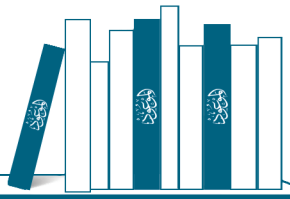

علي السيد محمد حسين الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين محمدٍ وعلىٰ أهل بيته الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة علىٰ أعدائهم أجمعين الىٰ قيام يوم الدين.

ونحن نعيش فترة غيبة إمام العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف قد يتساءل الكثير عن دور المؤمن المنتظر وما يلزم عليه من العمل في فترة الانتظار.

وحيث توجد عدَّة نظرياتٍ تُذكر للانتظار فقد يتساءل البعض عن أيٍّ منها يمكن التمسك به حتّىٰ لا نكون مقصرين تجاه إمام العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، وأمام الله تعالىٰ بواجبنا ونحن في حال زمان الانتظار، وكلّ صاحب نظريةٍ منها يحاول أن يجعل نفسه هو الذي يريد أن يعجِّل بظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف، لما يطرحه من نظريةٍ وعملٍ في زمان الانتظار، ولمناسبة اختصار الجلسة نسلط الضوء علىٰ ثلاث نظرياتٍ لأهميتها.

الأولىٰ: نظرية الإفساد في الأرض:

وهذه النظرية تحاول أن تستمدّ شرعيتها من الحديث الوارد أنَّه عجل الله فرجه الشريف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً بظهوره، ففي الحديث:

حدّثنا غير واحدٍ عن أبي نعيم [وحدّثنا] علي بن عبد العزيز وغيره، قال: حدّثنا أبو نعيم، قال: حدّثنا فطر عن حبيب ابن أبي ثابت، عن أبي الطفيل عن علي عليه السلام - قال [أبو الطفيل]: أراه - عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يومٌ واحدٌ لطوَّل الله ذلك اليوم حتّىٰ يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما مُلئت جوراً»[١]. وهذه النظرية بما أنَّها ترتكز علىٰ جانبٍ لا أخلاقي وتحاول شرعنته فقد تلاقي تشجيعاً ورواجاً خاصةً بين الشباب ومن يرغب بالمعصية، كما أنَّها قد تُدعم من الجهات الحاقدة والمتربصين بمذهب أهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّهم يريدون ثغرةً فيه ليمكنهم الولوج منها لتحقيق مآربهم الخبيثة، وترتكز هذه النظرية علىٰ مثل ما تقدَّم من النص، من أنَّه لا يظهر الإمام عجل الله فرجه حتّىٰ ينتشر الظلم والفساد في الأرض، فإذا لم ينتشر ولم تمتلئ الأرض بالفساد والظلم فإنَّه سيتأخر ظهوره الشريف، فنحن إذا لم نساهم في نشر الظلم والفساد سنكون جزءاً ممن يؤخِّر ظهوره عجل الله فرجه، فلابد من توظيف النفس لأجل التعجيل بالظهور، وذلك بالمساهمة بنشر الرذائل والفساد والظلم حتّىٰ تمتلئ الأرض بذلك فيتعجَّل ظهوره عجل الله فرجه، وتكون المعاصي والفساد مبرراً لها، بل يعتبر عملاً عظيماً تجاه الغاية المراد منها، وهذا يبتني علىٰ نظرية الغاية تبرر الوسيلة[٢]، وهي من أخطر النظريات علىٰ المجتمع التي تبيح كل شيءٍ من أجل تحقيق الغايات، وعليه لابدّ من العمل بكل الوسائل المتاحة لتعجيل الظهور، وهي بالواقع أخطر نظريةٍ علىٰ الدّين؛ لأنَّها تبتني علىٰ محو الدين، ومحاربة شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وهي فاسدةٌ من وجوهٍ:

١. مناقب أمير المؤمنين عليه السلام - محمد بن سليمان الكوفي: ج٢، ح٦٥٠.

٢. التي ابتدعها الكاتب نيكولو مكيافيلي.

الأول: لما اشتهر أنَّه (لا يُطاع الله من حيث يُعصىٰ)[١] و(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[٢]، فلا يمكن طاعة الله ﷻ من طريق المعصية التي نهىٰ عنها، ثم كيف يأمر الله ﷻ بالمعصية مع شدّة نهيه عن فعلها، فيلزم التناقض منه تعالىٰ في الأمر والنهي؛ لأنَّه يكون شيءٌ واحدٌ مأموراً به ومنهياً عنه، فلا يمكن قبول نشر الظلم والفساد من أجل فعل شيءٍ آخر.

الثاني: أنَّه منافٍ للحكمة من إرسال الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام، وما جاءت به تعاليم السماء والكتب السماوية، ومنافٍ أيضاً للحكمة من خلق الإنسان، لأنَّ الله ﷻ قد أرسل الرسل وجعل تعاليم الدين من أجل إصلاح الأُمم ورفع الفساد ومحاربة الظلم والحث علىٰ طاعته ﷻ وترك معصيته، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، ومنافٍ أيضاً لما وعد الله ﷻ به المطيع الجنة وأوعد العاصي النار.

الثالث: أنَّه خلاف حكمة خروج الإمام الحجة نفسه عجل الله فرجه، من أنَّه سوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، لأنَّ تأخير ظهور الإمام عجل الله فرجه هو من أجل نشر الإصلاح في الأرض عند ظهوره وأنَّه سوف يقضي علىٰ الظالمين والفاسدين بسيفه، فكيف يأمر الله تعالىٰ الصالحين أن يكونوا فاسدين وهو يريد القضاء عليهم بظهوره، وكيف يريد الله ﷻ للظلم أن ينتشر وغايته من ظهور الإمام عجل الله فرجه نشر العدل، فكيف يمكن أن يتناسب الفعل مع النتيجة المطلوبة من رفع الحيف والظلم والفساد.

ونقرّب ذلك بمثل، فإذا كان هناك مئة شخصٍ مرض منهم ثمانون بمرضٍ معيَّن وبقي منهم عشرون أصحّاء لا يعقل من الذي يريد أن يوجد

١. لم أجده بنصه ولكنه مشهور علىٰ الألسن ولعله مقتبس من الحديث اللاحق.

٢. وسائل الشيعة: باب تحريم إسخاط الخالق في رضا المخلوق، ج١٦، ح١٠.

الدواء للثمانين حتّىٰ يكونوا أصحّاء كالعشرين أن ينصح العشرين أن يُمرّضوا أنفسهم حتّىٰ يوجد لهم الدواء، إذ الغرض من إنتاج الدواء هو شفاء الثمانين ليكونوا أصحّاء مثل العشرين، فكيف يأمر العشرين بأن يكونوا مرضىٰ مثل الثمانين.

الرابع: أنَّ الإنسان الخالي عن فعل المعصية يكون مطمئناً من عدم عذاب الله وعقوبته، بعد ما تم من أدلة العدالة الإلهية، أمّا إذا ارتكب الإنسان المعصية متعمداً كيف يحرز الضمان من الله ﷻ بعدم عذابه وعقوبته بعد انغماسه في المعصية، ثم حتّىٰ لو تاب فلا يضمن قبول توبته بل الأمر متروك له ﷻ بقبولها منه لو بانت منه علامات الصدق، أمّا العالم بأنَّه يفعل المعصية باختياره ويتجرأ بها علىٰ الله ويموت علىٰ ذلك مصراً فلا يُعلم شموله بالرحمة، فهو شبه المتيقن من عدم عقابه من الله تعالىٰ إذا لم يفعل المعصية، أمّا إذا فعلها متعمداً فحتّىٰ لو تاب فلا يحرز قبول توبته يقيناً فلا يكون متيقناً من عدم عقابه تعالىٰ، فكيف يخرج من حال اليقين بعدم العقاب إذا لم يفعل المعصية إلىٰ الشك بعدم العقاب حتّىٰ لو تاب، وخير عبرةٍ ما يُنقل من القصّة للعابد من بني إسرائيل التي رواها في الكافي عن محمد بن يحيىٰ، عن أحمد بن محمد بن عيسىٰ، عن علي بن الحكم، عن محمد بن سنان، عمن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً فنخر إبليس نخرة فاجتمع إليه جنوده فقال: من لي بفلان؟ فقال بعضهم: أنا له، فقال: من أين تأتيه؟ فقال: من ناحية النساء، قال: لست له لم يجرب النساء، فقال له: آخر: فأنا له، فقال له: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية الشراب واللذات، قال: لست له، ليس هذا بهذا، قال آخر: فأنا له، قال: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية البر، قال: انطلق فأنت صاحبه، فانطلق إلىٰ موضع الرجل فأقام حذاه يصلي، قال: وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام،

ويستريح والشيطان لا يستريح، فتحول إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله، فقال: يا عبد الله بأي شيء قويت علىٰ هذه الصلاة؟ فلم يجبه، ثم أعاد عليه، فلم يجبه، ثم أعاد عليه، فقال: يا عبد الله إني أذنبت ذنباً وأنا تائب منه فإذا ذكرت الذنب قويت علىٰ الصلاة، قال: فأخبرني بذنبك حتّىٰ أعمله وأتوب فإذا فعلته قويت علىٰ الصلاة؟ قال: ادخل المدينة فسل عن فلانة البغية فأعطها درهمين ونل منها، قال: ومن أين لي درهمين؟ ما أدري ما الدرهمين؟ فتناول الشيطان من تحت قدمه درهمين فناوله إياهما، فقام فدخل المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغية فأرشده الناس وظنّوا أنَّه جاء يعظها، فأرشدوه، فجاء إليها فرمىٰ إليها بالدرهمين وقال: قومي، فقامت فدخلت منزلها وقالت: ادخل، وقالت: إنَّك جئتني في هيئة ليس يؤتىٰ مثلي في مثلها، فأخبرني بخبرك، فأخبرها، فقالت له: يا عبد الله إنَّ ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وليس كل من طلب التوبة وجدها، وإنَّما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثَّل لك، فانصرف فإنَّك لا ترىٰ شيئاً، فانصرف وماتت من ليلتها فأصبحت فإذا علىٰ بابها مكتوب: احضروا فلانة فإنَّها من أهل الجنة، فارتاب الناس، فمكثوا ثلاثاً لم يدفنوها ارتياباً في أمرها، فأوحىٰ الله عزّ وجلّ إلىٰ نبي من الأنبياء لا أعلمه إلّا موسىٰ بن عمران عليه السلام أن ائت فلانة فصلِّ عليها ومر الناس أن يصلّوا عليها، فإنّي قد غفرت لها وأوجبت لها الجنة بتثبيطها عبدي فلاناً عن معصيتي»[1].

الخامس: من المعلوم أنَّه لا يراد من الحديث هو أن يكون جميع سكان الأرض فاسدين بل المراد كثرة انتشار الفساد، وإلّا إذا ظهر الحجة عجل الله فرجه فبمن يقاتل الفاسدين، إذا كان جميع الناس فاسدين، فلا يعقل أن يقاتلهم بالفاسدين أيضاً ويقيم دولة الحق بهم، فلابد من وجود قلةٍ باقيةٍ من المؤمنين هم من

١. الكافي للكليني: حديث العابد، ج٨، ص ٣٨٤.

يكونون أنصار الإمام عجل الله فرجه، وبهم تقام دولة العدل، لماذا لا نكون نحن مع هذه القلة ونترك الفساد والظلم للكثرة، ثمّ وبنظام الحساب فإنَّ العالم مكونٌ من ثمانية مليارات تقريباً، منهم مليار ونصف مسلمٍ تقريباً، ومن هذا المليار والنصف المسلم خمسمائةٌ منهم شيعةً تقريباً، ومن الشيعة قد يكون هناك مائة ألف متديِّن، فهل يعقل توقف نشر الفساد في الأرض علىٰ هؤلاء المائة ألف دون الثمانية مليارات، أم أنَّ العدد الأكبر وهو الباقي هو كاف في نشر الفساد، فإذن هذه النظرية هدفها إبعاد المؤمنين عن الدين والخروج عن شريعة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وتعاليمه، والانجرار نحو انحطاط المجتمع وفساده، ونشر الرذيلة والفساد.

النظرية الثانية: نظرية الانكماش:

وهذه وإن كانت أهون خطراً من النظرية الأولىٰ، ولكنّها أيضاً تشترك معها في تعطيل الدين واضمحلاله واندراسه وإلغاء الهدف الذي من أجله بعث الله الأنبياء والرسل والأوصياء، حيث تبتني هذه النظرية علىٰ الجلوس في البيت والابتعاد عن الناس وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّ كلّ إنسانٍ عليه بنفسه فقط، وأن يكون هو منتظراً ظهور الإمام عجل الله فرجه، وحاولوا الاعتماد علىٰ نصوصٍ فهموا منها هذه النظرية الخاطئة.

والظاهر أنَّ تلك النصوص ليس مقتضاها ما ذكروه؛ لأنَّه لا يعقل أن تكون هذه هي وظيفة المنتظر لإمام زمانه الذي يريد نشر تعاليم الدين الذي جاء به جدّه محمدٌ صلى الله عليه وآله، بل عليه أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ويبين آثار العقيدة الحقّة علىٰ المجتمع، وأن يبيِّن للمجتمع أنَّ الإمام عجل الله فرجه إذا ظهر سوف يحكم بالعدل وسيكون المجتمع أفضل من هذا المجتمع الفعلي إذا التزم الإنسان بتلك التعاليم.

فإنَّ هذه النظرية توجب تحجيم شريعة سيد المرسلين، وهذه النظرية توجب اضمحلال الجهود التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله لهداية المجتمع، وتوجب ذهاب التضحيات والدماء الغالية التي استرخصها أهل البيت عليهم السلام من أجل الدين وإحياء شريعة سيد المرسلين، فإنَّها سوف تذهب سدىً، وتذهب مساعي النبي المختار صلى الله عليه وآله وجهوده وجهود أهل بيته في حفظ الدين وبقائه حجة علىٰ العالمين أدراج الرياح.

النظرية الثالثة: وهي نظرية البناء العقائدي:

وهي تبتني علىٰ الإعداد النفسي والفكري والعقائدي للمجتمع تمهيداً لظهور الإمام عجل الله فرجه، وذلك بما أنَّه عجل الله فرجه إذا ظهر فإنَّه سيُحدث تغييراً كبيراً في كثير من المفاهيم العبادية، والعقائدية، والأحكام الشرعية، لما مرَّت به الأُمّة في خلال فترة الغيبة من تضييعٍ للأحكام، واستيلاء الظالمين علىٰ الحكم، مما أوجب العمل بالظاهر والممكن من الأدلة دون الرجوع إلىٰ الإمام عليه السلام واللقاء به وأخذ الأحكام منه مباشرة، بل حتّىٰ مع وجود الأئمة عليهم السلام فإنَّ جملةً من أحكامهم كانت تصدر تقيةً خوفاً من الظالمين، بينما إذا ظهر الإمام عجل الله فرجه فإنَّه سيُظهر الأحكام الحقيقية من مصادرها فلا توجد تقيةٌ كما ذكر في النصوص أنَّه يخرج ولا يكون في عنقه بيعة لظالم[1]، والحكم سوف يؤخذ من مشرّعه مباشرةً، وعليه لابدّ من الإعداد النفسي والفكري لهذه المرحلة.

ويمكن إعداد النفس بأمور:

الأمر الأول: التحصين العقائدي بمعرفه الإمام عجل الله فرجه ومقامه ومنزلته ودوره في بيان الأحكام، وإذا عرف الإنسان مقام الإمامة ومنزلتها والدور

١. عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سئلت فيه عن مسائل أشكلت عليَّ، فورد التوقيع بخط مولينا صاحب الدار عليه السلام: «... إنَّه لم يكن أحد من آبائي إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي». [الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٩٠، ح٢٤٧].

الـذي لابـدّ أن يقـوم بـه الإمـام عجل الله فرجه وما لـه عنـد الله مـن سـلطةٍ ومنزلـةٍ مـن أجـل تشريـع الأحـكام يكـون مسـلّماً للإمـام عجل الله فرجه في كل مـا يأمـر بـه وينهـىٰ عنـه، ومـن كـمال الإيـمان هـو التسـليم للإمـام عجل الله فرجه في كل أقوالـه وأفعالـه وعـدم الاعـتراض عليـه؛ لأنَّـه مسـدَّدٌ مـن الله تعـالىٰ، ولأنَّنـا مـع الإمـام عجل الله فرجه أقـلّ مما كان عليـه النبـي موسـىٰ عليه السلام مـع الخـضر عليه السلام ومـع ذلـك فلـمّا خفـي عليـه وجـه الحكمـة اعـترض عـلىٰ فعلـه، ولـذا ينبغـي علينـا أن نـدرك ونسـلّم بمقـام الإمـام عجل الله فرجه ونُعـدَّ أنفسـنا لذلـك بقـراءة الروايـات الـواردة في ذلـك وكيفيـة تسـليم بعـض أصحـاب الأئمـة عليهم السلام العارفـين بمقـام الأئمـة عليهم السلام، كـما ورد عن تسـليم سـلمان الفـارسي حينـما عـرف مقـام أمـير المؤمنـين عليه السلام بالسـكوت عـن غصـب الخلافـة وظلـم الزهـراء عليها السلام، ومـا حصـل مـع عبـد الله بـن يعفـور مـع الإمـام الصـادق عليه السلام: قـال: قلـت لأبي عبـد الله عليه السلام: والله لـو فلقـت رمانـة بنصفـين، فقلـتَ هـذا حـرام وهـذا حـلال، لشـهدت أنَّ الـذي قلـتَ حـلالٌ حـلالٌ، وأنَّ الـذي قلـتَ حـرامٌ حـرامٌ، فقـال: «رحمـك الله، رحمـك الله»[1].

بـل يمكننـا اسـتفادة التسـليم حتّـىٰ ممّـا حصـل لكـبراء علـماء الشـيعة في عـصر السـفراء الأربعـة، كـما في الواقعـة المشـهورة مـن جعفـر بـن أحمـد بـن مُتيـل مـع الحسـين بـن روح (سـلام الله عليهـما).

(وسـمعت أبـا الحسـن عـلي بـن بـلال بـن معاويـة المهلبـي، يقـول في حيـاة جعفـر بـن محمـد بـن قولويـه: سـمعت أبـا القاسـم جعفـر بـن محمـد بـن قولويـه القمّـي يقـول: سـمعت جعفـر بـن أحمـد بـن مُتيـل القمّـي يقـول: كان محمـد بـن عثـمان أبـو جعفـر العمـري رضي الله عنه لـه مـن يتـصرف لـه ببغـداد نحـو مـن عـشرة أنفـس وأبـو القاسـم بـن روح رضي الله عنه فيهـم، وكلّهـم كان أخـصّ بـه مـن أبي القاسـم بـن روح رضي الله عنه حتّـىٰ أنَّـه كان إذا احتـاج إلىٰ حاجـة أو إلىٰ سـبب ينجـزه عـلىٰ يـد

١. اختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢.

غيره لما لم يكن له تلك الخصوصية، فلمّا كان وقت مُضيّ أبي جعفر ﷺ، وقع الاختيار عليه وكانت الوصية إليه)[١].

(قال: وقال مشايخنا: كنّا لا نشك أنَّه إن كان كائنةٌ من أبي جعفر لا يقوم مقامه إلّا جعفر بن أحمد بن مُتيل أو أبوه لما رأينا من الخصوصية به، وكثرة كينونته في منزله حتّىٰ بلغ أنَّه كان في آخر عمره لا يأكل طعاماً إلّا ما أُصلح في منزل جعفر بن أحمد بن مُتيل وأبيه بسببٍ وقع له، وكان طعامه الذي يأكله في منزل جعفر وأبيه.

وكان أصحابنا لا يشكّون إن كانت حادثة لم تكن الوصية إلّا إليه من الخصوصية فلمّا كان عند ذلك (و)وقع الاختيار علىٰ أبي القاسم سلّموا ولم ينكروا وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر ﷺ، ولم يزل جعفر بن أحمد بن مُتيل في جملة أبي القاسم ﷺ وبين يديه كتصرفه بين يدي أبي جعفر العمري إلىٰ أن مات ﷺ فكل من طعن علىٰ أبي القاسم فقد طعن علىٰ أبي جعفر وطعن علىٰ الحجة صلوات الله عليه)[٢].

وعن غيبة الشيخ الطوسي: (وبهذا الإسناد، عن محمد بن علي بن الحسين، قال: أخبرنا علي بن محمد بن مُتيل، عن عمّه جعفر بن أحمد بن مُتيل، قال: لما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان العمري الوفاة كنت جالساً عند رأسه أسأله وأحدثه وأبو القاسم بن روح عند رجليه فالتفت إليَّ ثم قال: أُمرت أن أوصي إلىٰ أبي القاسم الحسين بن روح، قال: فقمت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحولت إلىٰ عند رجليه)[٣].

---

١. كتاب الغيبة للشيخ الطوسي في حياة الحسين بن روح ﷺ: ح٣٣٦.
٢. كتاب الغيبة للشيخ الطوسي في حياة الحسين بن روح ﷺ: ح٣٣٧.
٣. كتاب الغيبة للشيخ الطوسي في حياة الحسين بن روح ﷺ: ح٣٣٩.

الأمر الثاني: الاهتمام بأداء الدور التبليغي في عصر الغيبة، من طلب العلم في مسائل الحلال والحرام، والمسائل العقائدية، ومحاولة إيصالها إلىٰ الناس المحتاجين إليها، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأداء العلم لأهله، لكي تبقىٰ رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله والهدف الذي جاء من أجله مستمراً الىٰ ظهور الإمام عجل الله فرجه التي تُوكل إليه المهمة لاستمرار الرسالة، ولأجل أن لا يتعطّل الدين والأحكام الشرعية، لأنَّ الهدف من إرسال الرسل والأوصياء والأنبياء هو إيصال الحجة إلىٰ جميع البشر وإيصال هذه الأحكام إلىٰ الناس لتكون لله الحجة البالغة، ولا يجوز تعطيل هذه الأحكام كما قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢) وقد حثّ النبيّ صلى الله عليه وآله الناس علىٰ طلب العلم ونشره.

الأمر الثالث: الذي يفهم من النصوص التي حثَّت علىٰ عدم الخروج والاختلاط بالناس هو التقية من أجل الحفاظ علىٰ سلامة أرواح المؤمنين من القتل والهلاك، كما أُمرنا بذلك من أجل الحفاظ علىٰ الدّين الحق، وشيعة أهل البيت عليهم السلام، ويكون الرجوع في وظيفة العمل بالتقية وكيفية العمل لأهل العلم.

الأمر الرابع: التصدّي لمعرفة الأحكام الشرعية، إمّا من طريق الاجتهاد لمن يجد في نفسه الكفاءة في معرفة استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها طيلة فتره غيبة الإمام، حيث الواجب علىٰ الإنسان معرفة أحكامه الشرعية والخروج عن عهدة التكاليف الشرعية، وحيث إنَّ طريق الاجتهاد غير متيسر لجميع الناس فلابد من وجود طريق آخر لمعرفة الأحكام الشرعية، ولا يمكن أن يبقىٰ الإنسان بدون عمل.

وإمّا من طريق التقليد للأعلم من المراجع، بما شاهدناه من الأثر الواضح لتلك الجهود التي قام بها علماؤنا الأعلام في بذل أنفسهم من أجل

استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها وإيصالها للمؤمنين، ولولاهم لما قامت لهذا الدين قائمة، فلم يبق دينٌ حقٌّ إلّا بجهود أهل العلم الذين أفنوا أنفسهم لخدمة الدين وقاموا بإيصال الأحكام الشرعية إلىٰ المكلفين طوال فترة الغيبة وإلىٰ يومنا هذا.

وهذا الأمر هو الذي يجري عليه جميع الناس في جميع أمورهم الحياتية من الرجوع لأهل الخبرة في كل مجال من مجالات الحياة، فإنَّهم إذا احتاجوا إلىٰ دواء يرجعون إلىٰ الطبيب، وإذا احتاجوا إلىٰ بناء شيءٍ ما يرجعون إلىٰ المهندس، وإذا احتاجوا إلىٰ أيّ شيءٍ في حياتهم فإنَّهم يرجعون لمن له الاختصاص في ذلك، والمراجع هم أهل الخبرة في معرفة واستنباط الأحكام الشرعية، لأنَّهم قد أجهدوا أنفسهم في استنباط الأحكام من مصادرها وإيصالها للمكلفين، ولذا يجب علىٰ الناس في عصر الغيبة الرجوع إلىٰ المرجع الأعلم القادر علىٰ استنباط الأحكام الشرعية وتقليده، وبذلك يكون المكلف معذوراً مع الله تعالىٰ في حال عدم إمكانه الاجتهاد بنفسه.

الأمر الخامس: التخلّق بأخلاق أهل البيت عليهم السلام، وبيان ذلك للمجتمع، حتّىٰ نكون خير دعاةٍ للمذهب الحق وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام، والتمهيد لظهوره عجل الله فرجه، وذلك لنرسم صورةً جميلةً عن كيفية تربية أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم وأخلاقهم، وليعرف المجتمع أنَّه إذا ظهر الإمام عجل الله فرجه سوف يكون حال المجتمع نحو الأحسن باتِّباع هذه التعاليم والأخلاق الحميدة، بل سيشتد عندهم الشوق لانتظار ظهوره عجل الله فرجه ليرون كيف سيكون المجتمع صالحاً بوجوده عجل الله فرجه، فنكون بذلك نِعْم المهدين والمرغّبين لظهوره عجل الله فرجه.

والحمد لله ربِّ العالمين وصلّىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله الطاهرين.

المعود
ALMAUOOD

الانتظار والتمهيد
الأدوار والمكتسبات

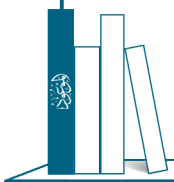

مرتضى علي الحلي

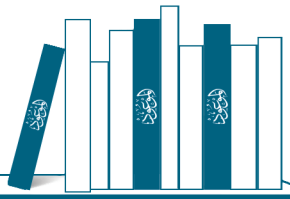

قبل الشروع في بيان مقاصد البحث وأغراضه، لابد من توضيح المبادئ التصورية فيه، وهي المفاهيم العقدية التي تدور حولها وظيفة الإنسان المؤمن في عصر الغيبة الكبرىٰ، من الترقب والانتظار والتمهيد، بحسب لسان الروايات المأثورة، حتىٰ يكون القارئ علىٰ بصيرة في تلقي الدلالات التصديقية من هذه المفاهيم، وما يترتب عليها من آثار ومعطيات، لها مساس مباشر بآلية التعاطي الاعتقادي السليم مع ما يعتقد به في عصر غيبة إمام العصر الإمام المهدي عجل الله فرجه.

بيان المصطلحات - لغةً ومفهوماً:

١ - الترقب:

قال ابن منظور في لسان العرب: وارتَقَبَه: انتَظَرَه ورَصَدَه.

والتَّرَقُّبُ: الانتظار، وكذلك الارتِقابُ.

والرَّقِيبُ: المُنتَظِرُ)[١].

وذكر الزبيدي في تاج العروس: (والرَّقِيبُ: المُنتَظِرُ)[٢].

١. لسان العرب: ابن منظور، ج١، ص ٤٢٥، مادة رقب.

٢. تاج العروس: الزبيدي، ج٢، ص ٣٠، مادة رقب.

٢ - الانتظار:

ذكر ابن منظور في لسان العرب: (والنَّظَرُ: الانتظار. ويقال: نَظَرتُ فلاناً وانتَظَرتُه بمعنىٰ واحد)[١].

وقال ابن الأثير: (يقال نظرته وانتظرته، إذا ارتقبت حضوره)[٢].

٣ - التمهيد:

قال ابن منظور: (مَهَدتُ لنَفسي ومَهَّدت أي جعلت لها مكاناً وَطيئاً سهلًا.

ومَهَدَ لنفسه خيراً وامتَهَدَه: هَيّأه وتَوَطَّأه[٣].

وذكر الشريف الرضي رحمه الله: (والمهد أيضاً: مصدر مهد، يمهد، مهداً. إذا مكن موضعاً لقدمه)[٤].

وبيَّن الشيخ الطوسي رحمه الله: (الماهد الموطئ للشيء المهيئ لما يصلح الاستقرار عليه، مهد يمهد مهداً، فهو ماهد، ومهد تمهيداً، مثل وطأ توطئة)[٥].

التداخل الدلالي بين هذه المفاهيم الثلاثة:

إنَّ تداخل هذه المفاهيم الثلاثة (الترقب - الانتظار - التمهيد) في دلالاتها المعطاة، مع بعض الفارق النفسي والعملي بينها في حدِّ ذاتها، يمكن أن يجعلها مندرجةً تحت جامع مفهوم الانتظار، والذي أخذته الروايات المأثورة في لسانها

١. لسان العرب: ابن منظور، ج٥، ص ٢١٦.
٢. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ج٥، ص ٧٨، ط - مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران.
٣. لسان العرب: ابن منظور، ج٣، ص ٤١١، مادة مهد.
٤. تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، ص ٢٢٦، ط١، القاهرة - ١٩٥٥م.
٥. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ج٩، ص ٣٩٥، ط١ - ١٤٠٩ هجري.

أخذاً إطلاقياً، توسعةً لمعناه، واستيعاباً لمصاديقه، بحسب مقتضيات الحكمة والظروف الموضوعية والقدرة والإمكانات عند المؤمنين.

وقد ذكر الراغب الأصفهاني صاحب المفردات في مادة (نظر) ما يفيد ذلك، فقال: (النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، والنظر الانتظار، يقال نظرته وانتظرته، قال تعالىٰ: ﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (هود: ١٢٢)، وقال تعالىٰ: ﴿فَهَل يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِهِم قُل فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ﴾ (يونس: ١٠٢))[١].

وعلىٰ أساس ذلك التداخل المفاهيمي دلالياً، فإنَّ فهمنا لمعنىٰ الانتظار لغةً واستظهاراً يجعلنا قادرين علىٰ فهم معناه اعتقاداً وتعبداً، لأنَّ مفهوم انتظار الإمام المهدي عجل الله فرجه، قد أخذ موقعاً مكيناً في المنظومة العقائدية والعبادية للإنسان المسلم والمؤمن معاً في لسان الروايات المعتبرة والمتكاثرة، حتىٰ أصبح حقيقةً عقديةً، تحددت معالمها وثمراتها في عصر النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل العبادة انتظار الفرج»[٢].

فالانتظار يستبطن الترقب والتهيؤ للإمام المهدي عجل الله فرجه، وهو وظيفة عقدية للمنتظر والمترقب، لأنه مرتكز علىٰ الاعتقاد الحق بالإمامة الواجبة الباقية.

١. مفردات غريب القرآن – الراغب الأصفهاني: مادة نظر/ ص٤٩٧ – ٤٩٨.

٢. كمال الدين وتمام النعمة – الصدوق: ص٢٨٧، مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة – إيران.

وطبقاً لما حدده المعصومون عليهم السلام لنا من معالم مفهوم انتظار الإمام المهدي عجل الله فرجه، وبيان صبغته التعبدية، يمكن لنا إدراك ماهية الانتظار ومقتضياته، وتجليه في صورة التزام الإنسان المؤمن بالعقيدة الحقة والسلوك الصالح في عصر الغيبة الكبرىٰ، فضلاً عن اشتمال معناه اللغوي علىٰ التفحص والترقب الفطن في شأن العقيدة والتشريع والحياة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرىٰ فإنَّ مفهوم الانتظار قد تم بيانه قرآنياً، قال الله تعالىٰ: ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَو يَأتِيَ رَبُّكَ أَو يَأتِيَ بَعضُ آياتِ رَبِّكَ يَومَ يَأتِي بَعضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفساً إِيمانُها لَم تَكُن آمَنَت مِن قَبلُ أَو كَسَبَت فِي إِيمانِها خَيراً قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (الأنعام:١٥٨)، ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ﴾ (الأعراف:٧١)، ﴿وَيَقُولُونَ لَو لا أُنزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ فَقُل إِنَّمَا الغَيبُ لله فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ﴾ (يونس:٢٠)، ﴿فَهَل يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِهِم قُل فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ﴾ (يونس: ١٠٢)، ﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (هود: ١٢٢).

فالانتظار في مفهومه القرآني يرتبط كلياً بحتمية تحقق الشيء المنتظر وقوعاً، وصدقيته من أول وهلة إلىٰ يوم تحققه بإذن الله تعالىٰ.

والملاحظ في سياقية الآيات القرآنية المتقدمة هو أن الانتظار قد يأخذ بُعداً زمانياً طويلاً في امتداده، وبُعداً عقدياً عميقاً، يستدعي الإعداد والعمل المسبق، والتوطئة للمكان والظرف والتقبل، ليتجلىٰ اختبار المنتظرين به إيماناً وسلوكاً، إلىٰ أن يتحقق استقرار الأمر بالهدىٰ وإقامة الحق والعدل في الأرض، وتترجح كفته علىٰ جانب الباطل والظلم.

مدخل تصديقي في مطلبين:

المطلب الأول: تصيد العنوان وانتزاعه من الأدلة اللفظية روائياً، كما هو معهود عند الفقهاء:

إنَّ مفهوم التمهيد، وإن لم يرد بلفظه نصاً في لسان الروايات الخاصة في بيان وظيفة المكلف المؤمن في عصر الغيبة الكبرىٰ، وطريقة تعاطيه الاعتقادي مع ما يؤمن به من غيبة إمام زمانه، الإمام المهدي عجل الله فرجه، إلّا أنَّه يمكن تصيد هذا العنوان وانتزاعه من مجمل إطلاقات بعض الروايات المأثورة في هذا المجال، والتي سنذكرها ضمناً.

أو يمكن انتزاع مفهومه ودلالاته من بعض المفاهيم العقدية المناظرة المذكورة نصاً في متن بعض الروايات، بما يساوقه في الإفادة والمعطىٰ، وذلك بحكم التناظر اللغوي استعمالاً بين مفهومي التمهيد والتوطئة، كمفهوم (التوطئة للمهدي سلطانه)، الذي ورد في لسان روايات مختلفة، نذكر نماذج منها:

١ - ما رواه السيد ابن طاووس عن محمد بن الحنفية، قال: تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرىٰ سوداء، قلانسهم سود، وثيابهم بيض، علىٰ مقدمتهم رجل يقال له: شعيب بن صالح، أو: صالح بن شعيب من تميم، يهزمون أصحاب السفياني حتىٰ ينزل بيت المقدس، يوطئ للمهدي سلطانه، ويمد إليه ثلاثمائة من الشام، يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً)[1].

١. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن: السيد ابن طاووس، ص ١١٨، مؤسسة صاحب الأمر، الطبعة الأولىٰ، - ١٤١٦ هـ.

وهذه الرواية تنص علىٰ مفهوم التوطئة للإمام المهدي عجل الله فرجه، وتكشف عن الإعداد المسبق من قبل المنتظرين له، قبل خروجه وظهوره، بحيث يسهم في تثبيت دعائم القيام، واستقرار سلطة الدولة المهدوية الموعودة.

٢ - وعن محمد بن الحنفية، قال: (تخرج راية من خراسان، ثم تخرج أخرىٰ، ثيابهم بيض، علىٰ مقدمتهم رجل من بني تميم، يوطئ للمهدي سلطانه، بين خروجه وبين أن يسلم الناس للمهدي سلطانه اثنان وسبعون شهراً)[١].

وهذه الرواية أيضاً تؤكد نفس مضمون الرواية الأولىٰ آنفة الذكر في التوطئة للمهدي من قبل المنتظرين، بفارق عدم ذكر اسم الرجل من بني تميم، وهو شعيب بن صالح، أو: صالح بن شعيب، علىٰ الاختلاف في اسمه.

٣ - عن عبد الله بن الحرث، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي - يعني سلطانه)[٢].

وبحكم منطوق هذه الرواية في عدم ذكر راية التوطئة أو اسم صاحبها، يمكن استظهار أن التوطئة للمهدي لا تنحصر براية معينة أو برجل ما، وإن حددت جهة التوطئة مكانياً، كما في سابقاتها من الروايات، بل تتوسع لتشمل عامة المنتظرين المؤمنين المعتقدين بالظهور والقيام بالحق.

---

١. عقد الدرر في أخبار المنتظر: المقدسي الشافعي السلمي (من علماء القرن السابع الهجري)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو - ١٢٦ - الطبعة الأولىٰ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٢. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: القاضي أبي حنيفة النعمان المغربي، ج٣، ص ٥٦٣، مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.

٤ – روىٰ العلامة المجلسي (طاب ثراه) في بحار الأنوار، في باب نصرة أهل المشرق للمهدي عليه السلام: (عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يخرج ناس من المشرق، فيوطئون للمهدي يعني سلطانه)[١].

٥ – قد بين الشيخ علي الكوراني في المعجم الموضوعي أن معنىٰ التوطئة في حديث (يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه)، هو التجهيز والتهيأة، طبقاً لما ذكرته طرق العامة، والتي خرج أسانيدها ومصادرها وتوثيقها من كتبهم.

فقال: (حديث: يخرج ناس من المشرق يوطئون للمهدي عليه السلام رواه ابن ماجة: ٢ / ١٣٦٨ عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يخرج ناس من المشرق، فيوطئون للمهدي»، ومعنىٰ وطأ له الأمر: جهزه وهيأه، ومثله الطبراني في الأوسط: ١ / ٢٠٠، بتفاوت يسير، وعنه بيان الشافعي/ ٤٩٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح، روته الثقات والأثبات)[٢].

وبناءً علىٰ ما ذكره الشيخ الكوراني هنا في بيان معنىٰ التوطئة وتفسيرها بالتجهيز والتهيأة، ومن مجمل الروايات المذكورة، يتضح المراد بالتمهيد المساوق والمناظر لغةً للتوطئة، ويمكن تصيده عنواناً منتزعاً من سياقاتها اللفظية والدلالية، دون أي مشاحة في الأخذ به، كاصطلاح غير مذكور نصاً.

---

١. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٥١، ص ٨٧، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة المصححة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢. المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: علي الكوراني العاملي، ص ٦٠٠، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م.

المطلب الثاني: معهودية انتظار بعثة النبي، وانتظار ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه وأثر ذلك:

لم يكن مفهوم الترقب أو الانتظار من جانب الأنبياء والمؤمنين لنبي ما، أو حتىٰ التمهيد والتوطئة من قبل الله تعالىٰ لبعثة نبي أو تنصيب وصي، أمراً مستبعداً عن أحداث حراك النبوة والوصاية علىٰ مر التاريخ المنصرم.

بل كان أمراً معهوداً ومعروفاً، ولم يكن أيضاً هناك مانع عقلي أو شرعي، يحول دون تعاهد الأنبياء بالتبشير والانتظار والتمهيد لبعضهم بعضاً، سيما مع وجود مقتض عقدي، وهو تبليغ الرسالات وإتمام الحجة الإلهية علىٰ الناس أجمعين.

وقد نص عليه القرآن الكريم في آيات شريفة عدة، منها ذكر اسم النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله باسمه ووصفه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكتُوباً عِندَهُم فِي التَّوراةِ وَالإِنجِيلِ يَأمُرُهُم بِالمَعرُوفِ وَيَنهاهُم عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنهُم إِصرَهُم وَالأَغلالَ الَّتِي كانَت عَلَيهِم فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

﴿وَإِذ قالَ عِيسَىٰ ابنُ مَريَمَ يا بَنِي إِسرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُم مُصَدِّقاً لِما بَينَ يَدَيَّ مِنَ التَّوراةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأتِي مِن بَعدِي اسمُهُ أَحمَدُ فَلَمَّا جاءَهُم بِالبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف: ٦).

وفي الرواية المفصلة عن الإمام محمد الباقر عليه السلام ما ينص علىٰ ذلك التعاهد والتبشير والانتظار، وفيها أيضاً دلالات تصديقية، تاريخية التحقق، ومستقبلية الوقوع حتماً: (فلما نزلت التوراة علىٰ موسىٰ عليه السلام، بشر بمحمد صلى الله عليه وآله، وكان بين يوسف وموسىٰ من الأنبياء، وكان وصي

موسىٰ يوشع بن نون عليه السلام، وهو فتاه الذي ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه، فلم تزل الأنبياء تبشر بمحمد صلى الله عليه وآله، حتىٰ بعث الله تبارك وتعالىٰ المسيح عيسىٰ بن مريم فبشر بمحمد صلى الله عليه وآله، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَجِدُونَهُ﴾ يعني اليهود والنصارىٰ: ﴿مَكتُوباً﴾ يعني صفة محمد ﴿عِندَهُم﴾ يعني ﴿فِي التَّوراةِ وَالإِنجِيلِ يَأمُرُهُم بِالمَعرُوفِ وَيَنهاهُم عَنِ المُنكَرِ﴾ وهو قول الله عزّ وجلّ يخبر عن عيسىٰ:

﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأتِي مِن بَعدِي اسمُهُ أَحمَدُ﴾، وبشر موسىٰ وعيسىٰ بمحمد صلى الله عليه وآله، كما بشر الأنبياء عليهم السلام، بعضهم ببعض، حتىٰ بلغت محمداً صلى الله عليه وآله، فلما قضىٰ محمد نبوته واستكملت أيامه، أوحىٰ الله تبارك وتعالىٰ إليه يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فإني لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم....)[1].

فمفاهيم الترقب والانتظار والتوطئة والتمهيد تمثل في حد ذاتها عند المؤمنين نوعاً من الاستجابات العقدية للإيمان والعمل الصالح في تقريب تحقق الهدىٰ والعدل المنتظر في الأرض، رفضاً للضلال والظلم علىٰ يد الإمام المهدي عجّل الله فرجه.

ولقائل أن يقول: إنَّ انتظار بعثة الأنبياء والتبشير بهم، لا يسبقه تمهيد أو توطئة فعلية من قبل الأنبياء أنفسهم، وإنما يقتصر فقط علىٰ ذكر أسمائهم وصفاتهم في الكتب السماوية المنزلة بين الأديان الإلهية، كما في مورد الآيات

١. الكافي: الكليني، ج٨، ص ١١٧، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - الناشر: دار الكتب الاسلامية - طهران.

القرآنية آنفة الذكر، فكذلك في جانب الترقب والانتظار للإمام المهدي عجل الله فرجه فقد لا تسبقه التوطئة الفعلية أو التمهيد أيضاً، بل يقتصر على ذكر العلامات قبيل ظهوره؟

والجواب: يكمن في عدم وجود المانع من الاستجابة الفعلية لمقتضيات التقريب والتمكين للإمام المنتظر الموعود في الواقع على مستوىٰ الاستعداد والطاعة، بوصفها توطئةً معقولة ومشروعة، لها تأثيرها الموضوعي والظرفي في ما يرتجىٰ حصوله وتحققه يقيناً، بحسب ما أشارت إليه دلالات روايات الانتظار والترقب، والدعاء بتعجيل الفرج وتقريبه له عجل الله فرجه بوصفه خاتم الأوصياء والحجج الإلهية.

وهذا المعنىٰ القيم والمعقول والمشروع بيَّنه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل)، وقال ما نصه: (فإن مسألة انتظار حكومة الحق والعدل، أي حكومة المهدي عليه السلام وظهور المصلح العالمي، مركبة في الواقع من عنصرين: عنصر نفي، وعنصر إثبات، فعنصر النفي هو الإحساس بغرابة الوضع الذي يعانيه المنتظر، وعنصر الإثبات هو طلب الحال الأحسن!

وإذا قدر لهذين العنصرين أن يحلا في روح الإنسان، فإنهما يكونان مدعاة لنوعين من الأعمال وهذان النوعان هما:

١ - ترك كل شكل من أشكال التعاون مع أسباب الظلم والفساد، بل عليه أن يقاومها، هذا من جهة.

٢ - وبناء الشخصية والتحرك الذاتي وتهيئة الاستعدادات الجسمية والروحية والمادية والمعنوية، لظهور تلك الحكومة العالمية الإنسانية، من جهة أخرىٰ.

ولو أمعنّا النظر لوجدنا أن هذين النوعين من الأعمال، هما سبب في اليقظة والوعي والبناء الذاتي.

ومع الالتفات إلىٰ مفهوم الانتظار الأصيل، ندرك بصورة جيدة معنىٰ الروايات الواردة في ثواب المنتظرين وعاقبة أمرهم، وعندها نعرف لم سمّت الروايات المنتظرين بحق، بأنهم بمنزلة من كان مع القائم تحت فسطاطه عجل الله فرجه، أو أنهم تحت لوائه، أو أنهم كمن يقاتل في سبيل الله بين يديه أو كالمستشهد بين يديه، أو كالمتشحط بدمه!

ترىٰ أليست هذه التعابير تشير إلىٰ المراحل المختلفة ودرجات الجهاد في سبيل الحق والعدل، التي تتناسب ومقدار الاستعداد ودرجة انتظار الناس؟

كما أنَّ ميزان التضحية ومعيارها ليس في درجة واحدة، إذا أردنا أن نزن تضحية المجاهدين، في سبيل الله ودرجاتهم وآثار تضحياتهم، فكذلك الانتظار وبناء الشخصية والاستعداد، كل ذلك ليس في درجة واحدة، وإن كان كل من هذه العناوين من حيث المقدمات والنتائج يشبه العناوين آنفة الذكر، فكل منهما جهاد، وكل منهما استعداد وتهيؤ لبناء الذات...)[1].

وبناءً علىٰ ما تقدم من المدخل، يقع البحث في محاور أساسية ثلاثة، هي:

المحور الأول: قراءة في الوظيفة العامة للمؤمن في تحريه عن إمام زمانه من خلال الأدلة الروائية، ودخالة ذلك في الترقب والانتظار والتمهيد، علىٰ هدىٰ وبصيرة ويقين:

المحور الثاني: بيان منظومة العلامات في العقيدة المهدوية، ولماذا التركيز علىٰ العلامة؟ وماذا تعني لنا وما فائدتها، فهل هي لتطمئن القلوب دون التمهيد المسبق أم ماذا؟

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٦، ص٢٥.

المحور الثالث: قد يقال: نحن مأمورون بالانتظار، ولا يوجد أمر بالتمهيد، فهل الانتظار بإطلاقه وبمعناه الواسع يشمل التمهيد فعلاً؟

المحور الأول:

نماذج من بحث بعض الأصحاب، وتحريهم عن الإمام المعصوم بعد الإمام السابق:

١ - نموذج في وقت الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

(ما روي عن أبي خالد الكابلي أنه قال: قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام: من الإمام بعدك؟ قال: محمد ابني، يبقر العلم بقراً، ومن بعد محمد جعفر اسمه عند أهل السماء (الصادق). قلت: كيف صار اسمه الصادق، وكلكم الصادقون[1]؟ قال: حدثني أبي، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه (الصادق) فإن الخامس الذي من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه، فهو عند الله، جعفر الكذاب المفتري على الله، ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام، فقال: كأني بجعفر الكذاب، وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله والمغيب في حفظ الله، فكان كما ذكر)[2].

إنما كانت وتكون وظيفة المؤمن مرتكزة في التحري والبحث عن الإمام اللاحق بعد السابق، اسماً ونصاً وتعييناً وعلامةً، وذلك لقطع الطريق على المدعين للإمامة، كذباً وزوراً في كل زمان، وحتى يكون مصب اعتقاده في محله واقعاً وإجزاءً، وهذه الوظيفة هي في حد نفسها تمثل نحواً من أنحاء الترقب

١ . وفي نسخة الاحتجاج: ج٢، ص٤٩، ورد: (صادقون).

٢ .الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي، ج١، ص ٢٦٩، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسة.

والانتظار والتمهيد في طول تسلسل الأئمة المعصومين عليهم السلام، عبر مراحل التاريخ والغيبة حتىٰ الظهور الشريف.

٢ - نموذج في وقت الإمام محمد الباقر عليه السلام:

(عن أبي حمزة الثمالي[١]، قال: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ذات يوم، فلما تفرق من كان عنده قال لي: يا أبا حمزة، من المحتوم[٢] الذي لا تبديل له عند الله قيام قائمنا، فمن شك فيما أقول لقي الله سبحانه، وهو به كافر، وله جاحد، ثم قال: بأبي وأمي المسمىٰ باسمي، والمكنىٰ بكنيتي، السابع من بعدي، بأبي من يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجورا - ثم قال: يا أبا حمزة، من أدركه فلم يسلم له فما سلم لمحمد وعلي عليهما السلام، وقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار، وبئس مثوىٰ الظالمين)[٣].

وهنا يبين الإمام محمد الباقر عليه السلام للمؤمنين المنتظرين وظيفة التسليم المطلق بإمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه، وحتمية ظهوره وقيامه يقيناً، وخطورة عدم التسليم له في حال إدراك ظهوره وعصره، من حيث المصير والعاقبة والجزاء.

---

١. هو ثابت بن دينار، الثقة الجليل صاحب التفسير، وراوي الدعاء المعروف في أسحار شهر رمضان، كان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها، وكان عربيا أزديا، خدم علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد عليهم السلام - انظر الكافي: الكليني، ج١، ص٣٤ - الهامش.
وقال النجاشي العالم الرجالي عنه: هو كوفي، ثقة، لقي علي بن الحسين وأبا جعفر الباقر وأبا عبد الله الصادق، وأبا الحسن الرضا عليهم السلام وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم - انظر: رجال النجاشي: ص١١٥.

٢. المحتوم: هو القضاء الذي يكون فيه تقدير الله تعالىٰ للأمور مبرماً وقطعياً، لا يرد، ولا يبدل، ولا يتغير، وهو الذي عبر عنه القرآن الكريم بالسنة الالهية في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحوِيلاً﴾ (فاطر: ٤٣)، ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَد خَلَت مِن قَبلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً﴾ (الفتح: ٢٣).

٣. الغيبة: ابن أبي زينب النعماني، ص ٨٩، منشورات أنوار الهدىٰ - إيران - قم، الطبعة الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ. ق.

وأمّا لماذا يجب أن يكون قيام القائم بأمر الله تعالىٰ وبإذنه، وهو الإمام المهدي عجل الله فرجه من المحتوم الذي لا تبديل له عند الله تعالىٰ؟

فالجواب: ذلك لأن عدم حتمية قيام القائم الإمام المهدي عجل الله فرجه سوف يلزم منها المعذرية والحجية للناس في آخر الزمان علىٰ الله تعالىٰ، في حال تركه الناس من دون حجة منصوبة لهم، وحاشاه سبحانه، إذ إنه هو العزيز الحكيم، ولذلك ركز القرآن الكريم علىٰ هذه الحقيقة الدينية، حقيقة حتمية نصب الحجج الإلهية، أنبياءً وأئمةً، وحتمية قيامهم بأمر الله تعالىٰ في هذه الحياة الدنيا، فقال الله تعالىٰ: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعدَ الرُّسُلِ وَكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (النساء: ١٦٥).

٣ - نموذج في وقت الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

(عن المفضل بن عمر قال: دخلت علىٰ الصادق عليه السلام فقلت: لو عهدت إلينا في الخلف من بعدك، فقال: الإمام بعدي ابني موسىٰ، والخلف المأمول، المنتظر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسىٰ)[1].

ويلاحظ في هذه الرواية أن جواب الإمام الصادق عليه السلام علىٰ سؤال الراوي، قد ذكر بالتفصيل مجموع الأئمة المعصومين المنصوبين من بعده اسماً ونصاً، بما فيهم خاتمهم الإمام المهدي عجل الله فرجه، بما تكتمل به وظيفة البحث والتحري لكل من يعتقد بهم جميعاً، وحتىٰ يكون الانتظار ومقتضياته العقدية علىٰ بصيرة وهدىٰ ويقين.

٤ - نموذج في وقت الإمام الكاظم عليه السلام:

ذكر الشيخ الكليني في الكافي: عن داود بن سليمان، قال قلت لأبي إبراهيم - الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام، إني أخاف أن يحدث حدث، ولا ألقاك فأخبرني من الإمام بعدك، فقال ابني فلان، يعني أبا الحسن - الإمام الرضا عليه السلام.

١. وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ١٦، ص ٢٤٦، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

وعن النصر بن قابوس قال قلت لأبي إبراهيم عليه السلام، إني سألت أباك عليه السلام، من الذي يكون من بعدك فأخبرني أنك أنت هو فلما توفي أبو عبد الله عليه السلام، ذهب الناس يميناً وشمالاً، وقلت: فيك أنا وأصحابي فأخبرني من الذي يكون من بعدك من ولدك، فقال: ابني فلان - يعني أبا الحسن الرضا عليه السلام[١]،[٢].

(عن داود الرقي قال: قلت لأبي إبراهيم موسىٰ بن جعفر عليه السلام جعلت فداك قد كبر سني فحدثني من الإمام بعدك؟ قال: فأشار إلىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام، وقال: هذا صاحبكم من بعدي)[٣].

وهكذا يستمر البحث والتحري عن معرفة الإمام اللاحق للسابق، بحكم المنعطفات التي قد تحدث نتيجة إلقاء الشبهات وكثرة الفتن ووقوع الانحراف العقائدي، كما حصل بعد استشهاد الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام وظهور القائلين بالوقف، أمثال علي بن أبي حمزة البطائني وغيره.

بحيث وصل بهم الحال إلىٰ إنكار موت الإمام الكاظم عليه السلام وابتداع عقيدة الوقف، طمعاً بالمال.

٥ - نموذج في وقت الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام:

(عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول: أنشدت مولاي الرضا علي بن موسىٰ عليهما السلام، قصيدتي التي أولها:

---

١. شرح أصول الكافي: المولىٰ المازندراني، ج٦، ص ١٨٤ - ط١ - مؤسسة إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢١هـ.

٢. الكافي: الكليني، ج١، ص ٣١٣، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - الناشر: دار الكتب الاسلامية - طهران.

٣. عيون أخبار الرضا، الصدوق، ج١، ص ٣٣، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ.

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلىٰ قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم علىٰ اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ويجزي علىٰ النعماء والنقمات

بكىٰ الرضا عليه السلام، بكاءً شديداً، ثم رفع رأسه إليَّ فقال لي: «يا خزاعي نطق روح القدس علىٰ لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام، ومتىٰ يقوم»؟ فقلت: لا يا مولاي، إلّا أني سمعت بخروج إمام منكم، يطهر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً، كما ملئت جوراً.

فقال: «يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطول الله عز وجل، ذلك اليوم حتىٰ يخرج، فيملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً، وأمّا متىٰ، فإخبار عن الوقت، فقد حدثني أبي، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام، أن النبي صلى الله عليه وآله، قيل له: يا رسول الله متىٰ يخرج القائم من ذريتك؟ فقال عليه السلام: مثله مثل الساعة التي لا يجليها لوقتها إلّا هو، ثقلت في السماوات والأرض، لا تأتيكم إلّا بغتة»[1].

ونموذج هذه الرواية المأثورة عن الإمام الرضا عليه السلام يضعنا أمام معطيات مختلفة وقيمة في مجمل وظائف المؤمن، وحراك الترقب والانتظار والتمهيد، من لزوم الاعتقاد بحتمية خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه بعد مضي سلسلة الأئمة المنصوبين من قبله، كالجواد والهادي والعسكري عليهم السلام، مهما طال الزمان، وحتمية قيامه بالحق وتطهيره للأرض من الفساد، والعمل علىٰ إقامة العدل

١. كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق، ص ٣٧٣، الناشر - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

فيها، وأن الجهل بوقت ظهوره الشريف لا يكون مدعاة للغفلة عن انتظاره، فظهوره حتمي وقطعي كقيام الساعة، لا محالة، يأتي فجأةً وبغتةً، مثله مثلها.

٦ - نموذج في وقت الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

عن (يعقوب بن منقوش قال: دخلت علىٰ أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، وهو جالس علىٰ دكان في الدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلت له: يا سيدي من صاحب هذا الأمر؟ فقال: ارفع الستر، فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي، له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، دري المقلتين، شثن الكفين، معطوف الركبتين، في خده الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس علىٰ فخذ أبي محمد عليه السلام، ثم قال لي: هذا صاحبكم، ثم وثب، فقال له: يا بني ادخل إلىٰ الوقت المعلوم، فدخل البيت، وأنا أنظر إليه، ثم قال لي: يا يعقوب انظر من في البيت، فدخلت فما رأيت أحداً)[1].

وفي هذه الرواية نتلقىٰ انطباعاً دقيقاً عن وظيفة المؤمنين في البحث والتحري عن إمام زمانهم، كما حدث مع الراوي يعقوب بن منقوش، وتمكين الإمام الحسن العسكري عليه السلام له من رؤية إمام زمانه رأي العين، ومعرفته بالوصف والتنصيص.

المحور الثاني:

من المعلوم بداهةً وعند العقلاء، أن العلامات إنما تنصب وتجعل للاهتداء بها في الطريق الموصل إلىٰ المطلوب، أو أنها تفيد الإراءة والكشف عن معالم الطريق من أول السلوك والشروع فيه، فتكون أسباباً للإرشاد إلىٰ المبتغىٰ والمقصد، وهو معرفة الإمام المنتظر الموعود.

١. كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق، ص ٤٠٨، الناشر - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

وفي نطاق العقيدة المهدوية قد جعل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام علامات منصوصة وموثوقة، للتمييز بين الحق والباطل، وللإرشاد إلىٰ الحق وأهله، والتي من خلالها تتم المعرفة اللازمة اعتقاداً وانتظاراً في التعاطي مع مقتضيات الإيمان بإمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه وبمجريات الغيبة الكبرىٰ والتطلع الراشد والتوطئة الفعلية للظهور والقيام بالحق والعدل والهدىٰ.

ولسنا بصدد الخوض في تفاصيل هذه العلامات بقدر ما نقصد التركيز علىٰ حكمة العلامة، والمراد منها وأغراضها البنيوية في حراك المؤمن المنتظر، وتكليفه في حينها، ومدىٰ ارتباطها بالتمهيد.

وحتىٰ أنَّ القرآن الكريم قد جعل العلامات في حد نفسها، مفهوماً ومصداقاً في نظره الحكيم للاهتداء بها في الوصول إلىٰ المطلوب فعلاً وغرضاً وقصداً.

قال الله سبحانه: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجمِ هُم يَهتَدُونَ﴾ (النحل: ١٦).

وإلىٰ هذا المعنىٰ القويم أشارت الروايات، كبيان لغرض جعل العلامات والمراد منها، فعن معلىٰ بن محمد عن الوشاء، قال سألت الرضا عليه السلام عن قول الله تعالىٰ: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجمِ هُم يَهتَدُونَ﴾، قال: «نحن العلامات، والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

ويمكن بيان جملة من الأغراض المترتبة علىٰ جعل العلامة:

١ - إن جعل العلامة المنصوصة والموثوقة مصداقاً، يمثل ضماناً عقدياً لمعرفة الإمام المهدي عجل الله فرجه في وقت ظهوره، ولسد الباب علىٰ المدعين أو المشككين أو الجاحدين.

١. الكافي: الكليني، ج١، ص ٢٠٧، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - الناشر: دار الكتب الاسلامية - طهران.

وهذا ما يستدعي ركوز الطمأنينة النفسية والعقائدية عند المؤمن المنتظر، ليتقبل عصراً جديداً لم يعهده من قبل.

وفي الرواية المأثورة في باب من ادَّعىٰ الإمامة، وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، عن عمر بن أبان، قال سمعت أبا عبد الله - الإمام جعفر الصادق عليه السلام -، يقول: «اعرف العلامة، فإذا عرفته لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر، إن الله عز وجل يقول: ﴿يَومَ نَدعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِم﴾، فمن عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر عليه السلام»[1].

وقد بين الفيض الكاشاني في كتابه الوافي مفهوم العلامة في هذه الرواية، وقال ما نصه:

(يعني بالعلامة الإمام، كما ورد عنهم عليهم السلام، في قوله عز وجل: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجمِ هُم يَهتَدُونَ﴾، إن العلامات هم الأئمة والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله، أو يعني بها علامة الإمام ونعته المختص به، وأنه من، وابن من، وفي نسخة الشيخ الشهيد الثاني زين الدين العاملي، اعرف الغلام يعني المهدي عليه السلام، فإنه قد مضىٰ ذكره بهذا العنوان، والفسطاط الخيمة، وفي بعض النسخ المهدي بدل المنتظر، وفي بعضها فسطاطه بالإضمار)[2].

وفصل الميرزا محمد تقي الأصفهاني في بيان مفهوم العلامة في لسان الروايات أكثر، بما يؤكد ضرورة تحصيل المعرفة بها عقائدياً، فذكر (قوله: اعرف العلامة، كلمة جامعة في معرفة الإمام...

١. الكافي: الكليني، ج١، ص ٣٧٢، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - الناشر: دار الكتب الاسلامية - طهران.

٢. الوافي: الفيض الكاشاني، ج٢، ص ٤٣٦، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة - أصفهان.

بيان ذلك: أن المراد بالعلامة ما يمتاز به صاحبها عن غيره، بحيث لا يشتبه علىٰ من عرف علامته، وعلامة الإمام إمّا راجعة إلىٰ نسبه، أو إلىٰ بدنه أو إلىٰ علمه وأخلاقه، أو إلىٰ خصائصه في حال ظهوره، والعلامات المحتومة التي أخبر بها الأئمة الأطهار...

لا ريب أنَّ المقصود من المعرفة التي أمرنا أئمتنا عليهم السلام، بتحصيلها بالنسبة إلىٰ إمام زماننا هو أن نعرفه علىٰ ما هو عليه، بحيث يكون سبباً لسلامتنا من شبهات الملحدين، ونجاةً لنا من إضلال المفترين المضلين، وذلك لا يحصل إلّا بأمرين:

أحدهما: معرفة شخص الإمام باسمه ونسبه.

والثاني: معرفة صفاته وخصائصه، وتحصيل هاتين المعرفتين من أهم الواجبات)[1].

٢ - إن معرفة العلامات والتيقن منها اعتقاداً يستدعي التوطئة والتمهيد المسبق فعلاً، لما يرجىٰ وقوعه منها مصداقاً، ففي الروايات المأثورة يوجد تركيز علىٰ هذا البعد العملي من والاستعداد لنصرته عند خروجه وفرجه.

فـ(عن أبي عبد الله الجعفي، قال، قال لي أبو جعفر محمد بن علي - الإمام الباقر عليه السلام، كم الرباط عندكم؟ قلت: أربعون، قال: لكن رباطنا رباط الدهر، ومن ارتبط فينا دابةً كان له وزنها ووزن وزنها ما كانت عنده، ومن ارتبط فينا سلاحاً كان له وزنه ما كان عنده، لا تجزعوا من مرة، ولا من مرتين، ولا من ثلاث، ولا من أربع.....)[2].

١. مكيال المكارم: ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ج٢، ص٩٧، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٢. الكافي: الكليني، ج٨، ص ٣٨٢، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - الناشر: دار الكتب الاسلامية - طهران.

وبين العلامة المجلسي ﵀ في شرح قوله: رباطنا رباط الدهر: (أي يجب على الشيعة أن يربطوا أنفسهم على طاعة إمام الحق، وانتظار فرجه، ويتهيأوا لنصرته)[١].

وقد ذكر الفقهاء مفهوم المرابطة في كتاب الجهاد، وقالوا: (والمرابطة مستحبة، وحدُّها ثلاثة أيام إلى أربعين يوماً، فإذا زاد على ذلك كان جهاداً)[٢].

وبينوا المراد بها: (وهو أن يقيم المؤمن ويربط دابته في ثغر من الثغور، لحفظ بلاد الإسلام من تهاجم الكفار، فيدفعهم إذا هجموا على المسلمين، وأقل زمان هذه المرابطة ثلاثة أيام، وأكثره أربعون يوماً، فإذا تجاوز الأربعين كان ثوابه ثواب المجاهدين ولا فرق في استحباب هذه المرابطة بين زمان حضور الإمام ﵇ وغيبته، وفيها فضل كثير)[٣].

وقد أشار القرآن الكريم نصاً إلى معنى المرابطة ودورها في حفظ الدين والثغور من الأعداء، من خلال الثبات والجهاد، قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

وكذلك في الرواية عن بريد بن معاوية العجلي، عن أبي جعفر محمد بن علي - الإمام الباقر ﵇ في معنى قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾، قال: «اصبروا على أداء الفرائض، وصابروا عدوكم، ورابطوا إمامكم المنتظر»[٤].

١. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلامة المجلسي، ج٢٦، ص ٥٨٢.
٢. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، الشيخ الطوسي، ص ٣١٢، منشورات مطبعة الخيام - قم، ١٤٠٠هـ.
٣. مكيال المكارم: ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ج٢، ص ٣٩٧ - ٣٩٨، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
٤. الغيبة: النعماني، ص٣٤، منشورات أنوار الهدى، إيران - قم المقدسة.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في معنىٰ ﴿رابِطُوا﴾، قال: «المقام مع إمامكم»[١].

وللشيخ حسين الكوراني العاملي رحمه الله بيان قيم لمفهوم المرابطة في عصر الغيبة الكبرىٰ وارتباطها الوثيق بالانتظار والتمهيد والإعداد.

قال ما نصه: (ولا شك أنَّ الوقوف مع الإمام المنتظر عجل الله فرجه أثناء غيبته إنما يتحقق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله مع نائبه الفقيه الجامع للشرائط، انطلاقاً من الاهتمام بأمور المسلمين ومواجهة الطواغيت الذين يريدون ليطفؤوا نور الله تعالىٰ.

وفي هذا السياق يمكن فهم الروايات التي تتحدث عن إعداد السلاح، أو واسطة النقل (الدابة وغيرها)، فالانتظار عمل دائب باتجاه تزكية النفس (الجهاد الأكبر)، وحمل همّ المسلمين لا ينفك عن الجهاد الأصغر.

إنَّ الانتظار لا يعني علىٰ الإطلاق تأجيل الصراع مع أعداء الله حتىٰ إشعار آخر، وإنما يعني استمرار الصراع حتىٰ تكون الجولة الفاصلة بإذن الله علىٰ يدي وليه الإمام المنتظر.

ومن النتائج العملية المترتبة علىٰ ذلك الاهتمام بالتدريب العسكري، وإن المرابطة مع عدم القدرة علىٰ القتال أمر عبثي.

وإن المرابطة في غيبة الإمام المنتظر تعني امتلاك الأمة رصيداً كبيراً من الإحساس بالمسؤولية، يحملها علىٰ تحصين ساحتها بالإعداد العسكري، الذي يمكنها من حماية ثغورها، والمرابطة عليها في مواجهة كل قوىٰ الكفر والنفاق)[٢].

١. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٢٤، ص ٢١٧، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة المصححة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢. آداب عصر الغيبة الكبرىٰ: الشيخ حسين الكوراني، ص ٥٢، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٣ - للعلامات - ولو البعض منها كاليماني - دور مكين وراسخ وفاعل في تربية المؤمنين المنتظرين تربيةً روحيةً وفكريةً وسلوكيةً، قادرةً على تحمل انتظار الإمام المهدي عجل الله فرجه وتلقي فرجه الموعود، طبقاً لمقتضيات الظروف الزمانية والمكانية، والحيثيات الموضوعية.

المحور الثالث: قد يقال: نحن مأمورون بالانتظار، ولا يوجد أمر بالتمهيد:

وهل الانتظار بإطلاقه وبمعناه الواسع يشمل التمهيد فعلاً، بحيث يكون من أعلى مراتبه؟

مما لا ريب فيه اعتقاداً هو أننا مأمورون بانتظار إمامنا المهدي الموعود عجل الله فرجه، بحسب ما جاء في لسان الروايات الكثيرة والمعتبرة والصحيحة، انتظاراً يتقوم بحيثيات عبادية ونفسية وفكرية وسلوكية، لها تأثيرها المؤكد في بناء الشخصية القادرة على تحمل التكليف الشرعي والعقائدي، في وقت الغيبة والظهور، وقيام الحق فعلاً.

وإنَّ طبيعة الانتظار غير قاصرة عن شمول التمهيد كحصة أو مصداق عملي، بحكم إطلاقه مفهوماً وتطبيقاً.

ووجه كون الانتظار واجباً عقائدياً، لما يمثله من كونه محققاً لما هو المطلوب بحسب المرتكزات الشرعية والعقلائية في التعاطي مع ما يرجى وقوعه حقاً، ويرغب فيه أملاً، ويتيقن به وعداً وحتماً.

وإلى هذا المعنى المعقول أشار الشيخ بشير النجفي (حفظه الله تعالى) في كتابه (ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه)، بما نصه:

(إن الانتظار واجب بحكم العقل والشرع، أما العقل - فلما نعلم من طبيعة البشر أنه لا يندفع إلىٰ فعل، لا ينبغي أن يندفع إليه، إلّا إذا أحرز أنه يؤدي إلىٰ ما يرغب فيه ويتمناه، وتوقع الوصول إلىٰ البغية يدفعه إلىٰ العمل، فالتوقع والانتظار لدولة الحق علىٰ يد الإمام المنتظر عليه السلام مقدمة أساسية ومنطلق فكري وعملي، نحو بذل الطاقة والجهد في سبيل الوصول إلىٰ تلك البغية.

وأمّا الشرع - فقد ورد الأمر بالانتظار في كثير من الروايات فبلغ حد التواتر، بل في بعضها أن الانتظار من أفضل الأعمال في عصر غاب عنه الحق عن البسيطة، وأصبحت الأرض بيد الطغاة، يلعبون بالصالحين وبمقدراتهم، بل مقدرات الشعوب كلها، حسب ما تشتهي أنفسهم، وتدفع إليه أهواؤهم، كما عن رسول الله صلى الله عليه وآله ضمن حديث (انتظار الفرج عبادة)[١]...، وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام: «انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلىٰ الله عز وجل انتظار الفرج»[٢]،[٣].

ومن المعلوم أنه لا يوجد نهي اعتقادي أو شرعي عن التوطئة والتمهيد خلال الغيبة الكبرىٰ، وقبيل الظهور والقيام الشريف، فيندرج هذا المفهوم والحراك تحت مظلة الانتظار المأمور به اعتقاداً ونقلاً، بحيث يمكن أن يمثل أحد معالمه وركائزه الفعلية في الامتثال والتطبيق.

---

١. كشف الغمة في معرفة الأئمة: علي بن أبي الفتح الإربلي، ج٢، ص ٣١٣، دار الأضواء - بيروت.
٢. الخصال: الصدوق، ص ٦١٦، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.
٣. ولادة الإمام المهدي: محاضرات المرجع الديني الشيخ بشير النجفي (دام ظله)، ص ١١٤ - ١١٥، ط٨، مؤسسة الأنوار النجفية.

وقد بين هذا المعنىٰ القيم آية الله السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله:

فذكر نصاً: (وأصبح من ثم التمهيد للظهور أحد معالم هذا الانتظار، وأحد العوامل المؤثرة في التحرك من أجل إقامة حكومة العدل المطلق في تأريخ هذه الجماعة الصالحة)[١].

وقال رحمه الله في مقطع آخر: (شعور الانسان المؤمن بفكرة الإمام المهدي عجل الله فرجه، بأن مجمل أعماله ونشاطاته هي مساهمة في الدور التاريخي، وأداء له في التمهيد لقيام حكومة العدل الإلهي المطلق، التي يحققها الإمام المهدي عجل الله فرجه.

فبدلاً من أن ينظر الانسان المؤمن إلىٰ تقويم دوره وأعماله ونشاطاته من خلال الأهداف المنظورة في حياته الشخصية القصيرة، أو من خلال ما يمكن أن يحققه، أو يتحقق من إصلاحات في المجتمع الانساني، وعندئذٍ قد يرىٰ كل تلك الأعمال والنشاطات محدودة التأثير والأهداف فيزهد فيها، نرىٰ أن الانسان المؤمن بفكرة الإمام المهدي عجل الله فرجه إنما يقوم بدوره الخاص في سلسلة المراحل والأهداف والأعمال التي تنتهي مجتمعةً إلىٰ إقامة ذلك المجتمع الانساني الفاضل.

وهذا بطبيعة الحال يمنح الانسان مستوىً عالياً من الروح المعنوية في التعامل مع نشاطاته وأعماله وتضحياته، حيث يصبح الهدف كبيراً وعظيماً يغطي كل هذه النشاطات والأعمال والجهود والتضحيات مهما كانت كبيرة وصعبة، أو صغيرة ومحدودة)[٢].

١. دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: السيد الشهيد محمد باقر الحكيم، ج١، ص ١٩٦، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام الطبعة الأولىٰ: ١٤١٩ هـ ق.

٢. دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: السيد الشهيد محمد باقر الحكيم، ج١، ص ٢٠٣، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام الطبعة الأولىٰ: ١٤١٩ هـ ق.

فالتمهيد يمثل الاستحضار الحي والفاعل لانتظار الإمام المهدي عجل الله فرجه، وأعلىٰ مراتبه في مجمل المستويات الاعتقادية والمعرفية والسلوكية والتربوية والتكاملية والتدبيرية.

بناءً علىٰ إمكان تصيد عنوان التمهيد من الإطلاق الأحوالي لكثير من الروايات المعتبرة والصحيحة، التي أكدت علىٰ أهمية وظيفة الانتظار وضرورتها عبادةً وسبيلاً في عصر الغيبة الكبرىٰ، ولكونه مناظراً لغوياً ودلالياً لمفهوم التوطئة للإمام المهدي عجل الله فرجه، يمكن تصنيفه - أي التمهيد - في المراتب العليا للانتظار الراشد، والمرتكز علىٰ التفاضل في حراك المنتظرين.

كما ورد ذلك بلسان الرواية المأثورة، من أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال:

«يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته، والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك وتعالىٰ أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة، ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلىٰ دين الله عز وجل، سراً وجهراً»، وقال علي بن الحسين عليهما السلام: «انتظار الفرج من أعظم الفرج»[1].

وللشيخ المنتظري رحمه الله تعليق قيم في بيان مفاد ودلالة هذه الرواية، بما يجعل الانتظار تمهيداً ومن مقدمات الفرج، فذكر ما نصه: إن انتظار الفرج ليس مجرد شعار أجوف، وإنما هو صبر، واستقامة واستعداد عملي،

١. كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق، ص ٣٢٠، الناشر - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

وتمهيد لمقدمات الفرج، فإن الذي ينتظر ضيفاً عزيزاً، يبادر إلىٰ إعداد داره، بشكل يتناسب وشأن ضيفه، وعليه فإن المنتظرين له يشعرون بالحاجة إليه، ويدركون أهدافه، ويتوقعون ظهوره في كل لحظة، وأنه سيطلب منهم العون والنصرة، للوصول إلىٰ أهدافه المقدسة)[١].

عند مراجعة بعض الروايات المأثورة في شأن القيام والظهور والفرج، يظهر معطىٰ دلالي قيم، يؤكد علىٰ عدم عفوية أمر ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، واستسهال ظهوره، ومدىٰ ارتباطه المكين بشروط واقعية وموضوعية، تستدعي العمل المسبق والمنظم، والذي يقوم علىٰ أساس التخطيط وبذل الوسع من الجهد والمشقة ومواجهة الصعاب، وتقديم التضحيات، حتىٰ يستقيم ذلك الأمر الإلهي الموعود حتماً وتحققاً.

وقد أورد الشيخ الطوسي قدس سره في كتابه (الغيبة) هذه المعاني الاعتقادية والموضوعية والواقعية في عدة روايات، يستظهر ذلك منها بوضوح وصراحة.

فروىٰ عن بشير النبال، أنه قال: لما قدمت المدينة، قلت لأبي جعفر، الإمام محمد الباقر عليه السلام: إنهم يقولون: إن المهدي لو قام، لاستقامت له الأمور عفواً، ولا يهريق محجمة دم، فقال: «كلا، والذي نفسي بيده، لو استقامت لأحد عفواً، لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أدميت رباعيته، وشج في وجهه، كلا، والذي نفسي بيده حتىٰ نمسح نحن وأنتم العرق والعلق[٢]، ثم مسح جبهته»[٣].

---

١. من المبدأ إلىٰ المعاد في حوار بين طالبين: الشيخ المنتظري، ص ١٦٨، ط ١ - قم - ١٤٢٥ هـ.

٢. كناية عن ملاقاة الشدائد التي توجب سيلان العرق والجراحات المسيلة للدم.

٣. الغيبة: الطوسي، ص ٢٩٥، منشورات أنوار الهدىٰ - الطبعة الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ. ق.

فـإنَّ نفـي عفويـة القيـام المهـدوي دون ملاقـاة الشـدائد قبـل الظهـور الشريـف، في متـن هـذه الروايـة، يؤكـد عـلىٰ أن اسـتقامة الأمـر الموعـود، وتحققـه مرهـون واقعـاً وفعـلاً بالتمهيـد المنظـم، والتوطئـة عـلىٰ وجـه يتحمـل فيـه المؤمنـون المنتظـرون مواجهـة الصعـاب والتضحيـات والأذىٰ عـلىٰ مسـتوىٰ أنفسـهم والإمـام المهـدي عجل الله فرجه معـاً.

وفي روايـة أخـرىٰ عـن المفضـل بـن عمـر، قـال: سـمعت أبـا عبـد الله الإمـام جعفـر الصـادق عليه السلام، وقـد ذكـر القائـم عليه السلام، فقلـت: إني لأرجـو أن يكـون أمـره في سـهولة، فقـال: «لا يكـون ذلـك حتـىٰ تمسـحوا العلـق والعـرق»[1].

وكذلـك الحـال في هـذه الروايـة أيضـاً، يتبـيَّن أن أمـر الظهـور والقيـام ليـس بالأمـر السـهل في تحققـه، ضمـن معطيـات وحيثيـات الظـروف والشرائـط في وقتهـا، إلّا بعـد بـذل الجهـد المنظـم، وتجـاوز الشـدائد بتحملهـا، وملاقاتهـا بـما فيهـا مـن تحمـل الأذىٰ والمشـقة والـضرر.

خلاصة البحث:

إنَّ التتبـع الدقيـق في مـا تحملـه متـون بعـض الروايـات المهدويـة المعتـبرة، يغطـي مجمـل وظائـف الإنسـان المؤمـن في تعاطيـه الاعتقـادي مـع مسـألة الغيبـة الكـبرىٰ للإمـام المهـدي عجل الله فرجه ومقتضياتهـا، مـن الترقـب والانتظـار والتوطئـة أو التمهيـد، ومـا يكتنـف ذلـك مـن تطبيقـات وخيـارات، وأدوار ومكتسـبات، يبـين للباحـث ثمـة تداخـل مفاهيمـي دلالي عميـق بـين هـذه المرتكـزات الثلاثـة في حـراك الوظيفـة والعلاقـة بـين المؤمنـين وإمامهـم المهـدي المنتظـر الموعـود، ودخالتهـا

١. الغيبة: الطوسي، ص ٢٩٥، منشورات أنوار الهدىٰ - الطبعة الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ. ق.

المباشرة في تعجيل الفرج وتحقق الظهور، وقيام العدل والحق والهدىٰ، ودفع الظلم والجور عن العباد، ومحاربة الفساد في الأرض.

فهذه المفاهيم الثلاثة (الترقب - الانتظار - التمهيد) هي وظائف اعتقادية وعقلية مشروعة، ومنصوصة في لسان الروايات، بل هي أفضل العبادات في منظومة التعاطي العقدي مع الإمام المهدي عجل الله فرجه في عصر الغيبة الكبرىٰ.

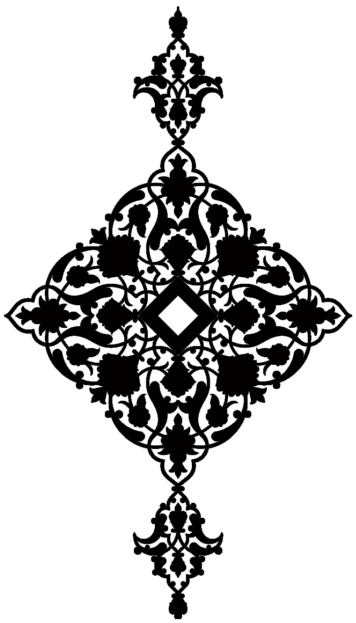

المعود
ALMAUOOD

الدولة المهدوية وإشكالية الزمان

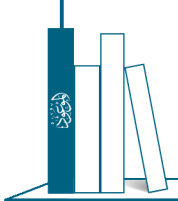

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

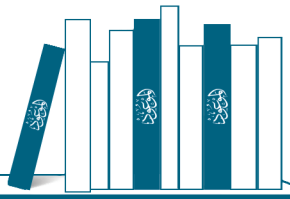

مقدمة:

تتطلع البشرية إلىٰ حكومة عادلة يُنتصف فيها للمظلومين عن معاناة طيلة هذه القرون المتمادية، ويتساءل معظم المهتمين بهذا الشأن كم يا ترىٰ ستكون مدة هذه الحكومة العادلة وهل تفي المدة التي ستمسك أثناءها بالحكم وإدارة شؤون الناس لمحو آثار الظلم والاستبداد الذي جثم علىٰ صدر البشرية؟

تختلف الأنظار إلىٰ تلك المدة المرتقبة حسب الرؤىٰ والمعتقدات في من سيكون رئيس تلك الحكومة، ففيما ترىٰ جملة من الأديان البشرية أشخاصاً معينين غابوا وسيرجعون ليحكموا العالم بعدلهم ترىٰ الأديان الإلهية السامية أنهم منتخبون بعناية فائقة ومحاطون بتسديد كبير من جانب السماء للقيام بهذه المهمة، وحسب اختلاف هذه الرؤىٰ والمعتقدات تختلف بطبيعة الحال مدة حكم هذا المنتظر، وإن كان بحسب الواقع هو شخصاً واحداً.

من هذه الإشكالية انطلق هذا البحث كمحاولة للإجابة علىٰ هذا التساؤل (كم سيحكم العدل)؟

وإذا نظرنا إلىٰ البحث من زاوية عقائدية فإن السؤال يصاغ هكذا: (كم سيحكم المهدي عجل الله فرجه)؟

والبحث يقع في تمهيد وعدة نقاط:

تمهيد:

في بيان مفردات البحث (الزمان – الدولة – المهدوية).

الزمان:

فكرة الزمان بالمعنىٰ الذي يتفق عليه الناس في استعمالهم العادي لا يحتاج إلىٰ بيان وإيضاح، تماماً مثل فكرة الوجود نفسه أو المكان، ولكن حالما ينتقل الإنسان من طور المعرفة العادية والاستعمال اليومي الشائع إلىٰ معناه وراء ذلك، أو لنقل المعنىٰ الفلسفي، يجد نفسه في متاهة[١].

الدولة:

يتساءل الكثير عن ماهية مفهوم الدولة بعيداً عن الدلالات اللغوية، وصار هذا المفهوم محل جدل كبير بين أرباب السياسة والقانون والفقهاء علىٰ مر العصور، وقد انبثقت عدة مفاهيم للدولة من الواقع الذي يجسده البناء الخارجي لها ولازال ينتقل بين المثالية وأقصىٰ المادية.

وتعتبر الدولة منذ نشأتها الحديثة في أعقاب مؤتمر وستفاليا[٢] إحدىٰ حقائق الحياة السياسية المعاصرة التي رسخت تدريجياً النظام الدولي الراهن.

---

١. الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم – حسام الدين الآلوسي: ص١٧.

٢. معاهدة وستفاليا: اتفاقية وقعت عام ١٦٤٨م لإنهاء حرب دامت (٣٠) سنة في ألمانيا، ومثلت نقطة تحول في تاريخ أوروبا، وفتحت عهداً جديداً لقيام الدول الحديثة. [راجع صلح وستفاليا لعدي محسن غافل، مجلة أهل البيت عليهم السلام: العدد١٨].

وبالرغم من اعتبار الدولة مؤسسة عالمية ضرورية، إلّا أن تعريفها واسع ومتنوع لا يكاد يجتمع عليه اثنان، بل ويمكن أن يقال إن إيجاد تعريف واحد لمفهوم الدولة هو صراع أيديولوجي بحد ذاته، كون التعاريف المختلفة ناتجة عن نظريات مختلفة لوظيفة الدولة[١].

وإذا كان لا يمكن تحديد مفهوم الدولة، فقد يمكن فهمها من خلال مكوناتها، فأغلب فقهاء السياسة يجمعون علىٰ أن مكونات الدولة الأساسية هي الشعب والأرض والسيادة، بالإضافة إلىٰ عدد آخر من المكونات.

ولعل أول من استعمل هذا المفهوم بما له من الدلالة علىٰ معناه المتداول، هو المفكر الإيطالي (نيقولو ماكيافلي) حيث عبر عنها في كتابه الأمير (كلها دول وهي إمّا جمهوريات أو إمارات)[٢].

وإن كان الإنصاف يقتضي أن مصطلح الدولة من المصطلحات المتداولة قديماً وإن وقع اختلاف في سعته، فمسلَّة حمورابي والدولة الفارسية القديمة والرومية كذلك كان لها نظام وقضاء وقانون، فعناصر الدولة موجودة، وكذلك ورد التعبير عنها في بعض الروايات من قبيل: «دولتنا آخر الدول»[٣].

وقد عبر عن مفهوم الدولة عملياً في إطار عدة نظريات للحكم.

ومن بين أبرز نظريات الحكم التي تشكل عنصراً آخر من عناصر الدولة المتقدمة، نظرية الحكم الذي يستمد الحاكم فيه أحقية الحكم، بوصف مطلق من الله تعالىٰ وقد أفرد لهذا المعنىٰ من الحكم دراسات مفصلة ومعمقة تناولت أدق تفاصيله، والخلاصة التي تعنينا من ذلك هي أن مفهوم الدولة

١. مفهوم الدولة – مقال منشور في الموسوعة السياسية – أ. د. حسن نافعة، ود. هادي الشبيب، ود. رضوان يحيىٰ.
٢. الدولة فلسفتها وتاريخها – محمود حيدر: ص٢٦.
٣. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٤٧٢، ح٤٩٣.

الـذي نتحـدث عنـه في هـذه الدراسـة محـدد سـلفاً ويعنـي بالتحديـد (الحكومـة التـي تسـتمد شرعيتهـا مـن الله تعـالىٰ وفـق معايـير ثابتـة ومحـددة).

المهدوية:

لم أجـد فيـما تتبعـت تحديـداً واضحـاً للمهدويـة، وحتـىٰ مـن أراد أن يعـرّف بالمهدويـة مفاهيـم أخـرىٰ لم يتطـرق إلىٰ تعريـف هـذا المفهـوم، نعـم رأيـت مـن يعنـون هـذا المفهـوم لعـدد مـن الأبحـاث، كالبحـث عـن الإمـام عجل الله فرجه وصفاتـه وأدلـة ولادتـه وغيبتـه وعلامـات ظهـوره، وهكـذا فجـاءت عبـارة (المهدويـة هـي الاعتقـاد بالإمـام المهـدي عجل الله فرجه) أو (مواصفـات الشـخصية المهدويـة) أو (عقيـدة المهدويـة) أو (الثقافـة المهدويـة) أو (المهدويـة في الفكـر الإسـلامي أو في الفكـر المسـيحي أو غـيره مـن الأديـان) أو (القضيـة المهدويـة) أو (المهدويـة والديمقراطيـة) ومفاهيـم حداثويـة أخـرىٰ أو (المهدويـة ونقـد الشـبهات) أو (المهدويـة والغيبـة) وعناويـن أخـرىٰ مـن قبيـل العلامـات أو الرجعـة أو غيرهـا، أو (أدعيـاء المهدويـة) أو (الدولـة المهدويـة) أو (فلسـفة المهدويـة) أو (الحركـة المهدويـة) أو (الحـركات المهدويـة الضالـة) أو (المهدويـة في التاريـخ).

وللقيـام بتحديـد مفهومـي تتجـلىٰ مـن خلالـه صـورة واضحـة لهـذا المفهـوم (المهدويـة) لابـد مـن دراسـة أوليـة عـن علاقـة هـذا المفهـوم بمفاهيـم أخـرىٰ كمفهـوم (العـدل) و(الإمامـة) و(الغيبـة) و(آخـر الأئمـة) و(نهايـة التاريـخ) و(العلامـات) و(الخـلاص) و(المنجـي).

ثم فصل دلالات هذه المفاهيم منفردة وملاحظتها مجتمعة.

إن التعريـف - كـما هـو ليـس بخفـي - هـو ذكـر كل مـا يمـت بصلـة لتوضيح المفهـوم واسـتجلاء صورتـه، وهـو مـن أهـم الخطـوات التـي ينبغـي القيـام بهـا في

دائرة تنقيح المفاهيم، ولعله يعسر علينا تحديد هوية المفهوم بما هو هو، فنلجأ إلىٰ ملاحظة موارده، فإن تم ضبطها أمكن تقديم صورة أكثر وضوحاً عنه.

إن رسم صورة واضحة عن مفهوم (المهدوية) في ذهن السامع يتوقف علىٰ إعطاء معنىٰ محدد من خلال الصفات والخصائص والأفراد واللوازم التي له، كما ومما يسهم في إيضاحه أكثر إجراء عملية مقارنات بينه وبين عدد من المفاهيم الأخرىٰ المرادفة أو المضادة له.

ولسنا بصدد تعريف حقيقي لمفهوم (المهدوية أو ما يرادفها)، فإن أمثال مفهوم (الوجود) و(العدالة) و(الحرية) وغيرها لازالت محل نقاش، فكيف به هو.

وهنا لابد من الإشارة أن الحديث عن (المهدوية) يختلف باختلاف الأغراض والموضوعات، فمثلاً:

١ - عند الحديث عن (المهدوية) بلحاظ النسب فإننا نتحدث عن شخص قد ولد ويحمل نسباً معروفاً، فلا يوجد تشكيك في انطباق هذا المفهوم ووضوح تحديده لما توافرت من أدلة قاطعة علىٰ ذلك.

فالمهدوية في دائرة الانتساب واضحة، نعم هي مختلفة باختلاف المذاهب التي نعتمد عليها في الأدلة، فأدلة إثبات النسب من جهتنا تنتهي إلىٰ نتيجة مغايرة لما ينتهي إليه الآخرون مذهبياً أو دينياً.

فيكون البحث عن المهدوية في هذه الدائرة ضيقاً.

٢ - عند الحديث عن (المهدوية بمعنى المخلص والمنقذ) من لحاظ الأهداف وما تقدمه للبشرية، حيث يبدو أن الحديث عنها في أفق واسع نشترك فيه مع غيرنا دينياً وإنسانياً، فالمذاهب الإلهية والبشرية برمتها تحدثت عن تلك النهاية المنتظرة للبشرية، فالمهدوية في هذه الدائرة تأخذ تعريفها من مختلف النصوص الدينية.

وهكذا تختلف التعريفات باختلاف الموارد والأغراض.

وغرضنا هنا هو البحث عن المهدوية من زاوية الدولة المهدوية المنتظرة، ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نعرف المهدوية بأنها (دولة وحكومة الإنسان الإلهي الأخير).

وبذلك يتبين لنا أن معنىٰ عنوان البحث هو:

(وقت الانتقال إلىٰ زمان الإنسان الإلهي الأخير).

وحيث إنه كان منتظراً منذ آلاف السنين وعندنا بما يزيد علىٰ (١١٨٠) سنة.

كان وقت بقائه - حسب النصوص والواقع - قليلاً بالقياس إلىٰ فترة غيابه وانتظاره، فنشأ من ذلك إشكالية محصلها أن البشرية تنتظر مخلصاً لآلاف السنين فهل من الإنصاف أن يحكم لسنوات محدودة وقليلة؟! وهو ما نحاول الإجابة عنه ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولىٰ: انقسامات الزمان:

يعد التقسيم من الآليات المعرفية لبيان حقيقة المفهوم من خلال ضبط أقسامه، ولكثرة الدلالات التي يحملها مفهوم الزمان عسر علىٰ المهتمين به تعريفه، مما دعاهم إلىٰ تقسيمه تسهيلاً لضبطه، ومما ذكروه له من تقسيمات[١]:

١ - الزمان اللغوي وهو من المقولات العرفية والنحوية والمعجمية الدلالة التي لا يمكن لأي لغة من اللغات الاستغناء عنها[٢].

١. مفهوم الزمان بقلم (جان كامبفر) و(رافائيل ميشيلي) - ترجمة د. حبيب إلياس حديد، بتصرف.

٢. الزمن في اللغة العربية - أ. د. عبد الحميد النوري عبد الواحد - مقال منشور في مجمع اللغة العربية علىٰ الانترنت.

٢ - الفهم السردي للزمان هو حقيقة سيالة لا تظهر إلّا من خلال مفعولها علىٰ الشخصيات والمكان، وهو خيط وهمي مسيطر علىٰ كل الأنشطة والأفكار[١]، والذاتي منه هو نتاج حركة الأفراد، أمّا الموضوعي فهو نتاج حركة الكواكب[٢].

بينما أنكر آخرون تقسيم الزمان فضلاً عن تعريفه، لأنه وهمي فهو ليس سوىٰ أداة ناجمة في بعض النماذج الفيزيائية، هذا ما قاله (ستيفن هوكنغ)، فيما قال (لي سمولن) إن معظم الفيزيائيين يعتبرون أن عبور الزمن من ماضٍ إلىٰ حاضر فمستقبل هو عبور وهمي[٣].

النقطة الثانية: الزمان في الفكر الإنساني:

اهتمام الإنسان بالزمان قديم بقدم وجوده حتىٰ عُدّ عند بعضهم إلهاً، وذكر بعض القدماء أن الزمان هو دوران الفلك، وهكذا قال بعض قدماء الفلاسفة، فيما قال المتكلمون إنَّه تقدير الحوادث بعضها ببعض[٤] ولأجل استيضاح الصورة نذكر أقوال الفلاسفة والمتكلمين والتجريبيين.

تعددت المذاهب الفلسفية بين من ينكر الزمان ومن يقبل به واختلفوا في تحديده[٥] علىٰ مذاهب عديدة، ومن أقوالهم في ذلك:

---

١. التصور العام للزمن - مقال منشور في (uobabylon.edu.iq) بتصرف؛ وينظر أيضاً: الزمن أعقد المفاهيم - نبيل حاجي نايف - مقال في موقع الحوار المتمدن (m.ahewar.org)، بتصرف.

٢. الزمان الدلالي دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية - كريم زكي حسام الدين، بتصرف.

٣. فلسفة الزمن وعلوم الفيزياء - حسن عجمي - موقع (almayadeen.net).

٤. كتاب الأزمنة والأمكنة - المرزوقي الأصفهاني: ص١٠٣.

٥. نهاية الحكمة - السيد محمد حسين الطباطبائي: ج٢، ص١١٥، هامش رقم١، تحقيق عباس علي الزارعي السبزواري.

قول أفلاطون أن الزمان جوهر أزلي[١] وأنه يتصل بالمتحركات، وقد أثار هذا التعريف لدىٰ من تأخر عنه المشاكل بل اختلفوا في قوله في تعريف الزمان[٢] وقد وافقه الرازي من المتكلمين وأبو البركات البغدادي وجماعة.

أمّا أرسطو فالزمان عنده (عدد الحركة من قبل المتقدم والمتأخر)[٣]، وقد وافقه ابن سينا وابن رشد وجماعة.

أمّا عند صدر المتألهين فهو مقدار الحركة وهو الزمان العام[٤] وقد نحىٰ جملة الفلاسفة ممن تأخر عنه منحاه، أمّا المتكلمون من المسلمين فقد تقدم أن معناه عندهم تقدير الحوادث بعضها ببعض[٥] يقول الشيخ المفيد[٦]: (القول في الوقت والزمان: وأقول: إن الوقت هو ما جعله الموقت وقتاً لشيء وليس بحادث مخصص، والزمان اسم يقع علىٰ حركات الفلك فلذلك لم يكن الفلك محتاجاً في وجوده إلىٰ وقت ولا زمان وعلىٰ هذا القول ساير الموحدين).

أمّا عند الفلاسفة الغربيين فإن الزمان عند ديكارت ليس له وجود موضوعي إنما من تأليف العقل وأيده (جون لوك)، كما أنكر (ديفيد هيوم) أن يكون للزمان واقع خارجي وعليه فإن فكرة الزمان تكون مشتقة من تعاقب إدراكاتنا لكل نوع، وعلىٰ خطىٰ (هيوم) يسير (عمانويل كانط) إذ يرىٰ أن الزمان من خلق العقل، ويرىٰ (كانط) أن الزمان ليس جوهراً أو عرضاً، وهو ليس أكثر من كونه حدساً عقلياً فيما قال (إسحاق نيوتن) إن الزمان

---

١. الزمان بين الفلاسفة والمتكلمين – د. أرزاق فتحي أبو طه: ص٣٠٨.
٢. الزمان في الفكر الديني والفلسفي – حسام الآلوسي: ص١٠٨.
٣. الزمان في الفكر الديني والفلسفي – حسام الآلوسي: ص١٢٢.
٤. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة – صدر الدين الشيرازي: ج٤، ص١٨٠؛ وراجع أيضاً النظام الفلسفي للحكمة المتعالية – عبد الرسول عبوديت: ص٣٥٩.
٥. الأزمنة والأمكنة – الرزوقي: ص١٠٣.
٦. أوائل المقالات – الشيخ محمد بن النعمان العكبري المفيد: ص١٠٠.

وجودٌ موضوعيٌ حقيقيٌ منفصلٌ عن المادة وعن المكان فيما رفض (آينشتين) نظرية (نيوتن) حيث استنتج نسبية الزمن يقول (ستيفن هاكونغ): (إن النظرية النسبية قد غيرت جذرياً أفكارنا عن الزمان والمكان)[١]، وها أنت تلاحظ أن مفهوم الزمان قد تطور تطوراً هائلاً حتىٰ أصبح من أكثر المفاهيم المعرفية تعقيداً[٢].

النقطة الثالثة: الزمان في الفكر الديني:

تحدثت الأديان عن الزمان وجاء ذكره في الموروث الديني من آيات وروايات، وفيما يلي نتناول هذا المفهوم في الديانات السامية الثلاث:

في اليهودية:

يقول الدكتور (هربرت لوي) أستاذ اللغة العبرية في جامعة اكسفورد: إن اليهودية تقوم علىٰ أساسين، هما: وحدانية الله واختيار إسرائيل[٣]: (إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب...) (التثنية – ٧: ٦).

وهم ينتظرون تحقق ذلك علىٰ يد (ابن الإنسان) وجاءت أوصافه في أشعيا (٩:٦): (تكون الرياسة علىٰ كتفه ويدعىٰ اسمه عجيباً، ويكون إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، ولنمو رياسته يجلس علىٰ كرسي داوود وعلىٰ مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلىٰ الأبد)، ويقول في (أشعيا: ١١): (ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسّىٰ القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم

١. الزمان قراءة تحليلية موجزة – د. عماد الدين الجبوري، بتصرف.
٢. مفهوم الزمن بين صدر المتألهين الشيرازي وأينشتاين – علي أحمد الشيخ، بتصرف.
٣. اليهودية – الدكتور أحمد شبلي: ص٢١٠.

ويكون محله مجداً)، وبطبيعة الحال فإن تحقيق هذا الهدف المنشود وانتظار هذا المخلص فتح الباب لبعض اليهود لهذا الادعاء حيث سجل التاريخ أخبار مسيح كذاب بين فترة وأخرىٰ، وليس جميع اليهود يؤمنون بذلك، فالصدوقيون منهم ينكرون عودة المسيح ولا يترقبونه.

وإذا تابعنا نصوص الزمان في التوراة نجدها حافلة بذكره حيث سجل سفر التكوين في أوائل آياته حديثاً مفصلاً عن الزمان وأول خلق الكون حيث ذكر قصة بدء الخلق وزمان ما خلق (التكوين ١: ١ - ١٩).

وفي المزامير (٩٠: ٤): (لأن الألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر، وكهزيع من الليل).

وجاء في سفر يشوع (١٨: ٨): (عدة أيام الإنسان علىٰ الأكثر مائة سنة كنقطة ماء من البحر وكذرة من الرمل هكذا سنون قليلة في يوم الأبدية).

فأنت تلاحظ أن مفهوم الزمان في هذه النصوص (سفر التكوين بالخصوص)[1] يتكلم عن خلق العالم في ستة أيام واليوم بحسب عالمنا المعروف وجد في اليوم الرابع بعد صنع الكواكب فما هو معنىٰ اليوم ومعنىٰ الأيام الستة؟

عبر (أوغسطين) أن هذا سر لا يمكن معرفته لأحد[2].

نعم نجد في سفر المزامير المتقدم أن اليوم يعادل ألف سنة.

---

١. الآيات تتحدث عن بدء خلق الله تعالىٰ للسماوات والأرض حيث فصّل بين النور والظلام بعد خلقه، وذكر أنه في يوم ثم خلق الماء وفصلهما عن السماء وكان يوماً آخر، ثم خلق الأرض وكان يوماً ثالثاً، ثم خلق بعد ذلك الليل والنهار والزمان.

٢. الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم - د. حسام الآلوسي: ص٣٩.

الكتابات اليهودية الأخرىٰ تقدم (المسيا) علىٰ أنه الرئيس الخاص لليهود يقيم مملكة مثالية علىٰ الأرض وحسب الكتاب الرابع من (Esdras)[١] يمتد المسيا إلىٰ ٤٠٠ عام، أمّا كتاب أسرار أخنوخ فيرىٰ أن ملكه يمتد إلىٰ (١٠٠٠ عام)[٢].

في المسيحية:

تعتقد المسيحية أن يسوع الذي ينتظره اليهود هو نفسه ابن مريم الذي صلب تكفيراً عن خطايا العالم، ثم قام من بين الأموات ورفع إلىٰ السماء، بعد أن وعد المؤمنين به، أنه سيعود في آخر الزمان، وأن لمجيئه الثاني علامات تحدثت عنها الأناجيل المختلفة وأن الإنجيل سوف يبشر به في كل أنحاء العالم: (وينبغي أن يكرز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم) (مرقس ١٣: ١٠) وقد تحدثت جملة من الآيات عن المجيء الثاني للمسيح، ففي إنجيل (متىٰ ٢٣ – ٢٧): (لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلىٰ المغارب، هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان).

يقول (القمص تادرس): (سيأتي السيد المسيح من السماء علىٰ صوت رئيس الملائكة وصوت البوق، والأموات سيقومون)، ويقول أيضاً: (هذا وتتحقق الاسخاتولوجيا[٣] بالنسبة للإنسان ليس فقط في نهاية الزمان)[٤]، ويقول في موضع آخر: (جاءت العبادة الكنيسية في العصر الرسولي أخروية،

---

١. كتاب نهاية العالم من الكتاب المقدس – تأليف عزرا.

٢. الأخرويات في الكتاب المقدس وفي الفكر اليهودي – القمص تادرس يعقوب ملطي: ص١٦٩.

٣. الأسخاتولوجيا علم آخر الزمان: هي جزء من اللاهوت والفلسفة يهتم بما يعتقد أنه الأحداث الأخيرة قبل نهاية العالم وتشمل مواضيع مثل المسيا واليوم الأخير، وترىٰ المسيحية واليهودية أن نهاية الزمن كتكميل الله تعالىٰ لخلق العالم.

٤. الأخرويات في الكتاب المقدس: ص١٨١.

ففي العماد يعلن طالب العماد: (وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي)، وفي الأفخار سيتا تجتمع الكنيسة كلها حول المسيح القائم من الأموات لكي يتمتع المؤمنون بفكره وحياته المقامة، فيرتقبون بيقين تحقيق وعده بالمجيء الأخير[١].

ويقول القديس كيرلس الاورشليمي في (قيامة الجسد في الكتاب المقدس)[٢]: (لا تستغرب لتأخر العدالة... هكذا الله أيضاً مادام النزاع باقياً في هذا العالم يسحق العادلين ولو جزئياً، لكن بعدئذٍ يقدم لهم مكافئاتهم كاملة).

المعضلة الكبرىٰ بين اليهود والمسيح:

من وجهة نظر الفرق الإنجيلية أن وقت الساعة توقف، وأعمال النبوءة تعطلت بوجود الكنيسة علىٰ الأرض وبارتفاعها واختطاف المؤمنين تبدأ النبوءة في السير من جديد مع الشعب اليهودي، وبناء عليه فإن الأسبوع الأخير من أسابيع دانيال لم يتم حدوثه حتىٰ الآن، لأنه لو حدث لكان الشعب اليهودي متعبداً في بيت الرب وهو ما لم يتم إلىٰ الآن، فهم ليسوا أسياد العالم بل تحت سيادته، ولكونهم شعب الله المختار - حسب اعتقادهم - فإن الله لا يحسب مع إسرائيل أي وقت لم يكن معترفاً بهم شعباً له، وجميع السنين التي مرت تعتبر مهدورة، وعندما يبدأ الأسبوع الأخير السبعين يتم الله موعده لليهود الذي وعدهم به[٣].

فما هو هذا الأسبوع الأخير؟ وما هي قصته عند اليهود والمسيح؟

يعبر عنه بـ(الضيقة العظيمة) أو (أسابيع دانيال السبعين) أو (الاختطاف السري).

---

١. الأخرويات في الكتاب المقدس: ص١٨٢.

٢. مقال منشور في ضمن كتاب الأخرويات في الكتاب المقدس: ص١٨٤.

٣. نبوءات نهاية العالم عند الإنجيليين - محمد عزت محمد محمد: ص١٥٥.

الأصل في هذه القضية هي الآيات المعروفة في سفر دانيال (٩: ٢٤): (سبعون أسبوعاً قضيت علىٰ شعبك وعلىٰ مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتىٰ بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين).

فهذه النبوءة معضلة عظيمة حيث وقع خلاف كبير في تفسيرها ومعرفة حقيقتها وحساب زمانها وبشكل مجمل فإنها تتحدث عن زمن محدد وأحداث محددة قسم منها وقع وقسم آخر ينتظر وهي تناظر إلىٰ حدٍ كبير مفهوم العلامات في العقيدة المهدوية.

متىٰ يقع الأسبوع الأخير وتنتهي الضيقة؟

وبعبارة ثانية:

متىٰ يأتي المسيح وكم يحكم؟

يقول أحد الكتّاب ممن يفسر آيات الضيقة[1]: هذه الضيقة العظيمة النهائية التي أشار إليها الرب: (لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ العَالَمِ إِلَىٰ الآنَ وَلَنْ يَكُونَ... وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ.

وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ.

وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً عَلَىٰ سَحَاب السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ.

١. مفهوم الضيقة العظيمة القس أشرف أبيشاي.

فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَىٰ أَقْصَائِهَا. (مت٢٤: ٢١، ٢٩ - ٣١).

وواضح من كلام الرب ترتيب الأحداث: أولاً: الضيق العظيم، ثم بعده ثانياً: مجيء الرب علىٰ السحاب، ثم بعده ثالثاً: اختطاف المؤمنين، إذ يرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، ويجمعون مختاريه).

ويقول آخر[١]: (بعد هرمجدون، سيُسجن الشيطان وأبالسته في المهواة ألف سنة. خلال تلك الفترة، سيكون الورثة السماويون المئة والأربعة والأربعون ألفاً قضاة ويملكون «مع المسيح ألف سنة». (رؤيا ١٤: ١ - ٣؛ ٢٠: ١ - ٤؛ رومـا ٨: ١٧)، خلال فترة الألف سنة تلك (سيدين يسوع المسيح الأحياء والأموات). (٢ تيموثاوس ٤: ١).

وفي مقام تفصيل تفسير الأسبوع الأخير يقولون[٢]: (يتفق جميع المفسرين تقريباً أن (الأسبوع) يجب تفسيره بأنه (سبع سنوات)، أي بكلمات أخرىٰ، ٤٩٠ سنة. وتقدم هذه الآية (توقيتاً) بشكل ما، يعطينا فكرة عن موعد مجيء المسيا وبعض الأحداث التي تصاحب ظهوره... إن نبوة السبعين أسبوعاً مركبة ومفصلة بشكل عجيب، وقد كتب الكثير حولها. وتوجد بالطبع تفسيرات عديدة... يوجد أمر واحد مؤكد: الله لديه جدول زمني، وهو يقوم بتسيير الأمور في مواعيدها. فهو يعرف النهاية من البداية (إشعياء ٤٦: ١٠) وعلينا أن نكون دوماً منتظرين مجيء الرب المنتصر مرة ثانية (رؤيا ٢٢: ٧).

يقول البعض[٣]: (إنه بعد صلب المسيح توقفت ساعة السبعون أسبوعاً النبوية، أي أن هذه الثلاثة سنين ونصف لم تأتي بعد. خصوصاً

١. موقع شهود يهوه الرسمي علىٰ الانترنت، JW.ORG.
٢. GotQuestions.org موقع مهتم بالكتاب المقدس.
٣. موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

أن (٣½) سنة = ٤٢ شهراً = ١٢٦٠ يوماً المذكورة في سفر الرؤيا. وهذا تفسير مقبول جداً.

وهذه المدة التي تتوقف فيها الساعة النبوية للسبعين أسبوعاً هي المدة التي أعطاها الله للبشرية لتدخل إلىٰ الإيمان وتتأسس كنيسة المسيح السماوية، وهذه الفترة تبدأ بالصليب الذي به تم ربط الشيطان وتقييده. وتم التعبير عن هذه الفترة رمزيا بأنها ألف سنة (رؤ٢٠: ١ – ٣) فرقم ألف يشير للسماويات. والكنيسة التي أسسها المسيح هي كنيسة سماوية (أف٢: ٦ + فى٣: ٢٠). فالمسيح (طأطأ السموات ونزل) (مز١٨: ٩) ليؤسس كنيسة سماوية، هو رأسها وهو عريسها السماوي. والكنيسة أبوها سماوي تصلي له وتقول (أبانا الذي في السموات). والكنيسة التي أسسها المسيح هي كنيسة واحدة سماوية، نصفها كنيسة منتصرة هي الآن في الفردوس، والنصف الآخر هي كنيسة مجاهدة علىٰ الأرض وهي أيضاً سماوية).

والمتحصل من معنىٰ الضيقة وتفسير الأسبوع الأخير:

إنهم يتفقون علىٰ توقف الزمان ولا يعلمون كم الفترة التي ستمتد إلىٰ أن تنتهي الضيقة وإن فسرها بعضهم بالألف سنة، وهي لم تتحقق، وهذا نظير ما يحصل عندنا من توقيت، ونظير ما يأتي من تطبيق نقله ابن حماد في كتابه الفتن.

في الإسلام:

المنظومة الدينية من القرآن الكريم والسنة الشريفة مشحونة بالحديث عن الزمن والزمان ومن تلك الآيات الكثيرة قولة تعالىٰ: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ ما لَكُمْ

مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذلِكَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (السجدة: ٤-٦).

وأمّا الروايات فهي كثيرة ومتنوعة، وسيأتي الحديث عن الروايات الشريفة التي تناولت الزمان فيما يرتبط ببحثنا.

النقطة الرابعة: روايات عمر دولة الإمام عجل الله فرجه ودلالتها:

وردت عدَّة روايات في تحديد مدَّة ملك الإمام عجل الله فرجه على اختلاف بينها في مدَّة ملكه، ومنها:

أوَّلاً: ما روي من طُرُق العامَّة، وهي عديدة، نذكر منها:

١ - «سبع، ثمان، تسع»[١]: ففي الفتن لابن حماد: (... عن أبي سعيد عن النبي [صلى الله عليه وآله] قال: يملك المهدي سبع ثمان تسع سنين.

٢ - «سبع سنين» **في سنن ابي داود**[٢]: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ تَمَّامِ بْنِ بَزِيعٍ، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ القَطَّانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله [صلى الله عليه وآله]: «المَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الجَبْهَةِ، أَقْنَى الأَنْفِ، يَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ».

كما ويحتمل في بعض الروايات إرادة السبعة أو السبعين، ففي المستدرك[٣]: قال رسول الله صلى الله عليه وآله المهدي منا أهل البيت أشم الأنف أقنى أجلى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعيش هكذا - وبسط يساره وإصبعين من يمينه المسبحة والإبهام وعقد ثلاثة -». هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

---

١. الفتن، نعيم بن حماد المروزي، ص٤٢٠

٢. سنن أبي داود (ط دار الحديث قاهرة)، ج٤ سليمان بن الأشعث السجستاني، ص١٧٦.

٣. المستدرك، ج٤، الحاكم النيسابوري، ص٥٥٧.

٣ – «عشرين سنة» **في مجمع الزوائد**[١]: (فقال رجل من عبد القيس يقال له المستورد بن حسلان: يا رسول الله، من إمام الناس يومئذٍ؟ قال: «من ولدي ابن أربعين سنة كأن وجهه كوكب دري في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيتان كأنه من رجال بني إسرائيل، يملك عشرين سنة يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك».

وكذا ما رواه السيد ابن طاووس[٢] عن رسول الله ﷺ نقلاً عن سنن الداني وبعضه عن الفتن لابن حماد وكنز العمال وهو يماثل ما تقدم عن مجمع الزوائد.

فالرواية وإن كانت في كتبنا إلّا أنَّها من طُرُقهم.

ثانياً: من طُرُقنا، وهي عدَّة روايات[٣]**، منها:**

١ – سبع سنين: في الإرشاد[٤]: (... روىٰ عبد الكريم الخثعمي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم يملك القائم عليه السلام؟ قال: «سبع سنين، تطول له الأيام والليالي حتىٰ تكون السنة من سنيه مقدار عشر سنين من سنيكم، فيكون سنو ملكه سبعين سنة من سنيكم هذه».

---

١. مجمع الزوائد، ج٧، الهيثمي، ص٣١٩

٢. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر عليه السلام)، السيد ابن طاووس: ص٢٨١.

٣. من المناسب التعرض للبحث السندي لجميع الروايات والاعتماد علىٰ ما هو معتبر منها دون غيرها، وحيث إن أغلبها من المراسيل أو يقع في طريق روايتها المجاهيل، فإننا نبحثها بناء علىٰ فرض صدورها ولو بناء علىٰ مبنىٰ من يقول: إن ورود الخبر في المجاميع الحديثية مع عدم معارضته لقواعد العقل وآيات القرآن الكريم والسنة القطعية فإن احتمال صدوره يكون قريباً، فضلاً عما إذا كان بعيداً عن أجواء التقية، وموارد الوضع والدس، وقد يقال هذا في موردنا.

٤. الإرشاد – الشيخ المفيد: ج٢، ص٣٨١.

٢ - **سبعون سنة**: حسب النص المتقدم مع ملاحظة اختلاف الحساب، وتصريح الإمام عليه السلام بأنها (٧٠) سنة.

ولعل هذا البيان بهذه الطريقة يساعد في الكشف - ولو على مستوىٰ الاحتمال - عن أن المقصود من الزمن المذكور ليس هو التحديد بالمعنىٰ الحقيقي للتحديد، وبالإضافة إلىٰ الاختلاف الآتي في تحديد المدة قد يحصل الميل في النفس إلىٰ أن ما قيل من أرقام في تحديد مدة ملكه عجل الله فرجه ليست في مقام التحديد الحقيقي، وستأتي وجوه الجمع بين الروايات.

٢ - **تسع عشرة سنة وأشهر**: أفرد لها الشيخ النعماني[١] قدس سره باباً هو الباب (٢٦)، روىٰ فيه (٤) روايات كلُّها حدَّدت (١٩) سنة وأشهراً.

فالأولىٰ رواه بسنده عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «يملك القائم عليه السلام تسع عشرة سنة وأشهراً»، والثانية والرابعة مثلها.

وأمّا الثالثة فهو ما رواه بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: «والله ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعاً»، قال: فقلت له: ومتىٰ يكون ذلك؟ قال: «بعد موت القائم عليه السلام»، قلت له: وكم يقوم القائم عليه السلام في عالمه حتىٰ يموت؟ فقال: «تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلىٰ يوم موته».

٣ - **أربعون سنة: في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام**[٢]: «... ويظهره علىٰ أهل الأرض حتىٰ يدينوا طوعاً وكرهاً، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، لا يبقىٰ كافر إلّا آمن به ولا صالح إلّا صلح، ويصطلح في ملكه السباع، وتخرج الأرض نبتها، وينزل السماء بركتها،

١. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٣٥٣.
٢. الاحتجاج - أحمد بن علي الطبرسي: ج٢، ص١١.

وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً، فطوبىٰ لمن أدرك أيامه، وسمع كلامه...».

٤ - ثلاثمائة وتسع سنين، رواه شيخ الطائفة قدس سره[١]: بسنده عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن القائم يملك ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويفتح الله له شرق الأرض وغربها، ويقتل الناس حتىٰ لا يبقىٰ إلّا دين محمد صلى الله عليه وآله، يسير بسيرة سليمان بن داود»، تمام الخبر.

وقد تُحمل هذه الرواية علىٰ الرجعة بقرينة عدَّة روايات[٢].

٥ - مدة طويلة: وهي مضمون بعض الروايات والأدعية، ومنها:

*** في كمال الدين**[٣]: عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن علي ابن موسىٰ الرضا عليه السلام، عن أبيه موسىٰ بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد ابن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن - أبي طالب عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ... وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني، ولأعلين بهم كلمتي، ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح، ولأذللن له الرقاب الصعاب ولأرقينه في الأسباب، ولأنصرنه بجندي، ولأمدنه بملائكتي حتىٰ يعلن دعوتي ويجمع الخلق علىٰ توحيدي، ثم لأديمن ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي إلىٰ يوم القيامة. والحمد لله رب العالمين، والصلاة علىٰ نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً».

---

١. الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٥٠٢.

٢. عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: «والله ليملكنَّ رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعاً»، قال: فقلت له: ومتىٰ يكون ذلك؟ قال: «بعد موت القائم عليه السلام»... [الغيبة للنعماني: ص٣٥٤، باب ٢٦ ما روي في مدة ملك القائم، ح٣].

٣. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص٢٨٦.

* ما رواه الشيخ المفيد قدس سره[١]: ... وروىٰ المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قائمنا إذا قام أشرف الأرض بنور ربها، واستغنىٰ الناس عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة، ويعمر الرجل في ملكه حتىٰ يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم أنثىٰ، وتظهر الأرض كنوزها حتىٰ يراها الناس علىٰ وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بماله ويأخذ منه زكاته، فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك، استغنىٰ الناس بما رزقهم الله من فضله».

* وقد يستفاد ذلك مما رواه السيد ابن طاووس قدس سره[٢]: ما ذكره جماعة من أصحابنا، وقد اخترنا ما ذكره ابن أبي قرة في كتابه، فقال بإسناده إلىٰ علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن محمد بن عيسىٰ بن عبيد، بإسناده عن الصالحين عليهم السلام قال: وكرر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان قائماً وقاعداً وعلىٰ كل حال، والشهر كله، وكيف أمكنك، ومتىٰ حضرك في دهرك، تقول بعد تمجيد الله تعالىٰ والصلاة علىٰ النبي وآله عليهم السلام: «اللهم كن لوليك، القائم بأمرك، الحجة، محمد بن الحسن المهدي، عليه وعلىٰ آبائه أفضل الصلاة والسلام، في هذه الساعة وفي كل ساعة، ولياً وحافظاً وقاعداً، وناصراً ودليلاً ومؤيداً، حتىٰ تسكنه أرضك طوعاً، وتمتعه[٣] فيها طويلاً وعرضاً، وتجعله وذريته من الأئمة الوارثين...».

ورواها الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي[٤]: محمد بن عيسىٰ بإسناده عن الصالحين عليهم السلام قال: «تكرر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان هذا الدعاء ساجداً وقائماً وقاعداً وعلىٰ كل حال وفي الشهر كله وكيف أمكنك ومتىٰ حضرك من دهرك تقول بعد تحميد الله تبارك وتعالىٰ والصلاة علىٰ

١. الإرشاد - الشيخ المفيد: ج٢، ص٣٨١.
٢. إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس: ج١، ص١٩١.
٣. في التهذيب للشيخ الطوسي: ج٣، ص١٠٣، ح٢٦٥/ ٣٧ ورد: (وتمكنه).
٤. الكافي - الشيخ الكليني: ج٤، ص١٦٢.

النبي ﷺ: اللهم كن لوليك فلان بن فلان في هذه الساعة، وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وناصراً ودليلاً وقائداً وعوناً (وعيناً) حتىٰ تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً».

٦ - **مدة مرموزة وغير معلومة:** في تفسير علي بن إبراهيم[١]: أحمد بن علي وأحمد بن إدريس معاً، عن محمد بن أحمد العلوي عن العمركي، عن محمد بن جمهور، عن سليمان بن سماعة، عن عبد الله بن القاسم عن يحيىٰ بن ميسرة الخثعمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «﴿[حم] ۝١ عسق﴾ عداد سني القائم و﴿ق﴾ جبل محيط بالدنيا من زمرد أخضر فخضرة السماء من ذلك الجبل...».

وجوه الجمع بين الروايات:

١ - مدَّة ملكه باختلاف مراتب ظهوره وملاحظة عناصر استتباب الأمر له، وهذا الاختلاف نظير ما رواه الشيخ الكليني قدس سره[٢]: عَنِ الأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَوَجَدْتُهُ مُتَفَكِّراً يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا لِي أَرَاكَ مُتَفَكِّراً تَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، أَرَغْبَةً مِنْكَ فِيهَا؟ فَقَالَ: «لَا واللهِ مَا رَغِبْتُ فِيهَا ولَا فِي الدُّنْيَا يَوْماً قَطُّ، ولَكِنِّي فَكَّرْتُ فِي مَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ ظَهْرِي، الْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ وُلْدِي هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً وقِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وظُلْماً تَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وحَيْرَةٌ يَضِلُّ فِيهَا أَقْوَامٌ ويَهْتَدِي فِيهَا آخَرُونَ»، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وكَمْ تَكُونُ الْحَيْرَةُ والْغَيْبَةُ؟ قَالَ: «سِتَّةَ أَيَّامٍ أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَوْ سِتَّ سِنِينَ»، فَقُلْتُ: وإِنَّ هَذَا لَكَائِنٌ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كَمَا أَنَّهُ مَخْلُوقٌ - وأَنَّى لَكَ بِهَذَا الأَمْرِ يَا أَصْبَغُ، أُولَئِكَ خِيَارُ هَذِهِ

١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج٥٢، ص٢٨١.
٢. الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٣٣٨، باب في الغيبة، ح٧.

الأُمَّـةِ مَـعَ خِيَـارِ أَبْـرَارِ هَـذِه الْعِـتْرَةِ»، فَقُلْـتُ: ثُـمَّ مَـا يَكُـونُ بَعْـدَ ذَلِـكَ؟ فَقَـالَ: «ثُـمَّ يَفْعَـلُ اللهُ مَـا يَشَـاءُ فَـإِنَّ لَـه بَـدَاءَاتٍ وإِرَادَاتٍ وغَايَـاتٍ ونِهَايَـاتٍ».

فـإنَّ الترديـد في السـتة أيـام إنـما يكـون بلحـاظ اختـلاف المراتـب أو عـلىٰ وقـوع البـداء فيـه، أو زمـان وقـوع الحـيرة فيـه ثـم ترتفـع الحـيرة وتبقـىٰ الغيبـة[١].

٢ - هـذه المُـدَد بلحـاظ بسـطه للعـدل في المعمـورة، فمـدَّة ملكـه وهـو يبسـط العـدل لكـذا بلـد هـي مثـلاً سـبعة سـنوات، ولآخـر تسـعة، ولثالـث تسـعة عـشر، وهكـذا، امـا مـدة ملكـة بلحـاظ المجمـوع فهـي المعنـي بهـا «وتمتعـه فيهـا طويـلاً»، والتـي عـبرت عنهـا روايـة الشـيخ المفيـد قدس سره: ويعمـر الرجـل في ملكـه حتـىٰ يولـد لـه ألـف ذكـر لا يولـد فيهـم أنثـىٰ، فهـذا تعمـير الرجـل في ملـك القائـم عجل الله فرجه، أمَّـا مـا هـو ملكـه وكـم، فهـذا مـا لم تُحـدِّده الروايـات.

أمَّا مدَّة استمرار العدل بعد بسطه فغير محدَّدة.

٣ - إنَّ هـذه المُـدَد حقيقيَّـة ولكـن كلَّ مـدَّة معلَّقـة عـلىٰ شيء إنْ حصلـت وإلَّا فـلا وهكـذا، فهـو يحكـم سـبعة إنْ لم تحصـل الصدقـة مثـلاً أي تصـدق النـاس عنـه وعـن سـلامته وحفظـه وطـول بقائـه، فـإنْ حصلـت فتسـعة، وهكـذا التسـعة معلَّقة عـلىٰ عـدم شيء فـإنْ حصـل انتفـت وجـاءت التسـعة عـشر، وهكـذا هـي، فالمُـدَد المذكـورة تعليقيَّـة لا فعليَّـة، وممّـا يؤيـده وجـود النصـوص في الأديـان الأخـرىٰ التـي أعطـت السـعة في مـدة ملـك عيسـىٰ عليه السلام، وهـو بحسـب رواياتنـا يخـرج بعـد ظهـور الإمـام المهـدي عجل الله فرجه، ومنهـا: مـا رواه الشـيخ الصـدوق قدس سره[٢]: قـال أبـو بصـير: فقلـت: يـا بـن رسـول الله، ومـن القائـم منكـم أهـل البيـت؟ فقـال: «يـا أبـا بصـير، هـو الخامـس مـن ولـد ابنـي موسـىٰ، ذلـك ابـن سـيدة الإمـاء، يغيـب

١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج٥١، ص١١٩.
٢. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص٣٧٥.

غيبة يرتاب فيها المبطلون، ثم يظهره الله عجل الله فرجه فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه وتشرق الأرض بنور ربها...».

٤ - الحمل في هذه المدد على أنها قبل الرجعة، أمّا بعد الرجعة فالمدد مختلفة، وقد دلت عليها العديد من الروايات، فإذا رجحنا رواية الـ(٧٠) مثلاً، فإنها تعني مدة حكم الإمام عجل الله فرجه قبل الرجعة، نعم يمكن الاستعانة لتتميم هذا الوجه ببعض ما تقدم، فنقول: إن مدة حكمه قبل الرجعة مختلفة أيضاً حسب أحوال الدولة والمعارك، وبعضها ناظر إلى احتساب المدة من أول الظهور إلى الرجعة، وبعضها ناظر إلى خصوص فترة استتباب الأمر وهكذا.

والقرينة من الروايات المتقدمة على أن هذه المدد قبل الرجعة ما ورد: (وكم يقوم القائم عليه السلام في عالمه حتى يموت)؟ فإن هذا المقطع يتحدث عن ملكه قبل حصول الرجعة.

وما ورد في الرجعة[1]: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال: الحسين بن علي عليهما السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا بني، إنك ستساق إلى العراق وهي أرض قد التقى فيها النبيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى عموراً، وأنك تستشهد بها يستشهد جماعة معك من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد، وتلي يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم، فأبشروا فوالله لئن قتلونا فإنا نرد على نبينا صلى الله عليه وآله ثم أمكث ما شاء الله، فأكون أول من تنشق الأرض عنه فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجه أمير المؤمنين عليه السلام وقيام قائمنا عليه السلام وحياة رسول صلى الله عليه وآله، ثم لينزلن على وفد من السماء من عند الله عجل الله فرجه لم ينزلوا إلى الأرض قط، ولينزلن

١. مختصر بصائر الدرجات - حسن بن سليمان الحلي: ص٤١.

إلىٰ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وجنود من الملائكة ولينزلن محمد وعلي وأنا وأخي وجميع منْ منَّ الله عليه...».

٥ - إن الروايات حددت المدد المذكورة، ولكن ما هي سعة المدة؟ فمسكوت عنه، نعم صرحت بعض الروايات فيها كالتي قالت السنة بعشرة، فالروايات تحدد المدة ولكن مقاس المدة ما هو أو قل سعة المدة ما هو حجمها، فمسكوت عنه، بل قد يظهر من بعض الروايات وفي خصوص ما يرتبط بقضية الإمام المهدي عجل الله فرجه أن احتساب المدة سيختلف وسيتجلىٰ هذا الاختلاف علىٰ هيئة الإمام عجل الله فرجه ومظهره، حتّىٰ عُدّ من علاماته المميزة له عجل الله فرجه أنه لا يظهر بعمره الحقيقي، فقد روىٰ الشيخ الصدوق: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه قال: حدثنا أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت الهروي، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما علامات القائم منكم إذا خرج؟ قال: «علامته أن يكون شيخ السن، شاب المنظر، حتىٰ أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتىٰ يأتيه أجله»[1].

فالحديث الشريف يصرِّح بأن من علامات ظهوره أن الناظر إليه يراه ابن أربعين سنة، مع أنه قد مضىٰ عليه مئات السنين من حيث احتساب المدة، فالآثار التكوينية المترتبة علىٰ الزمان قد توقفت، وهذا معناه إمكانية التوقف في احتساب الزمان، فلعل زمان ظهوره وحكمه المحدد بالسبعة هو نظير ما مرَّ عليه من عمر طويل مع أنه ينظر إليه ابن أربعين، فالسبعة أي المنظور إليها.

ونظير هذا في بحث الضيقة والسبعة أسابيع أن اليهودية والمسيحية تذهب لذلك، كما أن الآية التي ذكرناها تصرح أن المدد والسنوات لها قياسات مختلفة فقياس اليوم عندنا يختلف عن قياسه بالنسبة لله تعالىٰ.

١. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: باب ٥٧، ص٦٥٢، ح١٢.

كما وتقدم في بيان معنىٰ الزمان ما يساعد علىٰ ذلك لو قلنا أن معنىٰ الزمان مختلف، فمع فرض خروج الشمس من المغرب فإن تقديرات الزمان المرتبطة بالكواكب وحركتها حول الشمس ستختلف جزماً، فلعل المدد المذكورة هي المدد بعد حصول التغيير، ومما أشارت له الروايات من التغيير ما ورد من تبدل النظام والسماوات وخروج الشمس من مغربها، فإن تبدل النظام يستدعي تغير المدة، والروايات ذكرت المدد السابقة مع النظر حالة تغير النظام والذي بموجبه تكون السنة سعتها كثيرة كالعشرة أو المائة أو الألف، ومنها:

* **ما في الإرشاد**[١]: ... عن أبي حمزة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: خروج السفياني من المحتوم؟ قال: «نعم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من مغربها محتوم، واختلاف بني العباس في الدولة محتوم، وقتل النفس الزكية محتوم، وخروج القائم من آل محمد محتوم، قلت له: وكيف يكون النداء...».

* **ما في كمال الدين**[٢]: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «اثنان بين يدي هذا الأمر: خسوف القمر لخمس، وكسوف الشمس لخمس عشرة [و] لم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلىٰ الأرض، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين».

* **ما في الغيبة**[٣]: ... عن حبيب بن محمد بن يونس بن شاذان الصنعاني، قال: دخلت إلىٰ علي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي، فسألته عن آل أبي محمد عليه السلام فقال: يا أخي لقد سألت عن أمر عظيم... «والله مولاكم أظهر التقية فوكلها بي، فأنا في التقية إلىٰ يوم يؤذن لي فأخرج»، فقلت: يا سيدي، متىٰ يكون هذا الأمر؟ فقال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة، واجتمع

١. الإرشاد – الشيخ المفيد: ج٢، ص٣٧١.
٢. كمال الدين وتمام النعمة – الشيخ الصدوق: ص٦٨٥.
٣. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٢٩١.

الشمس والقمر، واستدار بهما الكواكب والنجوم»، فقلت: متىٰ يا بن رسول الله؟ فقال لي: «في سنة كذا وكذا تخرج دابة الأرض (من) بين الصفا والمروة، ومعه عصا موسىٰ وخاتم سليمان، يسوق الناس إلىٰ المحشر».

٦ – الترديد إشارة إلىٰ خضوع ما لم يقع إلىٰ البداء، كما ورد في السفياني مع أنه من المحتوم، إلّا أنه خاضع للبداء، فجاء الترديد في مدة ملكه كناية عن إمكان وقوع البداء فيه، ومما ورد في قضية السفياني:

في الغيبة[1]: ... حدثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فجرىٰ ذكر السفياني، وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم، فقلت لأبي جعفر: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: «نعم»، قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم. فقال: «إن القائم من الميعاد، والله لا يخلف الميعاد».

٧ – إن هذا الترديد لامعنىٰ له واقعاً، لجزمنا بعلم الأئمة عليهم السلام بالمدة الواقعية، ولعل حكمة الترديد في الوقت وإعطاء أوقات مختلفة إمّا لأجل التعمية علىٰ الوقت الحقيقي، أو لأجل أن ذكر الوقت الحقيقي يصعب تعقله من قبل الناس، فذكر أهل البيت عليهم السلام ما يكنون به عن الوقت وسعته بالترديد في المدة، فنحن نؤمن أنه سيحكم، أمّا كم سيكون حكمه؟ فهذا مما لا نعرفه بنحو الجزم واليقين.

٨ – إن دعوىٰ وجود إشكالية في قلة مدة حكمه بالقياس إلىٰ طول المظلومية منتفية من الأساس، فإن من كان مظلوماً ومات، هل سيرجع ليرىٰ الاقتصاص ممن ظلمه؟

---

١. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٣١٤.

فإن قلنا إنه سيرجع كما هو ظاهر روايات الرجعة، فإنه قد تقدم أن مدة الرجعة طويلة، وقد تزيد علىٰ عمر الدنيا.

وإن كان المظلوم لا يرجع، فلا يضره إن كان الحكم لدولة العدل قصيراً أم طويلاً.

وبذلك يتبين أن الإشكالية مما لا واقع لها وراء الألفاظ.

هذا كله فيما يرتبط بقيادة الإمام عجل الله فرجه وقيامه على رأس دولته، أمّا فيما يرتبط بدولة أهل البيت عليهم السلام فإنها ممتدة إلىٰ ما شاء الله تعالىٰ، علىٰ ما ورد في جملة من الروايات[1].

نسأل الله تعالىٰ أن يجعل حكومة العدل علىٰ يده عجل الله فرجه طويلة وممتدة إلىٰ ما تقر به الأعين وتثلج به الصدور.

١. الوافي للكاشاني: ج٢، ص٢٦٧، ب٢٩؛ الإيقاظ من الهجة بالبرهان علىٰ الرجعة للحر العاملي: ص٣٣٦، ح١١٩؛ بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي: ص٢١٢: حيث ورد فيه عن حمران بن أعين قال: عُمْر الدنيا مائة ألف سنة، لسائر الناس عشرون ألف سنة، وثمانون ألف سنة لآل محمد عليه وعليهم السلام.

المحتويات

تمهيدنا – يرون ما لا يُرى ٥

أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي (الواقفة نموذجاً)

السيِّد محمّد القبانچي ١١

أشراط القيام – الشيخ جاسم أفضل الوائلي ٧١

الولاية التدبيرية للإمام الغائب عجل الله فرجه – الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي ١١٧

وظيفة المنتظر – علي السيد محمد حسين الحكيم ١٤٣

الانتظار والتمهيد (الأدوار والمكتسبات) – مرتضى علي الحلي ١٥٥

الدولة المهدوية وإشكالية الزمان – الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي ١٨٥